

أرخبس نيكولا

عمرو عبد الحميد

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الكتاب: أرض زيكولا / عمرو عبد الحميد
المؤلف: عبد الحميد ، عمرو
النوع: القصص العربية
تصميم الغلاف: محمد المحربطب
الخراج المالي: بشرة عزم
الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عدد الصفحات: ١١٠ صفحه
القياس: ٢٠x١٤

نسمك: صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عمود مصطفى عمود
كورنيش المعادى، بجوار مستشفى السلام الدولى، لبراج المهندسين (١) برج
(٢) البرج العاشر .
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦) (+٢)

البريد الإلكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.dar-sarh.com

رقم الإبداع: ٢٠١٠/١٩٨٣٤

الترقيم الدولى: 978-977-6382-39-8

دبوسي ٨٠٣

حقوق النشر محفوظة للنشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بليمة وسيلة
إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بذن كتابي صريح من النشر

أرض زيكولا

رواية

تأليف

عمرو عبد الحميد



مُكْرِر يصنع مخارة

الإهداء

إلى

أسرى الطيبة، وأمي ميرفت شلبي

إلى

أعضاء فريقي العزيز (نت أمان دقهليه) ومشريفه، ذلك الفريق الذي

طالما عشت معه لحظات نجاح

إلى

صديق العزيزين الدسوقي عبد الحميد، ومحمود عز الدين

(١)

يقولون: الحب أعمى.. وهو يقول: «أصابني العمى حين
أحببت».. ولكن ماذا يفعل؟.. ها هو قد أحب وحدث ما حادث..
وها هو يجلس كل يوم في حجرته ليكتب مجدداً..
«أنا خالد حسني.. ثانية وعشرون عاماً.. خريج كلية تجارة
القاهرة منذ ستة أعوام.. بلدي يُسمى «البهوفريك» تابع لمحفظة
الدقهلية.. واليوم قد رُفض زواجي بحبيبي للمرة الثامنة.. ولنفس
السبب..»

ثم نظر إلى الحائط.. وقد قام بتعليق الورقة بجوار سبع ورقات
أخرى، يبدو أنها عُلقت في أوقات سابقة..
الورقة الأولى مكتوب بها اسمه، وسنّه، وبيلده، وبها: «رُفض
زواجي بحبيبي اليوم»، وبجوارها ورقة ثانية، وبها: «رفضت للمرة
الثانية».. والورقة الثالثة بها رفضه للمرة الثالثة.. وهكذا حتى الورقة
السابعة..

بعدها أنسد ظهره إلى الخلف ونظر إلى أعلى، وعادت به ذكرياته
إلى ما قبل ستة أعوام مضت حين كان يدرس بالسنة الأخيرة بالجامعة..
وشاءت الأقدار أن يتعرف على «مني» ابنة بلدته صدفة في طريقها من
البلدة إلى جامعته بالقاهرة.. وزادت فرحته حين علم أنها تدرس بنفس
الكلية في عامها الأول بالجامعة.. ومن يومها وقد تعددت صدف
لقاءها كثيرة سواء بقصد أو دون قصد..

حتى أفاق من ذكرياته، وزفر زفارة قوية حين نظر إلى ورقة كبيرة
علقها على الحائط أسفل الشهانى ورقات، وقد كتب عليها: «رفضت
نفس السبب».. السبب.. والد «مني» المجنون..

كان «خالد» إن سمع كلمة مجنون فدائماً يتذكر والد «مني».. ولا
اعتقد أنه «خالد» فقط، بل جميع أهل البلدة.. ولكن «خالد» أكثر من
عرف ذلك المجنون.. فمنذ أن أنهى دراسته، وعزم على أن يتقدم
للزواج من «مني» حتى فوجئ بأبيها -في أول زيارة لخطبتها- ينظر إليه
بغراوة:

-أنت عاوز تتجوز «مني»؟!

خالد:- أيوه

- والد «منى» وقد ارتفع حاجباه: وأنت عملت أيه في حياتك؟!
ازداد وجه خالد احرازاً، واضطرب قليلاً.. وكأن السؤال صاعقة
لم يتوقعها.. حتى رد:

- عملت أيه في حياتي!.. الحقيقة أنا مش فاهم قصد حضرتك
بالسؤال.. بس أنا خريج كلية تجارة جامعة القاهرة.. وحضرتك عارف
إن والدائي توفاهم الله، وعايش مع جدي من صغرى.. ومعفي من
الجيش.. وحالياً بدور على وظيفة مناسبة..

رد الرجل:

- وتفرق أيه عن غيرك عشان أجوزك بتني؟!!.. ثم أنهى المقابلة
بالرفض..

اعتقد خالد وقتها أن سبب رفضه للمرة الأولى أنه لم يجد الوظيفة
المناسبة.. ولكنه تأكد أن السبب ربما يكون غير ذلك تماماً، حين وجد
عملاً وتوجه لخطبة «منى» مجدداً.. حتى قوبل بالرفض للمرة الثانية
ونفس سؤال الأب: «ماذا فعلت في حياتك؟».. وبسم تختلف عن

غيرك.. هذا السؤال الذي لم يجد إجابة وافية لأبيها حتى المرة الثامنة لطلبه الزواج، ولم يراع في كل مرة حب خالد لابنته أو حب ابنته له.. حتى فاض بخالد الكيل في تلك المرة فصاح به:

- أنا معملتش حاجة في حياتي.. أعمل أيه يعني؟!!.. عارف إنك كنت بطل في حرب ٧٣.. شايف إن ده سبب يخليك تذلنا؟!!.. يعني أنت عاوز بطل لبنتك.. قولي أبقى بطل ازاي.. أروح أحارب في العراق عشان تنبسط؟!!.. ثم نظر إليه وقد ظهر الغضب في عينيه:
- هائجورز «منى» يعني هائجورزها.. غصب عنك هائجورزها..

البلدة كلها تعرف أن هذا الرجل غريب الأطوار.. يريد أن يزوج ابنته الوحيدة لشخص فريد من نوعه.. أهيُ فريدي هذا؟!!.. لا أحد يعلم.. الكل يعلم أن مصير ابنته العنوسه لا غير.. طالما أبوها ذلك الرجل.. ومع هذا لم يطرق الاستسلام قلب «خالد» أبداً، ولم يعد يباله سوى ذلك الشيء الذي يجعله فريداً من نوعه.. يجعله يستحق «منى» كما يريد أبوها.. ولكن ما هذا الشيء.. هل يسرق أحد البنوك ويصبح من

الأثرياء؟.. هل يبحث عن كنز ما؟.. لا يعلم.. فلم يجد سوى أن يتوجه بالدعاء إلى الله أن يأخذ أباها..

رغم أن «خالد» كان يتسم بخفة الظل.. وروحه المبهجة دائمة، إلا أن حبه لـ«منى» ورفض أبيها الدائم له جعل الحزن وشاحدا دائمًا على وجهه.. حتى لاحظ جده -والذي كان يقترب من عامه الثمانين وكأنه يعيش معاً منذ وفاة والدي «خالد»- حزنه الشديد بعد رفضه تلك المرة، وقد اقترب منه وسأله:

-أنت لسه زعلان؟.. أنت المفروض خلاص اتعودت..
رد «خالد» في حزن:- أنا بحبها ومش متخييل أني أشوفها لحد غيري.. ومش عارف أبوها عاوز أيه!.. مش عارف إن زمن المعجزات انتهى..

رد جده:- وأنت هتقعد جنبي كده، حاطط إيدك على خذك؟!
ـ «خالد»:- طب هعمل أيه؟..

ضحك الجد وحاول أن يداعبه كي يخفف عنه حزنه:
ـ لا.. أنت أحسنلك تدفن نفسك في سرداد..
ـ لمعت عينا «خالد».. وكأنه تذكر شيئاً ما:

- سرداد.. السرداد..
ثم أكمل:

- جدي.. أنت فاكر لما كنت صغير، وكنت لما أعيط تحكيلي عن قصة السرداد الموجود تحت بلدنا.. وإنك نزلته من أكثر من خمسين سنة.

رد الجد مبتسماً:- أيوه، طبعاً فاكر، لما كنت بتعيط.. تحب أفكرة
بأيامك..

ضحك «خالد»:- لا.. عايزك تحكيلي عن السرداد.. ونزو لكم له.. ابتسم الجد وصمت كأنه يتذكرة:

- يااه.. دي أيام فاتت من زمان.. مش فاكر منها إلا القليل.. كنا أربع شبان بنحب الشقاوة والمغامرة.. وسمعنا كلام كتير بيقول إن فيه كتز موجود في سرداد بيعدي تحب بلدنا.. وإن السرداد ده كان زمان مخزن كبير للأغنياء وقت أي غزو..

- الكل كان عارف إن السرداد ده موجود فعلًا.. بس محدش جرب ينزله؛ لأن معروف إنه مسكن عفاريت، وأي حد هينزله مش

هيخرج منه، بس احنا رميـنا الكلام ده ورا ضـهرـنا.. وقلـنا لازم نـنزلـه..
يمـكـنـ نـلـاقـيـ الـكتـزـ دـهـ، وـنـخـرـجـ الـبلـدـ منـ حـالـةـ الفـقـرـ الليـ كانـتـ فيـهاـ..
قـاطـعـهـ «ـخـالـدـ»ـ وقدـ ظـهـرـ استـمـتـاعـهـ عـلـىـ وجـهـهـ:ـ كـمـلـ..

ـ كـنـاـ عـارـفـينـ إـنـ بـابـ السـرـدـابـ مـوـجـودـ فـيـ بـيـتـ مـهـجـورـ فـيـ الـبـلـدـ..
بـيـتـ مـحـاطـ بـسـورـ كـبـيرـ.. وـإـنـ هـنـاكـ صـخـرـةـ كـبـيرـةـ مـوـجـودـةـ عـلـىـ الـبـابـ دـهـ..
وـفـيـ لـيـلـةـ توـكـلـنـاـ عـلـىـ اللهـ.. وـرـحـنـاـ لـلـبـيـتـ دـهـ فـيـ السـرـ، وـقـدـرـنـاـ نـحـرـكـ
الـصـخـرـةـ وـبـدـأـنـاـ نـزـلـ وـاحـدـ وـرـاـ التـانـيـ.. وـمـعـ كـلـ وـاحـدـ فـيـنـاـ لـمـبـةـ جـازـ..
وـبـعـدـ مـاـ نـزـلـنـاـ سـلـمـ طـوـبـيلـ وـلـقـيـنـاـ نـفـسـنـاـ فـيـ نـفـقـ مـتـسـاوـيـ.. وـمـشـيـنـاـ كـامـ
خـطـوـةـ فـيـ نـفـقـ دـهـ لـخـدـ مـالـقـيـنـاـ نـفـسـنـاـ مـشـ قـادـرـينـ نـاخـدـ نـقـسـنـاـ.. وـفـجـأـةـ
انـطـفـتـ لـمـبـاتـ الجـازـ كـلـهـاـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ.. وـصـرـخـ وـاحـدـ فـيـنـاـ.. عـفـرـيـتـ
طـفـيـ لـمـبـيـ.. وـبـعـدـهـاـ كـلـ وـاحـدـ فـيـنـاـ خـدـ دـيـلـهـ فـيـ سـنـانـهـ.. وـرـجـعـنـاـ جـرـيـ
عـلـىـ بـرـةـ.. وـرـكـبـنـاـ بـتـخـبـطـ فـيـ بـعـضـهـاـ.. وـمـنـ وـقـتـهـاـ وـمـحـدـشـ فـكـرـ إـنـ يـنـزلـ
تـانـيـ..

ضـحـكـ «ـخـالـدـ»ـ:ـ بـسـ هـتـفـضـلـ ذـكـرـىـ حـلـوةـ.. وـإـنـكـمـ قـدـرـتـواـ
تـغـلـبـاـ عـلـىـ خـوـفـكـمـ.. حـتـىـ لـوـأـخـدـتـواـ دـيـلـكـمـ فـيـ سـنـانـكـمـ.. ثـمـ ضـحـكـ
جـدهـ مـدـاعـبـاـ لـهـ:ـ مـتـقـولـشـ لـخـدـ حـكـاـيـةـ دـيـلـنـاـ دـىـ..

بعدها عاد «خالد» إلى حجرته.. وقد حاول أن ينام، ولكن
هيئات أن يغمض له جفن.. يفكك كثيراً فيها أخبره به جده.. هو يعلم أن
ما سمعه يبدو أسطورة.. ولكن السرداد موجود بالفعل، وجده لا
يكتب قط.. ثم نظر إلى الورقة المكتوب بها سبب رفض والد «مني»..
إنه يريد شخصاً فريداً.. شخص يُرضي جنونه.. يحدث نفسه.. إنه لن
يتزوج غير «مني»، وإلا فلن يتزوج.. ثم تحدث إلى نفسه مجدداً بصوت
عالٍ:

فيها أية لونزلت السرداد.. افترض كان فيه كنز موجود فعلاً..
ثم صمت وتحدى نفسه وكأن شخصاً آخر يحدّثه..
كنز أية.. ده كلام مجاني.. ومنتناسش إن السرداد ده مسكون
عفاريت، وأشباح.. وأنا أكثر واحد عارفك.. أنت في بعض الأوقات
بتخاف من خيالك.. ثم عاد مجدداً:

لو كنت جبان يبقى مستحقش «مني».. أنت عاجبك حياتك
كده.. خريج كلية تجارة وشغلك ملوش أى صلة بالتجارة.. درست
أربع سنين عشان تخرج تشتعل في مخزن أدوية.. ولو لا إنك ساكن
لوحدك مع جدك كان زمان مرتبك خلصان في نص الشهير..

ثم أكمل:

لو كنت بتحب «مني» فعلًا.. مت شجاع عشان حبها.. أثبت
لنفسك وها أنك بتحبها فعلًا.. ولو لقيت الكتر ده ه تكون أشهر واحد
في البلد دي.. لا في مصر.. لا في العلم كله.. حتى لو ملقوش، كفاية
إنك تحاول في سبيل حبك..

ثم انتفض من على سريره.. وأخرج صورة لـ«مني».. ونظر إليها
وكانه يحدثها:

أنا هنزل السرداد ده.. هنزل منها حصل.. وإن كان أبوكي
مجنون.. فأنا أوقات كثيرة تكون الجنون نفسه..

(٢)

كان «خالد» يظن أنه يتحدث إلى نفسه وحيداً.. ولكنه لم يكن يعلم أن هناك من يسمع حديثه إلى نفسه بصوت عالي خارج الحجرة.. حيث كان يقف جده مجاوراً الباب الحجرة، ويستمع إلى ذلك الحديث وصياحة إلى صورة «مني».. ورغم هذا لم تبدُ على وجه جده أى نوع من أنواع الدهشة، وكأن ما سمعه -من حديثه عن نزوله السرداً- أمر لا يمثل له أى اختلاف، بل يبدو وكأنه أمر يتوقع حدوثه.. وظل واقفاً هكذا حتى صمت «خالد»، وأغلقت أبواب حجرته، وساد الهدوء المكان، ولم يقطع هذا الهدوء إلا ذلك الصوت المميز الذي يعلمه جده جيداً حين ينام «خالد»..

بعدها غادر هو الآخر مكتناً على عصاه إلى حجرته حيث جلس صامتاً على أريكته بعضاً من الوقت لم يتجاوز دقائق، وكأنه يفكر فيها سمعه من حديث «خالد» إلى نفسه، ثم حرك عصاه ليجذب بها صندوقاً خشبياً صغيراً يبدو عتيقاً، حتى فتحه فأخرج منه (الألوم) قديماً

للصور، غُطى بالكثير من الأتربة.. وبعدما أزاح الأتربة عنه بدأ يقلب في صفحاته صفحة تلو الأخرى، ويشاهد ما بها من صور.. حتى توقف كثيراً عند إحدى الصور..

في اليوم التالي استيقظ كل من «خالد» وجده مبكرًا كما تعودا دائمًا.. فـ«خالد» لديه عمله المبكر، وجده لا ينام بعد صلاة الفجر، ويظل يقرأ في كتاب الله حتى ينهض «خالد» فيتناول إفطارهما معًا.. والذى تُعدُّه همَا فتاة تسكن بجوارهما قد اعتادت على ذلك منذ سنوات.. حتى جلس «خالد» وكان ينظر إلى جده بين الحين والأخر وكأنه يريد أن يخبره بشيء.. حتى قطع صمته وسأل جده:

- عبده (كما كان يحب أن يناديه).. أنت تقدر تعيش لوحذك؟

نظر جده إليه.. وأظهر أنه لا يفقه سؤاله:

- أنت عاوز تساور ولا أيه؟!

صمت «خالد».. ثم نظر إليه مجددًا:

- لو سافرت لفترة قليلة.. تقدر تعيش لوحذك؟ ثم أكمل وكأنه يوضح كلامه:

- أنا عارف إن كلامي صدمة لك.. بس أنا قررت إني أسيب
البلد لفترة.. وأقسم لك إني هرجع في أسرع وقت.. ومش هتحبس
بغيابي أبداً.. ثم حاول أن يجد مبرراً لحديثه:

- أنا هسافر أي مكان ألاقي فيه نفسي.. أحسن فيه بوجودي.. أنت
عارف ابن ابنك خريج كلية التجارة بيشتغل أيه؟
رد جده:- آه.. شغال في مخزن أدوية..

رد «خالد» وأظهر حزنه:- ابن ابنك شغال شيال في مخزن أدوية..
شيال.. هات الكرتونة دي، خطها هنا.. خُد الكرتونة دي وذيها هناك
شم هم بالوقوف ليغادر.. وقال جده:

- هسافر فترة مش طويلة.. ثم التفت خارجاً، حتى أوقفته كلمات
جده:

- أنت ليه بتكتب يا «خالد»؟!.. أنت ليه مش عاوز تعرّفي إنك عاوز
تنزل السرداد؟!

كانت تلك الكلمات كالصاعقة التي وُجهت إلى «خالد».. فقد
اختلق رغبته في السفر لفترة كي لا يعلم جده بذلك، ويظن أنه أسيب
بالجنون.. ولا يعلم كيف عرف جده بنيتها.. حتى نظر إليه:

- سردارب؟!.. أنت عرفت منين؟!!.. أقصد سردارب أيه.. وكلام
فاضي أيه..

أكمل جده:

- عرفت من زمان.. من زمان جدًا .. ثم أمره بالجلوس مجددًا.. وسأله
في جديّة:

- أنت عاوز تنزل السردارب ليه؟

صمت «خالد».. ثم تحدث وحاول أن يجعل الحديث مزحة:

- أنت ليه مصمم على حكاية السردارب دي.. أنا بقولك أنا هسافر..
أعاد جده نفس سؤاله:- «خالد».. أنت عاوز تنزل السردارب ليه؟

لم يجد «خالد» مفرًا من الحديث سوى أن يخبره بالحقيقة.. فقال
بعد أن زفر زفيرًا طويلاً:

- عاوز أنزل عشان أثبت لـ«منى» وأبوها إني بطل.. إني مختلف عن
غيري..

فأسأله جده:- بس!

أجاب «خالد» في تعجب من سؤاله:

- أيوه بس.. ثم أكمل:

- ومين عارف، يمكن ألاقي الكنز اللي نزلتوا له قبل كده..
كرر جده: - بس! ...

«خالد»: - أيوه

تحدى جده في جديه: - أنت مش عاوز تنزل عشان كده.. نظر إله
«خالد».. ولا حظ الجدية التي لم يرها على وجه جده من قبل.. حتى
أكمل جده:

- افرض إن «مني» انجوزت حد تاني، هتنزل السرداد ولا لأ؟
صمت «خالد» مفكراً البعض الوقت.. وقد أكمل جده مجدداً:

- عمري ما هصدق إنك عاوز تنزل عشان «مني».. أنت عاوز
تنزل لسبب تاني تماماً.. سبب نزولي ونزول غيري.. السبب اللي بيجري
في دمنا.. دمي، ودمك، ودم أبوك.. السبب هو حبنا للمجهول.. حبنا
للتrepid.. حبنا لاكتشاف حاجة جديدة.. حبنا للاختلاف..

- أردف:

- لما كنت صغير كنت بحكي لك عن السرداد وأنت بتعييط..
ويمكن كنت بتتص لها إنها مجرد حكاية عشان اسكنك فيها، ومتعرفش
إني كنت بنتمي فيك السبب ده.. وصدقني كنت عارف إن هيجي يوم

وتكبر وأحكيلك من تانى عن السرداد.. مجرد حكاية صغيرة عنه
وتهتفضل من جواك..

- ثم تابع حديثه:

- مأنت ياما رفضك أبو «مني».. وكنت عارف سبب رفضه..
إشمعنى المرة دي اللي حبيت تعمل بطل.. لحد ما جه اليوم ده امبارح،
وحصل لك نفس اللي حصل لأبوك يوم ما حكىت له عن السرداد..
بس الفرق إني عرفت إنك عاوز تنزله، أما هو راح فجأة..

- «خالد» في دهشة كبيرة:

- أبويا نزل السرداد؟!

رد جده:- مش أبوك لوحده.. أبوك وأخذ أمك معاه.. كانوا
فاكرين إنهم هيروحوا رحلة صغيرة ويرجعوا.. عشان كدة ساپوك
وأنت ابن ستين.. وقالوا راجعين بعد أيام.. لكن الأيام بقت شهور،
والشهور بقت سنين، والسنين فاتت ومرجعوش.. والبلد كلها عرفت
إنهم ماتوا في حادثة.. والكل شكر ربنا إنك مكتتش معاهم ونجيت من
الحادثة دي.. ولكن الحقيقة إنهم نزلوا السرداد..

ثم تنهَّد وأكمل:- عمرى ما أثبُتهم على كدة.. بقول لنفسى ماأنت
كمان نزلت السرداد، وكنت فخور بنفسك.. بس الفرق إن رينا
نجاك، ثم نظر إلى «خالد»:- وعشان كده عمرى ما هزعل إنك كمان
نزل السرداد.. حتى لو كنت عارف إن قرارك ده عكش يبعدى عنى..
بس لازم تكون متأكد إنك نازل من جواك أنت.. مش نازل لسبب
وهي حاطه لنفسك هو «منى».. ثم هم بالوقوف.. ومشى بضع
خطوات معطياً «خالد» ظهره:

- ساعة ماتقرر قولى.. لأن لسة كلام كبير عن سرداد (فوريك)
حد غيرى عاوز يقوله لك..

بعدها غادر «خالد»، ولم يتوجه إلى عمله كما كان يذهب كل يوم،
بل توجه لمقابلة «منى» بعدما هافتته وطلبت مقابلته بأحد الأماكن
داخل جامعة المنصورة.. حيث كانا يلتقيان هناك دائمًا.. وفي طريقه إلى
هناك لم يشغل باله سوى حديث جده إليه.. وهل يرغب في نزول
السرداد حيًّا لـ«منى»، أم أن حُبَّ المغامرة هو ما يدفعه لذلك.. ثم
تذكَّر حديث جده عن والديه اللذَّين لا يعلم عن هيتهم أي شيء..

فقد وجد نفسه منذ طفولته مع جده، ولم ير صورة واحدة لأبيه أو أمه.. لم يساعدة على تخيلهما إلا كلمات بعض أقاربه.. أنه طويل مثل أبيه، فقد كان -تقريباً- في مثل طول أبيه الذي يبلغ أكثر من مائة وثمانين من السنين -كما كانوا يقولون له- وكفيه العريضين والبينة القوية.. هذه أشياء يقولون إنه شابه أباها فيها.. أما أقارب أمه فطالما أخبروه أن شعره الأسود الداكن، وابتسامته الدائمة يظلان شبهاً دائمًا بينه وبين أمه.. وضحكت حين تذكر تلك الجملة التي كان يخجل منها حين كان صغيراً.. جيل شبه أمه..

بعدها عاد بتفكيره إلى ذلك الرجل الذي أخبره جده أن لديه كلاماً كثيراً عن السرداد.. وعن ذلك الاسم الذي سمعه لأول مرة.. سرداد (فوريك).. وظل تفكيره منشغلًا هكذا، حتى وصل إلى ذلك المكان الذي كان يقصده للاقاء «منى»..

وَجَدَ «خَالِد» «مِنِي» فِي انتِظارِه بِحِجَابِهِ الْمُمِيزِ وَأَلْوَانِهِ الْمُتَعَدِّدةِ،
وَعِبَاءَتِهِ السَّمِرَاءُ التِّي كَانَ يَدْعُوبُهَا دَائِمًا، وَيُخْبِرُهَا أَنَّهُ يَتَشَاءُمُ حِينَ تَقَابِلُهُ
بِتَلْكَ الْعِبَاءِ.. فَنَظَرَ إِلَيْهَا بِابْسَامَةِ:

- إِزِيكِيلْ يَا مُونِي.. (كَمَا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَنْادِيهَا) ..

لَمْ تَبْتَسِمْ «مِنِي» كِعَادِهَا.. وَلَكِنَّهَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي حَزْنٍ:
- أَنَا مُتَأْسِفَةٌ إِنْ بَابَا عَمِلَ مَعَاكَ كَدَهُ لِلْمَرَةِ الثَّامِنَةِ ..

ضَحِكٌ «خَالِد»:

- «لَا.. أَنَا خَلاصٌ اتَّعَودُت.. أَنَا بَقِيتْ مَفْضُوحٌ فِي الْبَلَدِ أَسَاسًا..

النَّاسُ بَقَتْ بِتَقْوِيلِ عَلَيَا إِنِي ضَرَبَتِ الرَّقْمَ الْقِيَاسِيَّ فِي رَفْضِ جُوازِكَ بِيَا
وَإِنِي الْمُفْرُوضُ أَدْخُلُ مُوسَوِّعَةَ جِينِيَّس..» قَالَ تَلْكَ الْكَلِمَاتِ كَمِي
يُنْجِرُهَا مِنْ حَالَةِ الْحُزْنِ التِّي وَجَدَهَا بِهَا وَلَكِنْ دُونَ فَائِدَةِ ..

أَكْمَلَتْ «مِنِي»:- أَنَا كَنْتُ مُفْكَرَةً زَيْكِ إِنْ بَابَا عَاوِزٌ حَدَّ مُخْتَلِفِ..

بَسْ لِلْلَّا سُفْ بَابَا اتَّغَيَّرَ فَجَأَةً..

انْدَهَشَ «خَالِد»:- يَعْنِي أَيْهَا اتَّغَيَّرَ؟!!

أَكْمَلَتْ «مِنِي»:- فِي دَكْتُورِ اتَّقْدَمَ لِبَابَا عَشَانَ يَتَجَوَّزِي.. وَطَبِيعَا
أَنَا كَنْتُ مَتَاكِدَةً إِنْ بَابَا هِيرَفَضِ.. بَسْ فَوْجَنَتْ إِنَّهُ وَافِقِ..

«خالد» وقد صاح بها:
- أيه.. وافق؟!!

«منى»:- آه.. وافق ومصر إني اتجوزه... ثم تساقطت بعض دموعها..
«خالد» وكأنه غير مصدق:- وأنا؟!

«منى»:- حاولت اتكلّم معاه بخصوص جبي ليك.. فوجئت إنه ضربني على وثي.. وقال إنه عارف مصلحتي أكثر مني.. وإن مستقبلي مضمون مع الدكتور.. وإن هتعب معاك..

كانت «منى» تتحدث، واختلط حديثها بدموعها.. و «خالد» ينصلّ لها، وكأنه لا يصدق ما تسمعه أذناه.. ماذا يريد ذلك الأب المجنون؟.. كان يخبره بأنه يريد شخصاً لابته فريداً من نوعه.. ولكن يبدو أنه كان يريد أيّ شخص.. إلا «خالد حسني».. أنا.. هل يضيع حب تلك السنوات ما بين عشية وضحاها؟!.. إنه لم يحب في حياته مثلما أحب «منى».. ولماذا لم تعترض «منى» على قرار أبيها؟!.. هل استسلمت خوفاً من عنوتها؟.. كلّها أسئلة دارت في ذهنه، بينما كانت

تحدث «مني»، حتى طلبت منه الرحيل كي لا تأخر في عودتها إلى متزها.. وكأنها تهرب من لقائه..

ابتسم «خالد» ساخراً مثيراً إليها يده أن ترحل دون أن يتحدث.. وكانت المرة الأولى التي يتركها ترحل بمفردها.. وجلس في مكانه ينظر إليها وهي تغادر، وكأنها المرة الأخيرة التي يراها بها، ويخفه ذلك الضيق الذي يشعر به.. تلك هي المرة الأولى التي يشعر فيها بالهزيمة.. إحساس لم يختفِ من قبل.. لم يتتبَّع في أية مرة تقدم إليها خطبها ورفض فيها.. كان يعلم أن هناك ما يُدعى (الأمل) الذي يجعله يتقدم إليها ولو مائة مرة حتى يقبل أبوها..

يتذكر تحمله لنظرات الناس إليه، وسخريةهم منه حين كان يخبرهم بأنه سيتزوجها ذات يوم، وستبقى قصة حب يخلدها التاريخ.. كان يظن نفسه أحق حين طلب منها ذات مرة أن يتزوجها دون معرفة أبيها حتى رفضت، ودام خصامهما لمدة طويلة حتى اعتذر منها مجدداً.. ولكنه أكثر حادة الآن.. «إنها ستتفق على ذلك الطبيب كما وافق أبوها ربما أرادت أن تقابلني تلك المرة كي ترضي ضميرها فقط لا غير».. هكذا حدث نفسه.. حب سنوات يذوب كقطعة جليد في ثوان قليلة..

حتى قطع تفكيره صوت رنين هاتفه الخلوي.. وحين قام بالرد
وجد صاحب العمل الذى يعمل لديه يعنفه لتغيبه، فلم يتمالك «خالد»
أعصابه، وأخبره أنه لن يعمل لديه مجدداً.. وأغلق الخط على الفور..

بعدها عاد «خالد» إلى بلدته . كان يمشي في شوارعها مطأطاً
الرأس.. يشعر بطعم الهزيمة في حلقه.. لا يريد أن يتحدث إلى أحد..
حتى وصل إلى بيته ، ودخل غرفته ثم نظر إلى حوائطها المليئة بتلك
الأوراق التي كان يعلقها دائمًا.. أوراق طلبه للزواج من «منى» ورفضه
في الشهافي مرات ..

وقف أمام كل ورقة على حدة، ونظر إليها وهي سخر من نفسه..
ويضحك بصوت عالٍ كأنه أصابه الجنون.. حتى قام بتمزيقها كلها..
ثم جلس على أرضية الغرفة واضعاً رأسه بين يديه.. يسبح بين ذكرياته
مجدداً، حتى انتفض ذاهباً إلى حجرة جده.. رفيق حياته.. حتى وجده
قد أنهى صلاتهما.. فسألته على الفور:

- أنت قلت لي إن فيه حد عنده كلام كتير عن السرداد..
رد جده في هدوء: -أنت خلاص قررت؟

«خالد»:- أيوه.. أنا عاوز أنزل السرداد..

جده:- عشان «مني»؟!!

تمالك «خالد» نفسه:- «مني» خلاص راحت من إيدي .. وخلاص
سبت شغلي.. ولازم أنزل..

ثم أكمل:

- لازم ألاقي حاجة واحدة في حياتي أقدر أحكيها لولادي من
بعدي.. عاوز أحس مرة واحدة إني بطل قدام نفسي.. إحساس بفشلني
بيقتلني..

سؤال جده مجدداً:

- مش خايف إنك مترجعش زي أبوك وأمك؟
رد «خالد»:- صدقني.. الحاجة الوحيدة اللي كنت خايف عليها..
إني أسيك لوحشك، لكن طالما أنت بتشجعني، مفيش مكان لأي
خوف في قلبي..

ابتسم جده:- والعفاريت.. والأشباح.. وإنه مسكون؟

«خالد»:- معتقدش إني هلاقي عفريت أصعب منبني آدم.. أنا
خلاص قررت إني هنزل.. وكان عندك حق لما قلت لي إن «مني» مش

هي السبب.. بالعكس بعد ما «منى» راحت من إيدي بلحظات، زاد حبي للنزول أكثر من الأول..

ثم أكمل:- يمكن ألاقي في السرداد الذكرى اللي تخليني أقدر أنسى إهانة ست سنوات لنفسي.. ثم نظر إلى جده:

- مين الرجال ده.. وفين ألاقيه.. فابتسم جده:

- اطمـن.. هو سمع كل كلامنا.. ويمكن أتأكد إنك عاوز تنزل السرداد فعلـا..

نظر «خالد» في دهشة إلى جده.. وكأنه لا يفهم شيئاً، حتى دخل عليهما رجل عجوز يقترب في سنه من جده.. وعلى الفور تحدث جده وأشار إلى العجوز:

- أعرـفك.. ده مجنون السرداد.. أكيد تعرفه..

نظر إليه «خالد»:

- أيوه طبعـا.. الحاج «مصطفى أصلان».. ولا أنت مفـكرني من بلد تانية؟

أكمل جده:

«مصطففي» كان أول واحد فكر إنه ينزل السرداد من حسين سنة.. وكنا مسمينه مجنون السرداد.. وكان دائمًا يقول إن عنده معلومات محدش يعرفها عن السرداد غيره، ومستنى اليوم اللي يقرر فيه حد ينزله.. بعد ما أبوك وأمك مرجعوش. ثم تركهما كي يكملا حديثهما بمفرد هما..

نظر «خالد» إلى ذلك العجوز.. وتعجب مما قاله جده، فإنه يعرفه منذ سنوات عدة.. ولكنه لم يكن يعلم أنه مجنون السرداد الذي طالما سمع جده يتحدث عنه وهو صغير.. حتى قاطع صمته العجوز:
- جدك حكى لي أديبه أنت عاوز تنزل «سرداب فوريك».. وأنا أتأكدت دلوقتي..
رد «خالد»:- أيه.. بس أنا أول مرة أسمع إن السرداد اسمه «سرداب فوريك».. تابع العجوز حديثه:
- هو ده الاسم الحقيقي للسرداب.. ولو بحثت عن الاسم ده في أي مكان استحالة تلاقي أي معلومة عنه..

شم تنهـد وأكـمل:- يمكن الناس بـتـفـكـرـنا أنا وجـدـكـ في عـدـادـ
المـجاـنـينـ.. وـمـشـ مـصـدـقـينـ إـنـاـ منـ خـسـيـنـ سـنـةـ نـزـلـنـاـ السـرـدـابـ فـعـلـاـ..
بسـ دـيـ عـنـهـمـ حقـ فيـهاـ..

انطبـعـتـ الـدـهـشـةـ عـلـىـ وـجـهـ «ـخـالـدـ»ـ مـجـدـاـ حـتـىـ سـأـلـهـ:
ـ أـيـهـ؟ـ عـنـهـمـ حقـ.. يـعـنـىـ أـيـهـ؟ـ

أـكـملـ العـجـوزـ:- أـيـوهـ.. عـنـهـمـ حقـ.. يـمـكـنـ دـيـ مـعـلـومـةـ أـنـاـ
الـوـحـيدـ الـلـيـ أـعـرـفـهـاـ.. إـنـ مـنـ خـسـيـنـ سـنـةـ لـماـ نـزـلـنـاـ اـحـنـاـ الـأـرـبـعـةـ..
مـتـرـلـنـاـشـ سـرـدـابـ فـورـيـكـ.. وـيمـكـنـ عـشـانـ كـدـهـ طـلـبـتـ مـنـ جـدـكـ إـنـهـ
يـسـيـبـنـاـ لـوـحـدـنـاـ.. لـإـنـيـ مـشـ عـاـوـزـ أـحـطـمـ نـقـطـةـ فـخـرـهـ بـنـفـسـهـ..
قـاطـعـهـ «ـخـالـدـ»ـ وـمـازـالـ مـنـدـهـشـاـ:- أـمـالـ النـفـقـ الـلـيـ نـزـلـتـوـهـ دـهـ كـانـ أـيـهـ؟ـ
الـعـجـوزـ:- النـفـقـ دـهـ مـجـرـدـ طـرـيـقـ لـسـرـدـابـ فـورـيـكـ.. وـالـدـلـلـيـلـ عـلـىـ
كـلامـيـ إنـ النـفـقـ عـلـىـ عـمـقـ مـشـ كـبـيرـ.. وـلـهـ مـسـافـةـ مـعـيـنـةـ، وـالـدـلـلـيـلـ الأـكـبـرـ
إـنـ لـمـبـاتـ الـجـازـ انـطـفـتـ بـعـدـ دـقـايـقـ مـنـ نـزـولـنـاـ..
ابـتـسـمـ «ـخـالـدـ»ـ:- آـهـ.. العـفـارـيـتـ..

ضـحـكـ الرـجـلـ:

- لا.. تقصد التهوية.. النفق غير السرداد.. الأكسجين في النفق قليل.. وتقربياً ممكن ميكونش موجود لو باب النزول اتفقل.. ووقتها لما لمبات الجاز انطففت أنا قلت عفريت.. والكل خاف وجري.. بس بعد كده اكتشفت إنه كان خيال حد فينا.. ومن جوايا كانت سعادتي ملهاش وصف.. لاني حستيت إني حطّيت رجلي على أول طريق السرداد.. وفضلت حاطط أمل لنفسي إني هوصل للسرداد في يوم.. بس السنين فاتت، والمرض حاصلني، وفضلت مستني اليوم اللي ينزل فيه حد غيري السرداد.. ويتحقق حلمي.. ثم أخرج كتاباً قدّيماً كان معه.. وأكمل:

- الكتاب ده من نسخة واحدة.. اللي كتبه شخص نزل السرداد قبل كده.. لقيته بالصدفة في كتب والدي لما كنت شاب.. لكن للأسف عامل الزمن أثّر عليه قبل ما ألاقيه .. فكان السليم منه تقربياً عشر ورقات بتتكلم عن سرداد فوريك.. ثم أعطى الكتاب لـ «خالد».. وأشار إليه أن يقرأ سطور الكتاب بصوت عالٍ..

أخذ «خالد» الكتاب ليقرأ وريقاته.. بينما جلس العجوز ليستمع إليه، ويختبئ كوب الشاي الذي برد بالفعل.. وبدأ «خالد» في قراءة سطوره المكتوبة بخط اليد.. والذى تحدث عن «فوريك» أحد الآثرياء الذين تواجدوا في العصر المملوكي.. وقد كان يمتلك تلك المنطقة التي يوجد بها بلده -البهو فريك- .. والتي كانت تسمى وقتها.. «بهو فوريك» .. وما يحيطها من بلدان، وقد أمر أن يتم حفر ذلك السرداد على عمق كبير كي يكون ملاذاً له ولأهل مدنته إن تعرضت بلاده لأى غزو.. واستغرق حفره وتشييده أكثر من خمسة عشر عاماً.. وقد خُزنت به ثروات كثيرة منذ ذلك الزمان..

ثم تحدث -من قام بكتابة هذا الكتاب- عن رحلته للسرداد.. وعن ذلك النفق الذى لا توجد به تهوية.. ولا بد من تجاوزه في أسرع وقت إلى السلم الحقيقى للسرداد .. والذى يمتد لأكثر من ثلاثة متراً تحت الأرض.. ومنذ تلك اللحظة فلن توجد أدنى مشكلة بالتهوية.. فقد صُمم ذلك السرداد بكل براعة.. لا يُعرف كيف تمت تهويته بتلك الطريقة.. أما تعجب «خالد» فقد ازداد حين قرأ أن السرداد لا يكون مظلماً يوم يكتمل البدر في السماء رغم وجوده تحت الأرض.. إنهم

مهندسوا الماضي.. يا لها من براءة.. حتى انتهت العشر ورقات حين
كتب صاحبه:

- «كنت أظن أن الكنز الحقيقي هي الشروات التي خُزِّنت به..
ولكني اكتشفت ما هو أثمن من ذلك بكثير، وأعظم من كنوز فوريك..
إنني اكتشفت...» حتى انتهت العشر ورقات دون أن تكتمل الجملة!!

نظر «خالد» إلى العجوز في لففة:

- اكتشف أيه؟

فأخبره العجوز أنه لا يعلم.. إنه وجد الكتاب على تلك الحالة..
ويظل السؤال قائماً «ما الذي اكتشفه صاحب هذا الكتاب؟» والذي
ظل يشغل طوال حسين عاماً.. ثم نظر إلى «خالد»:

- لو كنت عاوز تكتشف اللي اكتشفه.. لازم تكون في السردادب
الليلة دي..

«خالد»:- الليلة دي؟!!

العجز:- أيوه.. الليلة دي القمر بدر.. وده التوقيت اللي بيكون فيه
السرداب فيه إضاءة على حسب كلام الكتاب..

صمت «خالد» قليلاً.. ثم نظر إليه..

-وأنا مستعد أنزل.. مستعد لفرصة حياني..

كانت الساعة تقترب من السادسة حين تركه العجوز وغادر..

وترك معه ذلك الكتاب الذي تصفحه لأكثر من مرة.. ومع كل مرة
تزداد رغبته في نزول السرداً.. يدفعه ذلك الفضول إلى معرفة ما
اكتشفه كاتبه.. يشعر أنه يمتلك سراً من أسرار الزمان.. ويسأل نفسه..
هل اكتشف كنوزاً لا حصر لها؟.. هل توجد آثار بالأسفل، وأكون أنا
مكتشف القرن الحادي والعشرين؟.. وظل هائماً في أحلام اليقظة..

اقربت الشمس من المغيب فصعد أعلى بيته.. ونظر إلى بلدته..

ينظر إلى تلك الأراضي الزراعية.. وإلى الأشجار العالية، والطيور التي
تزينها.. ينظر إلى البيوت المجاورة وكأنه يراها لأخر مرة.. يستنشق
نسيم بلده العطر، ويتحدّث إليه.. ربما يكون آخر نهار لي هنا.. أتمنى ألا
يكون.. حتى عاد إلى حجرته ليتم استعداده لرحلته..

مر الوقت، ودخل الليل، وزينت السماء بالبدر.. وها هو يتظر
حتى يسكن المدوء البلدة.. وهو يعلم أنه لن يتذكر كثيراً.. فعادة ما
يدبُّ المدوء البلدة بحلول العاشرة مساء على الأكثر.. لا يتأخر بها
سوى صديقه دكتور «ماجد منير»، والذي يغلق صيدليته في وقت قد
يتجاوز الثانية عشرة.. إنه لا يريد أن يراه أحد وهو متوجه إلى ذلك البيت
المهجور في أطراف البلدة..

حتى دقَّت الساعة الواحدة صباحاً.. واستعد للرحيل، ونظر إلى جده
مبسمَاً وموداعاً له:

- إن شاء الله هرجم..

ابتسم جده:

- أكيد هترجع إن شاء الله.. أنا ابن ابني بطل.. ثم طلب منه أن
يتذكر لحظة.. وقد أخرج ذلك الصندوق الخشبي.. وأخرج منه ذلك
(الألبوم) القديم.. فسأله «خالد»:

- أيه ده؟!!

قام جده بتقليل بعض صفحاته، ثم وقف على تلك الصورة التي
توقف أمامها من قبل وتحدى إليه:

- عارف مين دول؟

نظر «خالد» وما زالت الدهشة تتملّكه .. حتى أكمل جده:

- دى صورة أبوك وأمك .. كانت آخر صورة لهم قبل ما يسيبوني .. ثم
دمعت عيناه ..

نظر «خالد» إلى الصورة .. ودمعت عيناه هو الآخر .. وظل متأنلاً
بها لفترة:

- أول مرة أشوف صورتهم ..

أكمل جده:- كنت مستني اليوم ده .. وفضلت معذب نفسي عشان
اليوم ده .. ثم أعطاه الصورة، ومسح بيده دموع «خالد»، واحتضنه ..
فهمس «خالد» في أذنه:

- هرجع لك يا «عبدة» .. هرجع .. ثم غادر ..

كان الهدوء يسود البلدة .. ولم يكن يسير بشوارعها أحد سوى
«خالد» والذي كان يحمل شنطة في كتفه، بها من الطعام ما يكفيه لعدة
أيام، ومصباح للإنارة، والكتاب الذي أعطاه له العجوز، وبعض

الأوراق والأقلام، اعتقاد منه أن هناك ما يحتاج لتدوينه.. وقد وجد
عدم حاجته لكاميرا تصوير؛ فوجود هاتفه الخلوي يعنيه عن ذلك..
كان يسير مسرعاً إلى أطراف البلدة حيث ذلك البيت المهجور..
وما أن اقترب منه ومن سوره العالي حتى عزم على تجاوز ذلك السور..

أما جده فكان يجلس وحيداً يقرأ في كتاب الله، ويدعوه أن يعود
به سالماً.. حتى سمع طرقات على باب بيته.. وقد ظن أن «خالدًا» عاد
من جديد.. وما إن قام ليفتح الباب حتى وجد «منى» في وجهه.. وقد
اندهش حين وجدها أمامه في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. حتى
سألته:

- فين «خالد»..؟!! ومش بيرد على تليفونه ليه؟!

رد جده:- ليه؟!

أجابت «منى» في فرحة:

- خلاص يا جدو.. قدرت أقنع بابا إننا نتجاوز أنا و«خالد»..
ومش قادرة استنى للصبح عشان أقوله.. خايفة يكون لسة زعلان من
الصبح، فابتسم العجوز ثم صمت..

تجاوز «خالد» سور البيت المهجور.. وقد أنار مصباحه حين
وصل إلى مكان الصخرة الذي وصفه له جده بالتفصيل.. والتي كان
يصعب أن يصل إليها دون وصف جده له.. حتى حاول إزاحتها فلم
يستطيع في البداية رغم قوته البدنية.. فحاول مرة أخرى دون أن
يستطيع.. فصاح بنفسه أنه لن يستسلم.. وعاد للمحاولة مرة ثُمْ مرَّة ثُمْ
مرة.. وقد سال العرق من جبينه، ولكن دون جدوٍ..

حتى وجد لوحاً من الخشب ففكَر أن يكون وسيلة لإزاحة
الصخرة.. وبدأ يحاول من جديد ويصرخ مجدداً لن استسلم.. ويدفع
بقوة، ويضغط أسنانه ببعضها.. ويدفع مجدداً اللوح الخشبي.. ويصبح،
ويدفع.. حتى تحرَّكت الصخرة بعض الشيء تبعها سقوطه على
الأرض.

ما إن تحرَّكت الصخرة تلك الحركة الضئيلة حتى سهل تحريركها
بعد ذلك.. ودفعها رويداً رويداً.. بعيداً عن ذلك الباب الحديدي الذي
كان يرقد أسفلها.. حتى سقط على ركبتيه.. وقد ازدادت ضربات قلبه،
وزادت سرعة تنفسه.. ويقول مبتسمًا لنفسه:
- أجد يا بطل.. أحناله في البداية..

بعدها نظر إلى الباب الحديدي الذي كان جزءاً مربعاً من الأرضية.. وقد سمي الله.. وقام بفتحه، فلم يكن موصدًا بأي نوع من الأقفال سوى الصخرة.. وما إن فتحه، وأحدث صوتاً يدل على غلقه لمدة طويلة.. ووجه ضوء المصباح بداخله حتى وجد سلماً عمودياً إلى الأسفل.. وتحدى إلى نفسه مجدداً ومشجعاً لها:

- بسم الله نبدأ طريقنا إلى السرداب..

بعدها بلحظات بدأ نزول ذلك الليل.. وما إن نزل حتى فوجئ بالباب ينغلق مجدداً.. وكأنه حبس.. فعلم أن اللوح الخشبي الذي كان يدعم فتح الباب قد كسر.. ولكنه لم يتم بذلك.. ما شغل به هو أن يتجاوز النفق في أسرع وقت.. وتتابع نزوله دون أن ينظر لأسفل.. بل يخطو درجة وراء الأخرى.. حتى وجد نفسه داخل ذلك النفق المظلم.. ولا يوجد به ضوء سوى ضوء مصباحه.. فتحرك بضع خطوات يتحسس طريقه.. يمسك المصباح بيده اليمنى، ويزيح شباك العنكبوت الكثيفة بيده اليسرى.. حتى سار لعدة أمتار فبدأ يشعر بسرعة ضربات قلبه.. يحاول أن يرى نهاية ذلك النفق.. ولكن دون جدوى، فشباك العنكبوت حالت دون ذلك..

تقدّم «خالد» في الظلام أكثر وأكثر.. وحاول أن يُسرع.. يبحث عن سلم السرّادب الذي أخبره به العجوز.. حتى شعر بضيق صدره.. فأسرع في تحركه.. حتى قلّ الهواء بصورة شديدة.. وبدأ يضع يده على رقبته من الاختناق.. الاختناق يزداد.. ولا يجد ذلك الطريق إلى السرّادب.. يجري كالملجنون وقد خرت قواه.. يتحسّن حوائط النفق بيده.. يبحث عن أية فجوة بها.. ولكن لا فائدة.. يسأل نفسه.. أين أنت إليها الطريق؟.. يعلم أنه لن يستطيع حتى العودة إلى سلم النفق.. فقد يموت مختنقًا قبل أن يعود إليه.. يسرع في طريقه إلى الأمام.. يبحث في كل مكان.. على الجانبين، وأعلى، وأسفل.. ولكنه لا يجد شيئاً.. حتى سقط على الأرض.. وسقط بجانبه مصباحه، وصرخ بصوت واهن:

- لا يوجد سرّادب.. لا يوجد..

ثم صمت.. وأمال رأسه جانبياً.. وكاد يغمض عينيه مستسلمًا.. حتى نظر بعيداً إلى بقعة أضاءها مصباحه الملقي بجواره.. فابتسم ابتسامة يشوبها إعياء شديد، وتحذّث بصوت خافت:

- سرداد فوريك .. ثم أغمض عينيه للحظات حتى فتحها مرة أخرى
.. ونظر مجدداً إلى ألواح خشبية متراصة ظهرت في بقعة الضوء، وكأنها
بابٌ صغيرٌ يوجد بأحد جانبي النفق ..

(٣)

كان الباب الخشبي يبعد عن «خالد» عدة أقدام.. وما زال «خالد» مُلْقِي على ظهره من شدة الإعياء حتى انتفض مجدداً، وتحرك بجسده تجاه ذلك الباب.. ويُزحف كأنه إحدى الزواحف.. لا يقوى أن يقف على قدميه، وينازع اختناقه كمن ينمازغ الغرق.. يتحرك بجسده، ويدفع بقدميه، ويستعين بذراعيه.. وقد وضع مصباحه بين فكّيه.. يقاوم أكثر وأكثر.. ويحدث نفسه أنه الأمل، إنه سرير فوريك.. حيث الهواء.. حيث الحياة، يهدى بكلمات يقوى بها نفسه.. ويقترب أكثر وأكثر من الباب.. ويدفع بقدميه في قوّة.. حتى توقف جسده مرّة أخرى بعدما خرت قواه مجدداً، ولم يكن يتبقى سوى أقل من قددين نحو الباب، ولم يَعُدْ يقوى على المقاومة..

تنظر عيناه إلى الباب.. ويحاول أن يُمْدَدْ ذراعه إليه لكنها لا تلمسه وكأنها استسلمت.. حتى صرخ صرخة قوية، وكانه يجمع ما تبقى لديه من قوّة، وقدف بجسده تجاه الباب كصخرة اندفعت نحو باب خشبي قديم قد أذابه الزمن.. حتى انكسرت ألواحه.. واندفع «خالد» بداخله

ليجد جسده يهوي على سلم خشبي مغمضاً عينيه.. ويتدرج كما تدرج الكرة حين تسقط على درجات سلم.. ولم يستطع السيطرة على جسده على الإطلاق.. ويرتطم بين الحين والآخر.. ويزداد سقوطه أكثر وأكثر.. ثم هدا ارتطامه قليلاً حتى توقف.. وقد فتح عينيه ليجد نفسه في مكان مختلف على الإطلاق..

فتح «خالد» عينيه.. فوجد نفسه ملقى على إحدى درجات السلم العريضة.. وقد انتعش صدره بالهواء، وكأنه ارتوى بشر من الماء بعد ظمأ شديد.. وزاد سروره حين وجد نفسه يرى كل شيء دون الاستعانة بمصباحه، وقد زال ظلام النفق.. حتى وقف على قدميه وصرخ:
- أنا في سرداد فوريك.. أنا في سرداد فوريك..

بعدها نظر إلى أسفل حيث لم ينته السلم بعد.. وقد أسرع إلى أسفل، يخطو درجاته في أمل.. لا تعلوه آلام ارتطامه حين سقط.. يريد أن يكتشف كل شيء في وقت قليل قبل أن يختفي البدر.. ويتحذّث إلى نفسه؛ إن كل ما ذكره الكتاب حتى الآن قد وجدته.. فالهواء موجود بالفعل، وإضاءة البدر تثير له طريقه، وكأنها جمعت لتزداد قوّة إضاءتها

داخل السرداد.. يالها من براءة هندسية.. ولكن يظل سؤاله إلى نفسه.. «ماذا اكتشف صاحب الكتاب؟!».. حتى انتهى السلم.. ووصل إلى نهايته، فوجد نفسه في السرداد..

وجد «خالد» نفسه أمام نفق كبير كثيراً من النفق الذي مرّ به سابقاً.. فارتفاعه يقترب من عشر أمتار.. واتساعه يبلغ مثل ارتفاعه.. حتى سار به، وينظر إلى جدرانه الضخمة في دهشة.. وكأنه في مزار سياحي.. وقد أخرج قلمه وأوراقه.. وأخذ يكتب بعض السطور عما يراه.. ويتقدّم أكثر وأكثر، ويسأله نفسه كيف يوجد هذا السرداد الضخم أسفل بلده ولا يعلم أحد شيئاً عنه سوى صاحب الكتاب المجهول، وبعض الأشخاص الذين لن يصدقُهم أحد؟!!.. إنه قد يكون أعظم اكتشاف في العصر الحديث.. وقد يجعل من بلده مزاراً سياحياً.. يبدو أن الكاتب قصد باكتشافه السرداد نفسه.. ويسير منبهراً ويتقدّم.. ويضحك بهستيرية، لقد انتهى الألم.. ولعله يجد أحد الكنوز الآن..

يبحث في كل جوانب السرداد.. لا يريد أن يترك شبراً واحداً يفوته.. حتى ارتطم قدماه بشيء ما.. وما إن نظر إليه حتى انتفاض قلبه حين وجده هيكلًا عظيمًا لأحد الأشخاص.. وقد كانت المرة الأولى التي يرى فيها مثل هذا الهيكل، ولكنها لم تكن الأخيرة.. فكلما تقدم وجد أكثر وأكثر.. حتى بدأ الخوف يتسلل إلى قلبه.. وكان تلك المياكل تتحدث إليه، وأنها مصير كل من دخل هذا السرداد.. وحدث نفسه.. ربما يكون أحد تلك المياكل لأبيه أو أمه.. ولكن تمنى أن تكون الحقيقة غير ذلك..

بعدها شعر «خالد» أن الإضاءة تقل شيئاً فشيئاً من خلفه.. فنظر إلى ساعة يده فوجدها قاربت الخامسة فجراً.. وعلم أن البدر قد بدأ في زواله.. ولا يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك.. ما ذكره الكتاب أن السرداد يظل مضاءً وقت وجود البدر.. ولم يذكر شيئاً آخر، وتمنى أنه لو كان يمتلك الكتاب كله..

حتى مر بعض الوقت.. وتلاشت معه إضاءة السرداد تدريجياً.. ولكنه لم يعط اهتماماً لذلك.. وتقدم أكثر وأكثر.. حتى وجد صورة

لشخص.. تبدو على ملامحه الشراء.. منقوشة على أحد جداري السرداد، فتحدث إلى الصورة مبتسماً:

- أكيد أنت «فوريك».. أحب أعرفك بنفسي.. أنا «خالد حسني»، مكتشف سر دابك العظيم.. واللي بسبيك هيعيش أحلى أيام حياته..

ثم ضحك.. وأخرج هاتفه الخلوي ليلتقط له صورة.. وما إن التقط هاتفه الصورة حتى شعر بهزة عنيفة تحت قدميه تزامنت مع بدء الظلام من خلفه.. حتى نظر خلفه فجأة فوجد جدران السرداد تنهار.. ويقترب الانهيار منه بشدة، فعاد بظهوره للخلف ببعض خطوات.. بعدها لم يجد أمامه سوى أن يلتفرج ويجرئ للأمام..

يجري «خالد» سريعاً.. وانهيار الجدران يسرع خلفه، وكأنه فريسة يلاحقها أسدٌ مفترس.. لا يصدق عينيه.. يشعر بأنه في حلم ما، ويسرع.. وتسمع أذناه صوت ارتطام صخور الجدران الضخمة.. لو أصابته صخرة واحدة لقتلته... حتى سقطت شنطة كتفه وما بها.. ولكنه لم يعبأ بذلك.. وواصل عدوه... تساعدته قدماء الطوبيتان وخطواته

الواسعة.. ويجري إلى حيث لا يعرف مصيره.. يجري إلى المجهول.. ويصرخ بداخل نفسه.. كيف يعود إلى بلده مجدداً؟!.. إنه أهلاك .. إن السرداد ينهار.. ماذا حدث بالأعلى.. هل هناك زلزال ما ضرب الأرض بالأعلى؟!..

حتى وجد نفسه أمام طريقين قد انقسم إليهما السرداد... واندفع إلى أحدهما دون رغبته.. بل دُفع إليه بعدما انهار الطريق الآخر قبل أن يصل إليه.. وكان الانهيار يتحكم في مساره.. حتى فوجئ بنفسه يجري إلى منحدر يتوجه إلى أعلى.. ويلاحقه الانهيار أسرع وأسع يزيد أن يتلعلع..

يحاول أن يقاوم صعوبة الصعود.. ويتقدم، وما زال النور أمامه والظلام من خلفه.. ويخطو بقدميه سريعاً.. حتى وجد نوراً شديداً على مرمي بصره، وكأنه نور النهار الذي يعرفه جيداً حين كان يفتح نافذة حجرته صباحاً.. فأسرع إليه.. «إنها النجاة مجدداً.. لابد وأنه مخرج آخر للسردان». هكذا حدث نفسه.. وما زال الظلام والانهيار يلاحقه حتى أسرع، وقد اقترب من الفتحة وقفز خارجاً منها لتهار هي من أسفله.. وتغلق وكان الأرض قذفته خارجها..

وجد «خالد» نفسه ملقى على الأرض.. ورأسه منغمس في رمال.. فرفع رأسه، وأزال الرمال عن وجهه، وعن عينيه.. ونظر إلى السماء وضحك.. وشكر الله بعدهما ظن أنه عاد مرة أخرى إلى أعلى.. وأنه قد نجا من انهيار ذلك السرداد الذي يبدو ملعوناً.. حتى نظر إلى السماء مجدداً.. ولا حظ زرقتها وصفاءها إلى درجة لم يرها من قبل.. ثم نظر حوله فوجد رمالاً في كل مكان، وعلى مرمى بصره، وكأنها صحراء.. حتى قام وقد دار بجسده ليرى ما حوله.. فلم يجد سوى صحراء واسعة تظللها سماء في غاية الصفاء.. حتى ضرب رأسه بيده، وتحدى بصوت عالي:

- فوق يا «خالد».. أنت بتحلم ولا أية.. أنت فين؟!.. وأيه اللي جاب الصحراء دي هنا..

ثم نظر حوله مجدداً.. ولا يجد بها إلا نفسه.. ولا يصدق ما يراه.. وسأل نفسه مجدداً أين هو.. ثم سار بعض الخطوات في كل اتجاه.. ولكن دون جدوى.. إنها صحراء لا يوجد بها أحد.. حتى جلس مكانه في دهشة.. ونظر إلى فتحة السرداد التي خرج منها فوجدها وكأنها لم تكن.. فضحك ساخراً.. وتحدى في خيبة أمل:

- بـاين السر داب ده كان معمول عـشان نـعـمـر الصـحـرا.. والـكـنـز
 وفوريـك دـه كان مـقلـب.. ويـاتـرى أـنـا فـي الصـحـرا الشـرقـية.. ولـأـ
 الغـرـيبة.. ولـأـ في سـيـنا؟!!.. ولـأـ كـونـ عـبرـتـ الحـدـود.. وـرـحتـ لـيـبيـا..
 أوـالـسـعـودـيـة.. ثـمـ صـرـخـ وـكـأنـهـ أـصـابـهـ الجـنـونـ:
 - أناـ فـيـنـ؟!!???

- مرـتـ سـاعـاتـ عـلـىـ جـلوـسـ هـكـذـا.. يـجـلسـ لـاـ يـعـلـمـ أـيـنـ يـذـهـبـ..
 وـقـدـ خـلـعـ قـمـيـصـهـ، وـوـضـعـهـ فـوـقـ رـأـسـهـ كـيـ يـقـيـمـ حـرـارـةـ الشـمـسـ.. وـقـدـ
 اـنـدـهـشـ حـيـنـ نـظـرـ إـلـىـ سـاعـةـ يـدـهـ فـوـجـيـ عـقـارـبـهاـ تـوقـفـتـ عـنـ الـحـرـكـةـ .. وـلـمـ
 يـفـكـرـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ كـثـيرـاـ حـيـثـ فـوـجـيـ بـرـجـلـيـنـ يـجـرـيـانـ فـيـ الصـحـراـءـ بـعـيـداـ
 عـنـهـ.. فـأـسـعـ إـلـيـهـاـ عـلـىـ الـفـورـ.. وـبـدـأـ الـأـمـلـ يـدـبـ فـيـ قـلـبـهـ، وـحـدـثـ
 نـفـسـهـ وـهـوـ فـيـ اـتـجـاهـهـ إـلـيـهـاـ:

- أـكـيدـ دـوـلـ عـارـفـينـ اـحـنـاـ فـيـنـ وـهـرـجـعـ لـبـلـدـيـ تـانـيـ..
 حـتـىـ اـقـرـبـ مـنـهـاـ.. وـلـاحـظـ زـيـئـهـاـ الغـرـيبـ وـشـدـةـ إـعـيـانـهـاـ، وـكـأنـهـاـ
 مـرـيـضـانـ بـمـرـضـ مـزـمـنـ شـدـيدـ.. وـمـازـالـاـ يـجـرـيـانـ بـسـرـعـةـ.. حـتـىـ أـوـقـفـهـاـ..
 وـسـأـهـمـاـ:

- لوسمحتوا، أناحتاج مساعدتكم..
ولكنهم ترکاه.. وواصلا جربها، فأسرع خلفها ليوقفها مجدداً:
- أنتو بتجروا اليه؟!.. فنظر إليه أحد هما:
- ألا ترى مانحن به؟!
تعجب «خالد» من هجتها الغريبة.. وابتسم ساخراً وكأنه يقلده:
- أجل أرى يا سيدى.. ثم سأله:
- احنا في السعودية ، صح؟!
نظر إليه الرجل متتعجباً:
- ماذا تعنى السعودية؟!!
ابتسم «خالد».. وقد زفر زفيرًا طويلاً.. وتحدث إلى نفسه:
- دول في الضياع..
ثم سأله الرجل الآخر:
- أنت غريب؟
فأجابه «خالد» على الفور:
- أية أنا غريب .. ثم أكمل..
- احنا فين؟ .. وانتو مين؟..

أجابة أحدهما:

- إننا فقراء.. وقد هربنا إلى الصحراء.. ألا يوجد معك طعام؟!

أجابة «خالد»:- لا للأسف.. كان معايا بس ضاع مع الشنطة.. ثم

وضع يده في جيئه، وأخرج ورقة من فئة العشرة جنيهات.. وأكمل:

- أنا معايا فلوس ممكن تشتروا أكل لو قلتوالي احنا فين.. وازاي أرجع

بلدي..

خطف أحدهما ما أخرجه «خالد» من نقود.. ثم وضعها بفمه

وأكلها.. فاندهش «خالد»، وسأله متعجبًا:

- أنت جعان للدرجة دي؟.. أنت أكلت الفلوس !!

فأجابه ذلك الذي سأله عن السعودية:

- ماذَا تعنى بالنقود.. إنها ورقه.. وقد أكلها صديقي الجائع، ثم أكمل:

- يبدو لي أنك كريم، وهذا تأكّدت أنك غريب عن هنا.. وأشعر بأنك

غني للغاية..

ضحك «خالد».. ونظر إلى نفسه، وملابسـه البالية والتي غطـأها

تراب النـقـقـ والـسـرـدـاـبـ، وحالـتـهـ التـيـ يـرـثـىـ هـاـ.. وـسـأـلـ نـفـسـهـ.. أـيـ غـنـىـ

يتحدث عنه ذلك الأبله؟.. عشرة جنيهات رآها شعر بأنني غني.. ثم
تجاوب معهما وكأنهما مجنونان.. وسألهما مجدداً، وقد ضاق صدره:
- دلو قتي أنا عاوز أعرف أنتو هتعيشوا إزاى في الصحراء دي؟!؟ ،
وهربانين من أيه؟... وسوالي الأهم.. احنا فين أساساً؟..

أجابه الذي أكل النقود في تعب:
- إننا فقراء، وستكون الصحراء أفضل لنا كثيراً من أرض
زيكولا.. حتى لا يأتي يومنا كمن سبقونا.. لعل الحظ ساعدنا، و Herbina
بأعجوبة وتركنا من نحب قبل هذا اليوم..

اندهش «خالد» من الاسم:
- أرض زيكولا؟!!
سؤاله الرجل الآخر:
- ألا تعرف أرض زيكولا؟!

أجابه «خالد»:- لا.. فين زيكولا دي؟.. أنا مش شايف إلا صحرافي
كل مكان..

فأكمل الرجل:

- ييدو أنك غريب عن الدنيا كلها.. من يوجد في هذا الزمان ولا يعرف
أرض زيكولا؟ ! ثم أكمل الآخر محدثنا صديقه:
- إنهم الأغبياء، يسخرون منا دائمًا هكذا.. ثم أشار إلى «خالد» أن
يتحرك عدة أمتار في اتجاه يده:- إنها هناك بالأسفل.. أيها الغني ..
ثم تركاه وواصلاً جريها في الصحراء.. وقد تحرك «خالد» إلى
الاتجاه الذي أشار إليه الرجل .. محدثنا نفسه:
- دول مجانين رسمي.. بس لازم أسمع كلامهم، مفيش حل
تاني.. وواصل تحركه.. حتى وجد نفسه على حافة هضبة عالية، فنظر إلى
أسفل حتى وجد مدينة كبيرة ذات منظر بديع من أعلى.. بها مبانٍ شتى،
وتخللتها مساحات خضراء وكأنها أراضٍ زراعية، ومسطحات من
الماء..

(٤)

اتسعت عينا «خالد» من الدهشة، وسأل نفسه كيف توجد تلك المدينة بجوار تلك الصحراء الجرداء؟!.. حتى قاطع تفكيره صباح أحد الرجلين إليه مجدداً:

- إياك أن تذهب إلى زيكولا.. إياك.. وواصل جريه مع صاحبه..

لم يُعطِ «خالد» اهتماماً لذلك المجنون، كما سماه.. وظل ينظر إلى تلك المدينة من أعلى.. ويسأل نفسه مجدداً، أين هو من العالم؟.. وأين توجد أرض زيكولا تلك؟.. حتى ابتسم حين نظر بعيداً إلى أسفل فوجد طريقاً طويلاً ممهدًا إلى تلك المدينة.. به كثير من التعرّفات ومرتفعاً إلى أعلى، حيث يمر بالقرب من تلك الهمبة التي يقف عليها.. فلم يجد أمامه سوى أن يسرع باحثاً عن ذلك الطريق.. يريد أن يذهب إلى المدينة في أسرع وقت بعد ما حلّ به الجوع والعطش، وبعدها يحاول أن يعرف أين هو..

بعدها سار «خالد» في الصحراء متوجهًا إلى ذلك الطريق الذي شاهدته عيناه.. وقد ظنَّ في البداية أنه قريب منه، ولكنه اكتشف غير ذلك تماماً.. وكُلُّما تقدم لم يجد شيئاً حتى اعتقد أنه سراب.. ولكنه تحقق من وجوده حين وجد عربة يجرها حصان، وتسير على مقربة منه.. فأسرع في اتجاهها فوجد أمامه ذلك الطريق الذي شاهده من أعلى.. ولكن سائق العربة لم يلحظ وجوده وابتعد بها عن «خالد» الذي واصل تحركه في نفس الاتجاه الذي سلكته العربة..

مرَّ الوقت وقد أصبحت الشمس عمودية.. وزادت حرارتها، وحلَّ الإرهاق والتعب على «خالد».. وبدأت آلام ارتطامه في السرداد تخل عليه مجددًا.. ولكنه تابع مسيرة رغم أنه يعلم أن هذا الطريق طويل للغاية، ولا بد له من تلقي قسط من الراحة.. ي يريد أن يصل إلى هناك في أسرع وقت.. يشعر أن هناك أملاً ما في انتظاره.. حتى سمع صوتًا من خلفه.. وحين التفتَّ وجد عربة يجرها حصان فأشار إلى سائقها أن أقف.. فأوقف السائق حصانه بالفعل.. فنظر إليه «خالد» في تعب:

- أنا عاوز أروح أرض زيكولا..

فنظر إليه السائق:

- وكم تدفع؟

فوضع «خالد» يده في جيئه.. وأخرج بعض النقود الورقية..

وأشار إلى السائق أن يأخذها.. فنظر إليه السائق في غضب:

- ورق؟!

ثم ألقاها في وجهه.. وتركه وغادر.. و«خالد» لا يفقه شيئاً

مجدداً.. وحدث نفسه بصوت مسموع:

- أيه حكاية الورق دي؟.. البلد دي كلها مجانيين ولا أيه؟!

وواصل تحركه مرة أخرى.. فجاءت عربة أخرى وحدث معها

مثلياً حدث مع العربة السابقة تماماً.. وتركه سائقها وغادر.. فابتسم

«خالد» ابتسامة بها خيبة أمل كبيرة.. «إنا زيكولا أرض المجانيين»

هكذا حدث نفسه.. وسار مسافة أخرى وازداد تعبه.. حتى سمع من

جديد صوت عربة، ولكنه حين نظر خلفه وجدها عربة ضخمة.. يبدو

عليها الثراء، وقد اختلفت عن العربات السابقة من حيث تصميماً

وأنفاقها.. فرأى أن يوفر تعبه.. ولا يشير إليها، ويكمم مسيرته.. حتى

مررت بجواره فوجد شاباً في مثل عمره متشبهاً بمؤخرتها دون أن يراها

سانقها.. وحين وجد «خالد» أشار إليه بيده أن يسرع إلى العربية.. فأسرع «خالد» إلى مؤخرة العربية هو الآخر.. وقد تثبت بها.. ونظر إلى ذلك الشاب في بسمة:- شكرًا.. فهمس الشاب إلى «خالد»، وقد وضع بيده على فم «خالد»:

- اصمت .. كي لا يسمعنا أحد..

سارت العربية في طريقها إلى زيكولا.. ويصبح سانقها إلى حصانه أن يسرع .. و«خالد» ومن معه ما زالا متثبيّن بمؤخرتها.. و«خالد» ينظر إلى ذلك الشاب في دهشة من ملابسه.. وأيضاً شعر «خالد» بدهشة ذلك الشاب التي بدت واضحة على وجهه.. حتى اقتربت العربية من سور ضخم.. فأشار الشاب إلى «خالد» أن يقفز معه تاركين العربية.. فقفزا.. وما إن نظر «خالد» أمامه حتى وجد سوراً ضخماً يبدو أنه يحيط بالمدينة.. ويصل ارتفاعه إلى ما يقرب من خمسة طوابق، وتزييه نقوش غاية في الجمال.. وبه باب ضخم للغاية، إنه باب زيكولا.. وقد كان مفتوحاً على مصراعيه.. تغر منه العربات مجيناً وذهاباً.. حتى نظر «خالد» إلى الشاب:

- أنا بشكرك جداً..

رد الشاب:- لا تشكرني يا أخي.. إننى مثلك تماماً كادت تقتلني حرارة الشمس..

سؤاله «خالد»:- أنت من زيكولا؟

رد الشاب:- نعم .. وأنت تبدو غريباً..

ضحك «خالد»:- أيوه.. أنا من البهوفريك .. بلد جنب المنصورة..

ارتسمت الدهشة على وجه الشاب:- ماذا؟!!

أسرع «خالد» وكأنه يصحح حديثه:

- أقصد مصر .. أنا من مصر ..

لم تختف دهشة الشاب:

- ماذا تقصد بمصر؟!!.. هل هي في الشمال؟

رد «خالد» في غرابة:

- أنت مش عارف مصر أم الدنيا؟

رد الشاب:- نعم أخي.. لا أعرفها..

صمت «خالد» مفكراً ثم أجابه وكأنه يريح نفسه من غرابة هؤلاء

الناس الذين يقابلهم:

- أيوه مصر في الشمال.. ثم سأله:

- احنا فين؟..

رد الشاب:- ألا ترى يا أخي .. إننا في زيكولا .. أرض الذكاء ..

لم يتألم «خالد» نفسه من الضحك:

- أرض الذكاء؟! .. لا فعلاً الذكاء واضح على كل اللي قابلتهم، ثم

سأله:

- يعني تبع دولة أيه؟.. قارة أيه؟

رد الشاب متعجلاً:- لا أنفهم قصدك .. إنها زيكولا فقط .. والآن

لابد أن أتركك .. إنني أضعت اليوم وقتاً من العمل .. ولا بد لي أن أقوم

بتعربيضه ..

وقد مد يده موعداً «خالد».. فابتسم «خالد»:

- أنا اسمى «خالد»..

رد الشاب:

- وأنا «يامن».. حظاً سعيداً في أرض زيكولا .. ثم تركه وغادر..

كان «خالد» مازال واقفاً أمام ذلك الباب الضخم للمدينة.. حتى تقدم إليه وما إن مر خلاله حتى شعر برعشة قوية تسرى بجسده، وألم شديد برأسه وكأنه يقتله.. حتى سقط على ركبتيه ممسكاً رأسه بيديه من الألم الذي لم يشعر بمثله في حياته.. وظل هكذا لعدة دقائق حتى بدأ الألم يتلاشى شيئاً فشيئاً، وكأنه لم يحدث ثم تابع مسيره إلى داخل المدينة..

سار «خالد» بالمدينة وكأنه يسير بمدينة الأحلام.. ينظر إلى وجوه الناس وتعبيراتهم المختلفة.. منهم من ترتسم البسمة على وجهه، ومنهم من انطبع الحزن على جبينه.. وإلى زيهم الذي انقسم إلى أقسام عدة.. فمنهم من يرتدي جلباباً وعلى رأسه عمامة، وقد كانوا كبار السن.. أما الشباب والصغار فقد كانوا يرتدون بنطالأ واسعاً من أعلى وضيقاً من أسفل.. وكأنه زيُ الصيادين الذي اعتاد أن يراه ولكنه أكثر أناقة.. ومن أعلى يرتدون قميصاً واسعاً مصنوعاً ببراعة من جلد الحيوانات أو من القماش.. أما النساء فقد وجدهن يرتدين فساتين فضفاضة ذات ألوان براقة.. وجميعهن لا يضعن شيئاً فوق رفوسهن.. وقد لاحظ جمال

الكثير من النساء في تلك المدينة.. ولكنني خشي أن ينظر إلى إحداهن ..
وهل لا يعلم كيف ستكون ردة الفعل في تلك المدينة ..
ويعجبه ذلك التنوع في الزي .. وتلك الأنقة التي بدت على كل
فتى وفتاة بالمدينة .. ويسيء بشوارعها متبرئاً بتلك المباني المتلاصقة ..
والتي بدت عليها المهارة المعمارية، كانت تمتلك ارتفاعاً واحداً لا
يتجاوز الثلاثة طوابق .. وقد بُنيت من الطوب المحروق والأخشاب

أكمل «خالد» مسيره حتى وجد مكاناً يُقدم طعاماً .. فسمع
أصوات بطنه تناديه، وتنذر بوجوع .. حتى اقترب من ذلك المكان ..
وجلس به .. وطلب طعاماً .. ثم جاءه رجل بطعم من الخبز واللحم ..
وقال له:

- شكرالتشريفك لنا أيها الغني ..

فابتسم «خالد»:

- تاني غني !! ..

ثم أكل وامتلأت بطنه .. وانتظر أن يأتي الرجل ليأخذ نقوده فلم
يأت .. حتى أكل ومشى .. وقد عادت إليه قوته مجدداً .. وأكمل سيره في

المدينة حتى وجد مكاناً آخر لصناعة الملابس وبيعها.. فنظر «خالد» إلى نفسه.. ووجد أن يشتري لنفسه زياً.. كي لا يكون زيه مختلفاً عن باقي أهل المدينة.. حتى يعرف أين هو.. وقد دخل ذلك المكان.. فسألة من

به:

- لست من زيكولا..

فرد «خالد»:

- أيوه..

فأعطاه الرجل زياً مناسباً .. بنطلاً واسعاً.. وقميصاً واسعاً من القطن.. ولم يأخذ منه نقود .. وقال له مثلاً قال صاحب المطعم:

- شكر الشريفك لنا إليها الغني..

فابتسم «خالد».. وتذكّر كلام من قابلهم بالصحراء.. وأنه غريب لأنّه كريم.. وقال لنفسه إنّها مجانون بالفعل.. فما وجده من أهل المدينة حتى الآن كرم مبالغ فيه.. حقاً إنّها مجانون..

يسير بالمدينة بزيه الجديد.. ويقلب عينيه هنا وهناك.. وقد لاحظ شيئاً لم يفهمه، وهو أن كل مكان للبيع والشراء يجد مكتوباً عليه أرقام

ووحدات .. عشرة وحدات أو خمس .. أية وحدات تلك .. لا يفهم ..
حتى أكمل مسيرة وقد حل الليل .. ففوجئ بأن تلك المدينة رغم ما
يبدو عليها من الثراء إلا أنها لم يصلها الكهرباء بعد .. ولكنه اندھش
حين أضيئت المدينة بالتيران .. وانتشر الضياء في كل مكان .. ولا
تختلف إضاءتها عن المصايبع التي يعرفها .. تلك هي الأخرى براعة
هندسية ..

حتى جلس على جانب أحد الشوارع .. وكاد يغلبه النعاس ..
حتى فوجئ بأهل المدينة يستعدون وكأنهم يحتفلون بشيء ما .. الجميع
يلعبون ويمرحون .. والأطفال يرقصون .. ويسأل نفسه هل هناك عيد
ما .. يبدو كذلك .. وقد فرح بذلك .. فجميع أهل المدينة خارج
منازلهم .. وسيؤنس ذلك وحدته دون مسكن .. حتى اقترب منه فتى
فأسأله «خالد» لماذا يحتفل الناس هكذا .. فأجابه الفتى فرحاً:

- إن الاحتفال لم يبدأ بعد ..

ضحك «خالد» مداعبا الفتى:- أمّا هميدا امّتى؟

تعجب الفتى:-

- لماذا هجتك غريبة؟

رد «خالد»:- أنا من الشمال.. إنني غريب..

رد الفتى:- تقصد كنت غريباً.. أما الآن أنت من أهل زيكولا..

ابتسم «خالد» ووضع يده على رأس الفتى:

- عارف أن زيكولا أرض الكرم بس كمل..

أكمل الفتى:- اليوم الكل يستعد للاحتفال.. أما الاحتفال

الحقيقى سيكون غداً.. إنه أعظم احتفال في الكون.. والكثيرون من

البلاد البعيدة يأتون للهضبة المجاورة.. ويقفون بها لمشاهدة احتفالاتنا..

تعجب «خالد» وسأل الفتى:

- وأيه سبب الاحتفال؟

ظهر التعجب على وجه الفتى:

- إننى كنت أظنك غبياً.. أرجوك لا تدعني أشك في قدراتى بمعرفة

الأغبياء.. ثم أكمل:

- إن احتفالاتنا ستبدأ غداً.. احتفالاً بيوم زيكولا .. اليوم الذي يجعل

من زيكولا أشهر مدينة بالتاريخ.. اليوم الذي يسعد به كل أهل

زيكولا..

ثم صمت قليلاً.. وأكمل:

- ماعدا شخص واحد بالطبع ..

سأله «خالد» في لففة:

- مين الشخص ده؟

ضحك الفتى:

- ييدوأنك لا تعرف كثيراً عن زيكولا.. ثم تنهى ونظر إلى «خالد»:

- سيدى، إن يوم زيكولا يُذبح فيه أفقر شخص يوجد بالمدينة ..

(٥)

شعر «خالد» بالصدمة حين أخبره الفتى أن يوم زيكولا يذبح به أفقر من يوجد بالمدينة.. وحدث نفسه بأنه أفقر من بالمدينة.. وما معه من نقود لافتيد بعدما تأكد من مواقفه السابقة أنهم لا يعترفون بتلك النقود.. وإن كان حديث الفتى صحيحًا سيكون هو الضحية.. حتى قاطع تفكيره الفتى وأكمل:

- في يوم زيكولا تُجرى منافسة بين أفقر ثلاثة أشخاص بالمدينة.. أما غداً -للأسف- فلن تكون هناك منافسة .. وسيذبح الشخص مباشرةً بعدما نجح الآخرين في الهرب.. أو لورأيتها بعيني.. تذكر «خالد» من قابلها بالصحراء.. وقال بصوت عالي:

- المجانين؟!!

فنظر إليه الفتى حتى تدارك «خالد» قوله.. وحدث الفتى:

- تقصد إن الفقير تم اختياره فعلًا ..
رد الفتى:- نعم..

هنا تنفس «خالد» الصعداء .. وأخرج زفيرًا طويلاً .. وشكر ربه
في سره.. حتى أكمل الفتى:

- المعتاد في زيكولا أن يتم حبس الفقراء الثلاثة قبلها أيام.. ثم
تقوم بينهم منافسة الغنى والفقير.. الزيكولا.. ومن يخسر منهم يذبح ..
وبالطبع طالما هرب الاثنان سيدبح الشخص الثالث.. ثم أشار إلى بيت
مجاور:

- إنه من منطقتنا.. فنظر «خالد» إلى البيت وتعجب:

- ازاي ده بيت فقير..

بعدها تركه الفتى، ومضى ليلعب مع من معه..

جلس «خالد» مرة أخرى في مكانه.. يفكر فيها بحدث له، ويتذكر
ماذا حدث له منذ أن وجد نفسه بالصحراء.. وزاد إلحاح سؤاله الذي
تعمد تجاهله دائمًا.. أين هو؟.. وأين زيكولا تلك التي لم يسمع عنها
من قبل.. وعن أهلها المثيرين للدهشة؟.. بعضهم يبدو عاقلاً..
والكثرون لا يتمون للعقلاء بشيء.. ثم انتفض جسده حين سأله نفسه
ماذا لو انتقل به الزمن عبر السرداد إلى الماضي كما كان يقرأ دائمًا في

الأدب الأجنبي.. ماذا؟.. هل هذا صحيح؟! «لا.. لا.. إنه خيال..
إنني لم أسمع عن زيكولا.. ولم أقرأ عنها من قبل».. هكذا حذّث
نفسه.. ثم علا صوته:

- بس ليه لأ؟

- الأحسنـة اللي بتجـر العـربـات.. ولـبس النـاسـ هـنـا.. مش معـقـولـ
يـكون لـبسـ حدـ فيـ القرـنـ الـواـحـدـ وـالـعـشـرـينـ.. الحاجـاتـ دـيـ فـاتـ عـلـيـهاـ
قرـونـ..

ثم عاد إلى نفسه:

- مـكـنـ تكونـ دـيـ بـلـدـ مـعـزـولـةـ أـنـتـ مـسـعـتـشـ عـنـهـا.. وـدهـ زـيـمـ الوـطـنـ
فعـلـاـ..

- صـاحـ إـلـىـ نـفـسـهـ مـجـدـاـ:

- بـلـدـ أـيـهـ.. كـلـ الـلـيـ مـشـيـتـ فـيـ السـرـدـابـ حـوـالـيـ كـيلـوـواـحـدـ أوـاتـنـينـ
بـالـكـتـيرـ..

- أـكـيدـ أـنـاـ اـنـتـلـتـ فـيـ الزـمـنـ.. وـالـدـلـلـ إـنـهـ بـيـتـكـلـمـوـ عـرـبـيـ وـمـيـعـرـفـوشـ
مـصـرـ.. هـوـ فـيـهـ مـنـطـقـةـ بـتـكـلـمـ عـرـبـيـ فـيـ الـعـالـمـ كـلـهـ إـلـاـ الـوـطـنـ عـرـبـيـ..

- ثـمـ أـمـسـكـ رـأـسـهـ بـيـدـيـهـ:

- أنا حاسس إني مش قادر أفكّر.. أنا كنت أذكى من كده.. ثم نظر بعيداً:

- بس.. ده الدليل إني انتقلت للماضي..

قال ذلك حين وجد جماعة يحملون سيفاً ودروعاً وكأنهم جنود،
ويسيرون في صف واحد.. وقد وقف على قدميه.. واتجه مسرعاً إلى
الفتى الذي كان يمرح مع أصدقائه.. وجذبه من يده:

- أنا عاوز أسألك سؤال واحد.. احنا في سنة كام؟
فأجابه الفتى متوجلاً:

- ييدو أنك تشرب الكثير من الخمر.. إننا في نهاية العام التاسع بعد
الألفين يا سيدي..

فعاد «خالد» بقدمه للخلف.. ودارت به رأسه حتى سقط وكأنه
فقد وعيه.. فضحك الفتى وتحدى إليه:

- نعم سيدي، أرى أن النوم قد يفيدك.. ثم تركه ومضى..

في صباح اليوم التالي فتح «خالد» عينيه على صوت ضوضاء
شديدة.. فوجد نفسه ملقى على جانب أحد الشوارع فنهض مسرعاً..

وحاول أن يصلح من هيأته، وأزال الغبار عن ملابسه.. حتى نظر أمامه وفرك شعره حين وجد ذلك الكم الهائل من الناس يسرون بانتظام في اتجاه معين.. والجميع يرتدون ملابس تبدو جديدة..

الرجال يمسكون بأيدي النساء.. والفتىَان يمسكون بأيدي الفتىَات اللاتي بدا عليهن الجمال الشديد.. يسرون في فرحة كبيرة، ويضع كل منهم حول رقبته عقداً من الورد.. وتظلهم موسيقى لم يسمعها من قبل، ولم يسمع ما يهأثلها في جاها.. ويعزفها مجموعة من الأشخاص أصحاب زَيْ مختلف، ويحملون طبولاً ووتريات وآلات نفخ لم ير مثلها، ولكنها تخرج صوتاً بدِيعاً.. ويسرون وسط ذلك الحشد من الناس.. ثم وجد بعض الشباب يمتطون أحصنة.. وخلف كل شاب توجد فتاته تلف يدها اليسرى حول خصره، واليمني تمسك بها الورد وتلوح بها.. فابتسم «خالد» وقال:

- أنا عرفت ليه الكل مستني اليوم ده..

ثم أعجبته تلك الحركات البهلوانية التي كان يقوم بها البعض.. حتى فوجئ بالعربة الثرية - التي كان قد تثبيت بها هو و«يامن» حينما كان في الصحراء - تسير وسط الحشد، وقد خرجت منها فتاة في غاية

الجمال، وما إن خرجت حتى صاح البعض فرحاً وزاد سرورهم..
وبدأت تلقي بالكثير من الورد، والكل يتهافت ويتسابق علىأخذه..
حتى بدأت تقذف الورد لأعلى وما إن تسقط حتى يرتفع الشباب
بعضهم ببعض.. وتزداد بسمتها الرقيقة.. و«خالد» يشاهد ذلك في
سعادة كبيرة.. وينظر مجدداً إلى تلك الفتاة وقد شعر براحة نفسة كبيرة..
حتى وجد إحدى الفتيات تقترب منه وتسأله:

- لماذا تقف بمفردك؟.. يمكنني أن أصطحبك اليوم مجاناً.. فنظر إليها
«خالد».. ثم نظر إلى فتاة العربة مرة أخرى:
- لا، شكراً..

ثم نظر بعيداً.. فوجد «يامن» فأسرع إليه وسط ذلك الزحام ..
حتى وصل إليه بصعوبة وحدته:

- «يامن».. أنت فاكرني؟
فابتسم إليه «يامن»:

- نعم.. أهلاً بك يا صديق.. ثم نظر إلى زيه:
- مبارك عليك الزي الجديد .. ثم سأله:
- كيف كان يومك الأول بزيكولا؟

كانت الأصوات عالية من حولهم فاضطر «خالد» أن يرفع من

صوته:

- يومي الأول؟.. مش فاهم لحد دلوقتي أيه اللي بيحصل لي..

ضحك «يامن»:

- ربها لأننا في أعياد زيكرولا.. ما إن تنتهي الأعياد حتى تعود الحياة مرة

أخرى إلى الطبيعة.. إنها أيام استثنائية ليست كباقي الأيام..

فابتسم «خالد»:- ياريت.. ثم سأله:

- أمال فين المُزَّة بتاعتك؟

اندهش «يامن»: ماذَا؟!

ضحك «خالد»:- أقصد حبيتك.. أنا شايف معظم الشباب معاهم

بنات..

ابتسم «يامن»:- آه.. لا، إبني لم أرتبط حتى الآن..

نظر «خالد» إلى الأمام ثم سأله:- هو احنا رايحين فين؟

«يامن»:- ماذَا تقصد بـ(رايحين)؟

رد خالد:- أقصد ذاهلين؟

ضحك «يامن»:

- إننا ذاهبون إلى أرض الاحتفال حيث يلتقي هناك كل أهل زيكولا..
وسيُذبح شخصٌ ما..

ضحك «خالد»:

- آه، عرفت.. الفقر.. ثم صمت، وأكملًا مسيرهما مع السائرين..
حتى سأله «خالد» مجددًا:

- «يامن».. هي مين دي؟ ثم أشار إلى الفتاة التي ترمي بالورد من
العربة..

رد «يامن»:

- إنها «أسيل».. طبيبة زيكولا..
«خالد» وقد هس إلى نفسه:

- «أسيل».. طبيبة؟ ثم وجدتها تقذف بوردة إلى أعلى وتسقط
تجاهه.. وتصارع الشباب معه حتى قفز مستغلًا طوله، وقد أمسكها
ونظر إليها مبتسمًا فابتسمت له ابتسامة جعلته هائماً للحظات..

الجميع يسرون، و«خالد» يعجبه ذلك الاحتفال.. والموسيقى
الراخعة التي تخلق في كل مكان، ورائحة الورد التي أنعشت صدره حتى
تناسي أسئلته لنفسه عن أرض زيكولا.. وسار بجوار «يامن» وهو

ينظر إلى العربية وإلى «أسيل» التي تبتسم كلما أمسك أحد بوردة قذفتها..
ثم ينظر نظرة مختلفة تماماً مقوساً حاجبيه إلى الفتاة الأخرى التي رفض
أن يسير معها.. والتي لم تُرِجع نظرها عنه طول الوقت، وما إن تصطدم
عيناه بها حتى تُخرج له لسانها في غضب.. فينظر مجدداً إلى «أسيل»،
ويستنشق رحيق الوردة التي أمسكتها وبيتسِم.. وتتابع سيره معهم حتى
وصلوا إلى أرض واسعة.. وقد فوجئ بوجود كم هائل من الناس قد
يتعدى الخمسين ألفاً.. حتى اندهش وسأل «يامن» على الفور:

- إيه الناس دي كلها؟!

رد «يامن»:- إنهم أهل زيكولا.. جاءوا من مناطقها الكثيرة.. إننا جئنا
من منطقة واحدة، وبباقي الناس جاءوا من المناطق الأخرى ..
حتى ابتسم فرحاً حين اقترب منه شاب آخر.. واحتضنه كثيراً ثم

نظر إلى «خالد»:

- إنه صديق عمرى «إياد».. ثم نظر إلى صديقه:
- إنه «خالد».. صديقي الجديد.. وتبعدوا عليه الشهامة، وسيكون
صديفك بالطبع..

صافح «خالد» «إياد»، وقال مبتسمًا:

- أيوه.. هنكون أصدقاء لغاية ما أرحل قريباً..
- ضحك «إياد» بصوت عالٍ:
- ترحل؟!! ثم نظر إلى «يامن»:
- صديقك يريد أن يرحل!!.. ثم ضحك مجدداً فغضب «خالد» من سخريته.. ونظر إلى «يامن»:
- هو غريب إني أرحل ولا أيه؟

كاد «يامن» يحبسه ولكنه أشار إليه أن يصمت بعدها دقت الطبول كثيراً.. وقد صمت الجميع، وصمت الموسيقى.. بعدها صعد رجل ضخم إلى منصة عالية ويده سيف طويل.. فأدرك «خالد» أن الذبح سيتم.. وأن الفتى كان صادقاً معه حين أخبره بذلك.. وبعدها صعد رجلان أقوياء، ويجران رجلاً حليق الرأس يبدو عليه المرض رغم شبابه.. والصمت يخيم على الجميع.. حتى دقت الطبول مرة أخرى فنزل أهل المدينة كلهم على رُكْبِهِم ما عدا «خالد».. فجذبه «يامن» حتى نزل هو الآخر على ركبته بجواره هو و«إياد».. ونظر إلى تلك المنصة حيث سقط الفقير هو الآخر على ركبتيه، ويداه مقيدتان بالخلف.. وبعد

لحظات وخزه السياف في ظهره حتى شهد برأسه فأطاح برقته..
وتناثرت دماءه على المنصة.. فصاحت أهل المدينة فرحاً.. ودقق
المسيقي مرة أخرى.. وبدأوا يرقصون ويمرحون.. وبدأت الألعاب
البهلوانية مجدداً..

أما «خالد» فقد سرت في جسده رعشة مما رأه.. وانتفض قلبه
بقوة، وتسرعت أنفاسه وهو ينظر إلى ذلك الجسد المنزوع الرأس..
وجسده يرتعش، إنه لم ير مثل ذلك من قبل.. يتحسس وجهه، ويسأل
نفسه هل يعلم أم أنها حقيقة؟.. ويسأل نفسه مجدداً.. لماذا ذبحوا بذلك
الفقير؟.. إننا في مجتمعنا نساعدهم.. إنهم قوم بلا قلب.. حتى صاح
بـ«يامن»:

- «يامن».. احنا في سنة كام؟

رد «يامن»:- إننا في نهاية العام التاسع بعد الألفين..
صاح «خالد»:- ٢٠٠٩ .. إزاي؟

ابتسم «يامن» كي يمتص غضبه:

- إنه الزمن يا صديقي.. هل ييدنا أن نغير الزمن؟!.. ثم صاح «خالد»
بـ«إياد» في عصبية:

- وإيه الغريب إني أرحل وأسيب زيكونلا؟!

رد «إياد»:

- يا صديقي .. إن باب زيكونلا قد أغلق بنهاية أمس .. إنه لا يفتح إلا قبل يوم زيكونلا بيوم واحد .. ثم يغلق مجددًا حتى يوم زيكونلا في العام الذي يليه .. ولا يستطيع أحد مغادرة زيكونلا حتى ذلك اليوم ..
أكمل «يامن» ، ونظر إلى «خالد» :

- إنه اليوم الذي دخلت فيه إلى زيكونلا .. ثم سأله متعجبًا :
- لماذا تريد أن ترحل وأنت لست فقيرًا؟
جن جنون «خالد» .. وقد فاض به :
- مين اللي قالك إني مش فقير؟! .. لا، أنا فقير .. أنا عمتلکش أي حاجة..

اندهش «إياد»:- كيف هذا؟! .. لا تشعر بنفسك؟

رد «خالد» غاضبًا:- أشعر بأيه؟! .. دي حتى الفلوس اللي كانت معايا، وحدت ربنا إنها كانت معايا بالصدفة قلتوا عليها ورق وملهاش أي قيمة..

ابتسم «يامن»:- ولماذا تحتاجها يا صديقي؟

رد «خالد»:- دي فلوس.. يعني اشتري بيه اللي أنا محتاجه..
اندهش «يامن»:

- تقصد العملة؟!
«خالد»:- أيوه..

صمت «يامن» ثم تحدث مجدداً:

- أها.. الآن عرفت لماذا زاد ارتباك إلى هذا الحد حين وجدت ذلك الفقير يذبح.. إنك خفت أن تكون فقيراً وتذبح مثله.. ثم نظر إلى «خالد»:

- يا صديقي إن عملتنا مختلفة تماماً.. إن عملة أرض زيكولا هي وحدات الذكاء.. ومن يكون ذكياً هو الغني.. أما الفقير فهو الأقل ذكاء.. هنا نعمل ونأخذ أجرتنا ذكاء.. ونبتاع وندفع من ذكاتنا.. ونأكل مقابل وحدات أخرى من الذكاء.. ثم صمت برهة وأكمل:
- لا أعلم من أين جئت.. ولكتنا ولدنا فوجدنا أنفسنا هكذا..

علينا أن نحافظ على ذكائنا.. وأنت منذ دخولك إلى أرض زيكولا أصبحت مثلنا.. وعليك أن تحافظ على ذكائك، وأن تنمي.. كي لا يأتي

يُوْمَ زِيكُولَا وَقَدْ قَلَ ذَكَاؤُكُ؛ فَيَكُونُ هَذَا مَصِيرُكُ.. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى جَثَةِ
الذِيْبَحِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ «خَالِد» مَتَعْجِبًا .. وَكَانَهُ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا:

- «يَامِنٌ».. أَنَا كَنْتُ بِقُولِّ عَلَيْكَ عَاقِلٌ..

رَدَ «يَامِنٌ»:- أَعْلَمُ أَنْكَ تَظَنَّتُ بِلَهَاءِ.. وَلَكُنْتَا -أَهْلَ زِيكُولَا-
نَخْتَلِفُ عَنْ بَاقِي بَقَاعِ الدُّنْيَا.. وَالْكُلُّ يَعْلَمُ ذَلِكَ.. وَيَخْشَوْنَ أَنْ يَدْخُلُوا
إِلَيْنَا حَتَّى لَا تَسْرِي رَعْشَةُ زِيكُولَا بِجَسَدِهِمْ وَيَصْبِحُونَ مِثْلَنَا..

هَنَا تَذَكَّرُ «خَالِد» تَلْكَ الرَّعْشَةُ.. وَذَلِكَ الْأَلْمُ الشَّدِيدُ الَّذِي حَلَّ
بِرَأْسِهِ حِينَ مَرَّ مِنْ بَابِ زِيكُولَا.. وَقَدْ أَكْمَلَ «يَامِنٌ»:

- عَلَيْكَ أَنْ تَصْدِقَنَا.. وَأَنْ تَحْفَظَ عَلَى ذَكَائِكَ لَأَنْ اعْتَقَادَكَ بِأَنَّا
بِلَهَاءِ لَنْ يَفِيدُكَ بِشَيْءٍ.. أَنْتَ لَنْ تَسْتَطِعَ أَنْ تَغَادِرَ زِيكُولَا مَهِمَا حَدَثَ..
وَإِنْ جَاءَ يُوْمَ زِيكُولَا وَكُنْتَ الْأَقْلَ ذَكَاءً فَسَيَحْدُثُ لَكَ مِثْلًا أَخْبَرْتُكَ،

شَمْ تَابِعٌ:

- إِنَّهُ عَامٌ.. سَتَحْتَاجُ إِلَى طَعَامٍ، وَإِلَى شَرَابٍ، وَإِلَى مَلْبِسٍ
وَمَسْكَنٍ.. وَهُنَا فِي زِيكُولَا لَا يَعْطِي أَحَدٌ شَيْئًا بِالْمُجَانِ.. سَوْيَ يُوْمَ
زِيكُولَا فَقْطَ.. الْيَوْمِ.. يَكُونُ يَوْمًا بِلَا عَمَلٍ.. وَقَدْ تَكُونُ هَنَاكَ أَشْيَاءٍ
قَلِيلَةٌ لِلْغَایِةِ دُونَ مَقْابِلٍ..

- عليك أن تعمل وتأخذ أجرك من الذكاء تعوض ما نفقده لسد احتياجاتك.. صديقي، هنا في زيكولا ثروتك هي ذكاوك.. مازالت الدهشة منطبعة على وجه «خالد».. وبدأ يشك بذلك، ويشعر بأن ذكاءه قد قلل بالفعل منذ دخوله إلى تلك المدينة، وأن قدرته على التفكير قد قلت قليلاً.. ولا يعرف السبب.. ولكن ما يقوله «يامن» لا يصدقه عاقل حتى تذكر شيئاً.. وتحذث إلى «يامن»:

- كلامك مش صحيح .. أنا أكلت وشربت واشتريت هدومي من غير مقابل..
ابسم «يامن»:
- صديقي.. هل لاحظت وجود الأسعار بالوحدات في تلك الأماكن؟
تذكر «خالد» تلك الوحدات.. والتي سأل نفسه عنها من قبل:
- أيوه..
أكمل «يامن»:

- وحدات الذكاء لا تدفع باليد.. إنها تنتقل تلقائياً بيننا.. وطالما رأيت تلك الوحدات.. أقصد الأسعار، وتواجدت في تلك الأماكن.. هذا يعني أنك موافق على الشراء وعلى الأسعار التي رأيتها.. وينتقل

منك ثمن ما أكلته أو اشتريته إلى صاحب هذا المكان دون إرادتك..
الغرباء يسمونها لعنة زيكولا.. قاطعه «حالد» هائماً:

- أنا أكلت كثير.. والزّي ده كان مكتوب عليه أكبر وحدات..
وصاحبه قال إنه أغلى زّي عنده.. وشكربني لأنني غني..
رد «يامن»:- بالفعل يا صديقي.. لقد لاحظت اليوم اختلافك قليلاً
عن المرة الأولى التي رأيتكم بها..

ثم نظر إلى «إياد»:

- يبدو أن صديقنا قد فقد جزءاً ليس بالقليل من ثروته...

(٦)

تساءل «خالد» في لففة:

- وأنت عرفت أزاي؟

فابتسم «يامن»:- إن وجهك أصبح شاحبًا بعض الشيء يا صديقي..

ثم أكمل:

- كلما قل ذكاوك زاد شحوب وجهك، وبدى المرض عليك..

وهكذا نعرف من هو الغني ومن هو الفقير.. كلما تكسب ثروة تكون طبيعى بل يزداد شبابك.. أما حين تخسر فستجد المرض يتسلل إلى جسدك.. وهكذا حتى يقترب يوم زيكولا فيقوم الجنود بجمع الأكثر مرضًا بالمدينة.. ويعرضون على «أسيل».. الطبيبة... وهي من تحدد المريض حقًا والمريض بالفقر.. وبعدها تختار الثلاثة الأشد فقرًا..

فقطاعه «خالد» قبل أن يكمل حديثه:

- لا دي بلد مجاني.. أنا لازم أسيب البلد دي.. ثم تركها وجرى..

ترك «خالد» «يامن» و«إياد» وجري مسرعاً.. وقلبه يدق خوفاً..
يخشى أن يكون ما قاله واقعياً.. وأكمل جريه هائلاً وسط الزحام..
وأهل المدينة يرقصون ويمرحون والموسيقى في ذروتها.. و«خالد»
يتحرك بصعوبة بينهم، ويحاول أن يخرج من هذا الزحام.. ويصطدم
بالفتیان والفتیات دون أن يعتذر.. ما يشغل باله أن يخرج إلى باب
زيكولا.. وواصل جريه بعيداً عن أرض الاحتفال.. ويحدث نفسه:

- مش معقول يكون ده صحيح.. مش معقول..

وتعدو قدماه مسرعين.. حتى اقترب من باب زيكولا، وقد ظهر
العرق الغزير على جبينه.. فوجده قد أغلق بالفعل وتواجد أمامه الكثير
من الحراس.. فاقترب «خالد» من أحدهم وقد كان ضخم الجثة..
وحدثه:

- أنا عاوز أخرج..

فضحك الحراس ساخراً:

- تخرج؟!!

فصاح «خالد»: أيهه.. أخرج

فضحك الحراس مجدداً.. ثم نظر إلى حراس آخر وحدثه:

- إننا نترك احتفالات زيكولا ونقف هنا حتى يأتي السكارى .. ويعثون
معنا ..

فصاح «خالد» مجدداً:

- أنا مش سكران .. أنا هخرج .. ثم دفع الحارس بيده ..
فظهر الغضب على وجه الحارس ثم لكم «خالد» لكمه قوية
أعادته خطوات للخلف .. حتى سقط على الأرض وقد سالت الدماء
من حاجبه الأيسر .. فنهض «خالد» على الفور ثم عاد ووقف أمام
الحارس مرة أخرى .. ولكنه نظر إلى الدرع الذي يحمله .. وكان لامعا
كالمراة .. وأمعن النظر به، ونظر إلى صورته المنعكسة .. لا يخى أن يلكمه
الحارس مجدداً .. ولا تشغله الدماء التي تسيل على وجهه .. بل يتحسس
وجهه بيديه .. وما بدئ عليه من شحوب .. وينظر إليه وقد اتسعت عيناه
من الدهشة والخوف .. وتسارعت أنفاسه وخفق قلبه بقوة .. حتى قاطع
تفكيره صوت الحارس الغليظ:
- عد إلى حيث كنت وإلا سيكون السجن مصيرك ..

فنظر إليه «خالد» في خيبة أمل واضطجع يده على حاجبه .. يريد أن يوقف دماءه .. وقد أدرك أن الباب لن يفتح كما أخبره «إياد» .. وأن حديث «يامن» إليه ما هو إلا الحقيقة التي خَشِبَها ..

بعدها عاد «خالد» إلى شوارع المدينة.. يسير هائلاً، ويفكر كيف سيعيش عاماً في تلك المدينة الملعونة.. ويسأل نفسه: عام؟!.. إنه لم يستطع أن يعيش يوماً واحداً.. فكيف له أن يعيش عاماً كاملاً، ثم عاد بتفكيره.. ماذا لو مر العام وكانت أفقـر من بالمدينة.. ماذا لو كانت الأغلى.. ثم علا صوته.. وسأل نفسه:
- وجـدي؟!

- هل هيقدر يعيش سنة من غيري.. أنا كنت بقول يومين أو ثلاثة وأرجع له..
- ياترى فـكـري مت زـي أبويا وأمي؟
- سنة؟!! هـعيش هنا سنة؟!

وظل هائلاً هكذا حتى أفاق حين صدمه حصان ما.. وقد كان الحصان الذي يجر العربة الثرية.. عربة «أسيـل».. فصاح به سائق العربة

يعنده.. ثم توقفت العربية، ونزلت منها «أسيل» على الفور لتطمئن عليه.. ولكن «خالد» قد غادر هانئاً.. ورغم ندائها إليه كثيراً فقد أكمل مسيره دون أن يلتفت وكأنه يتتجاهلهما.. فعادت إلى العربية مرة أخرى.. وحدثت نفسها:

- لو كان شخصاً آخر.. لطلب تعويضاً على ذلك.. ثم أمرت السائق أن يتحرك من جديد..

مرت ساعات و«خالد» ما زال يسير بالمدينة.. ولم يتوقف عقله عن التفكير.. حتى وجد نفسه يقترب من بحيرة واسعة.. فأسرع إليها وحين تذوق ماءها وجده عذباً.. فابتسم وشرب منها كثيراً.. ثم أنسد ظهره على شجرة بجوار البحيرة.. وضحك حين جال بخاطره أن يأتي والد «منى» إلى تلك المدينة.. وأقسم أنه سيدفع على الفور.. حتى «منى» لو جاءت ستذبح هي الأخرى.. يتذكر أصدقاءه وأنهم لا يمتلكون من الذكاء شيئاً، بل سيدبحون كلهم.. ثم ضحك وحدث نفسه ساخراً:

- عاوز آكل مقابل وحدتين ذكاء..

ثم ضحك مجدداً حين تذكر أحد أصدقائه.. وكان سميأً للغاية
ويأكل كثيراً.. وأنه لو كان بزيكولا لفقد ثروته كلها مقابل أن يأكل..
ثم تحدث إلى نفسه:

- بتضحك يا «خالد».. فعلاً مصرى ابن مصرى.. نضحك في
أشد أوقات الكرب.. ثم سأل نفسه:
- هتعمل إيه يا «خالد»؟

- فأجاب نفسه.. وكأنه شخصاً آخر.. وقد أغفلظ من صوته:
- هعيش زي الناس هنا.. أنت قدامك حل تاني؟ فرداً كأنه الشخص
الأول:
- لا..

- فابتسم.. وجعل صوته غليظاً مرة أخرى:
- يبقى تكيف مع الوضع.. وأهلاً بك في زيكولا..

بعدها نظر إلى السماء التي خيم عليها الليل.. وانتشر السكون
حتى اختفى مرأة أخرى حين وجد ألعاباً نارية غريبة عما يعرفها تزين
سماء زيكولا.. ولم تتوقف للحظة فابتسم:
- يوم زيكولا.. ثم أكمل بعد برهة من الصمت:

- كلّها ساعات ويتنهي .. وأشوف زيكونلا على طبيعتها ..
ثم نظر إلى البحيرة، إلى شاطئها فلم يجد أحداً غيره .. فوجدها
فرصة أن يستحم .. وما إن تجرد من ثيابه .. وكاد يكون عارياً تماماً حتى
شعر بحركة غريبة .. وسمع همساً وبعض الضحكات فالتفت فوجد
فتاتين تنظران إليه .. فارتدى ملابسه على الفور، ثم أسرع عائداً إلى
الشجرة مرة أخرى، وأسند إليها ظهره من جديد .. وضحك وحدث

نفسه:

- لا .. أنا بقول أنام أحسن ..

مر الليل ، وقد أشرقت الشمس .. و «خالد» نائم بجوار شجرة على
شاطئ البحيرة .. حتى انتفض حين سمع صرخات .. وحين نظر بعيداً
وجد سيدة تصرخ بأن ابنها يغرق في البحيرة .. فأسرع «خالد» إلى
البحيرة بملابسها .. يريد أن يصل إلى ذلك الفتى ، والذي كان بعيداً
بعض الشيء .. ولم يتخيّل أن تكون البحيرة عميقه هكذا .. حتى اقترب
منه فجذبه تجاهه ، وعادبه مرة أخرى إلى الشاطئ .. وقد فقد الفتى
وعيه ، وما زالت أمّه تصرخ .. أما «خالد» فقد أنام الفتى على ظهره ..

وبدأ يضغط بيده على صدره.. يريد أن ينعش قلبه.. يضغط بعض الضغطات ثم يضع فمه على فم الفتى ويملاً صدره بالهواء.. ثم يعود ليضغط بعض الضغطات مرة أخرى.. وقد اجتمع الناس من حوله، ومن بينهم «أسيل» التي أسرعت إلى الفتى وطلبت من «خالد» أن يتعد عنه.. ولكن «خالد» لم ينظر إليها ولم يرفع نظره عن الفتى.. وما زال يضغط على صدره ويعطيه من الهواء.. حتى شهد الفتى.. وببدأ «خالد» يشعر بنبضات حين وضع أصبعيه على رقبته.. فحمد الله ثم نظر إلى أمها:

- الحمد لله.. هو بخير.. فنظرت إليه الأم باكية، وقد احتضنت ابنها:

- شكرًا لك.. ثم سالت:

- كم تريد مقابل هذا؟

فتعجب «خالد» ثم أجابت:

- أنا مش عاوز حاجة.. أي حد مكانى كان هي عمل كده.. خدي بالك منه بعد كده.. والناس ينظرون إليه في غرابة.. حتى سالته «أسيل»:

- كيف فعلت هذا؟!.. ولماذا لم تتركني أساعدك؟!

فرفع «خالد» رأسه.. ونظر إليها، وكانت المرة الأولى التي ينظر إليها بعدها لم يترك نظرة الفتى حين كان ينقذه.. حتى فوجئ بأنها

صاحبة الصوت الذي طلب منه أن يتركه.. فشعر بقلبه ينفق سريعاً
حين وجدتها قريبة منه إلى ذلك الحد.. لا تفصلها سوى أقل من
خطوة.. وحدثت نفسه في سره.. إنها جميلة جمال لا حدود له.. ينظر إلى
شعرها الأسود الطويل، وعينيها الضيقتين، ورموزها السمراء
الطويلة.. ويذكر ضحكتها حين كانت ترمي الورد، وتضيق عينها كلما
ضحكت فتعطيها جمالاً خاصاً، ولا سيما مع شفتيها الرقيقتين.. حتى

نطق هامساً:

- «أسيـل»!!! ..

ففوجئت هي الأخرى بأنه من تجاهلها، ومضى حين اصطدم

حصان عربتها به.. ثم سأله مجدداً:

- كيف فعلت هذا؟

ضحك «خالد»:

- أول مرة أحس إني اتعلمت حاجة مفيدة.. دى دورة إسعافات
أولية كنت اتعلمتها في القاهرة.. ثم أسرع، وأخرج وردة من ملابسه
المبللة.. واللى قد التقطها في اليوم السابق.. ونظر إليها مبتسمـاً:

- دى وردتك.. أنا محتفظ بيها..

فتجاهلت «أسيل» حديثه عن تلك الوردة.. وسألته:

- لماذا لهجتك غريبة؟.. ثم أكملت:

وأين القاهرة تلك؟

فابتسم «خالد»:

- دى قصبة غريبة جداً .. وأكيد مش هتعربى القاهره .. أنا مش من

زيكولا .. ثم أراد أن يتحدث إليها بلهجتهم:

- لست من زيكولا .. وقد دخلت إلى زيكولا أول أمس .. ولم أكن

أعرف أن بابها سيفغلق ..

- فضمنت «أسيل» .. وكأنها تذكر شيئاً ما .. ثم نظرت إليه:

- مثل تماماً ..

(٧)

رد «خالد» في لففة:

- مثلك؟!!

ردت «أسيل»:- نعم مثلـي.. أنا أيضـاً لم أكن من أهل زيكولا ثمـ

نظرت إلى حاجـه الذى لم يلـthem جـرهـ بعدـ:

- أنا آسـفةـ..

اندهـشـ «خـالـدـ»:- عـلـىـ أـيـهـ؟

«أـسـيلـ»:- أـرـىـ أنـ اـصطـدامـ حـصـانـ عـربـتـيـ بـكـ قـدـ أـصـابـ حاجـبـكـ ..

فـابـتـسـمـ «خـالـدـ»:- أـيـ حـصـانـ؟

فـأـجـابـتـ: حـصـانـيـ بـالـأـمـسـ..

فتـذـكـرـ «خـالـدـ»:- لاـ.. لاـ.. مـشـ الحـصـانـ.. أناـ المـفـروـضـ الليـ

اعـتـذرـ لـيـكيـ لـإـنـيـ اـمـبـارـحـ مـكـتـشـ فـيـ حـالـتـيـ الطـبـيـعـيـةـ بـعـدـ ماـ شـفـتـ الفـقـيرـ

الـليـ دـبـحـتوـهـ.. بـسـ أـرـجوـكـيـ كـمـلـيـ حـكـاـيـتـكـ، وـازـايـ أـنـتـيـ مـشـ مـنـ

زيـكـوـلاـ..

انصرف الناس، وحملت الأم ولدها وانصرفت.. وجلست
«أسيل» بجوار «خالد» على شاطئ البحيرة والتي بدأت تتحدث:
- كانت هناك حروب كثيرة منذ سنوات طويلة بين زيكولا
والبلاد الأخرى.. ومن بينهم بلدي (بيجانا) .. فكان جيش زيكولا
يخرج يوم زيكولا، ولا يعود إلا يوم زيكولا الذي يليه.. حتى جاء يوم
منذ أربعة عشر عاماً.. واستطاعت زيكولا أن تهلك بلدي.. وأخذت
الكثير منا عبيداً لهم.. وقد كنت منهم.. كنت ابنة عشرة أعوام وقتها..
قاطعها «خالد» في دهشة:

- عبيد؟!
أكملت: - نعم.. كان الرق يتواجد في زيكولا حتى أعوام قليلة.. ولكنه
لم يعد متواجداً الآن..
«خالد»: - ماضي.. كتملي..

أكملت: - دخلنا إلى زيكولا.. وبالطبع كما حدث لك حين
دخلت إلى هنا، أصابتنا لعنة زيكولا.. وأصبحنا مثلهم.. تعاملنا
بوحدات الذكاء، والأفقر يذبح.. ولكنني كنت أوفر حظاً من غيري..
فقد اشتراكي رجل حكيم كان ذا قلب رحيم.. وكان يدرس الطب

والحكمة.. وأعطاني الكثير من علمه، ثم أعطاني حريتي قبل أن يموت.. وأعطاني ما هو أهم.. أعطاني كتبه عن الطب والحياة.. فتعلمت منها الكثير، وأصبحت طبيبة زيكولا.. وعاملتهم بطريقتهم أدوائهم مقابل جزء من ذكائهم.. وهنا يمرضون كثيراً، وأنا أجني الكثير.. فأصبحت من أثرياء زيكولا، وأنا ابنة الرابعة والعشرين..

قاطعها «خالد» مجدداً:

- ومفكّر تيش تخرجي من زيكولا.. وترجعي لبلدك؟
ابتسمت وأكملت:

- كنت في البداية انتظر اليوم الذي أعود فيه إلى بلدي، وأن أخرج من هنا.. ولكن بعد أربعة عشر عاماً أصبحت زيكولا حياتي.. أحبت الحياة هنا.. قد أذهب أحياناً إلى بلدى القديمة يوم يفتح باب زيكولا.. ولكني لا ألبث أن أعود إلى هنا سريعاً قبل أن يغلق الباب مجدداً..

سألها «خالد»:

- لأنك غنية؟

أجبت:- ربما يكون هذا سبباً.. ولكن السبب الأكبر أنني أحب زيكولا لأنها قوية.. رغم ما بها من مساوى، ولكنها الأقوى بين

البلدان.. لا تستطيع البلاد الأخرى الاقتراب منها.. سترى مع وجودك هنا ما الذي يعطي زيكولا تلك القوة.. وأعتقد أنك ستحبها مثلما أحببتها..

صمت «خالد» قليلاً مفكراً في حديثها.. ثم سألاها:

- زيكولا.. ولدك اسمها بيجانا.. أحننا فين من العالم؟
ولكنه لم يلبث أن يسأل سؤاله حتى جاءت فتاة مسرعة إلى «أسيل» تخبرها بأن هناك مريضاً في حاجة إليها.. ولابد أن تسرع ..
فنظرت إلى «خالد»:

- أني أريد أن أعرف حكاياتك أيضاً.. أين أجدها مجدداً؟

ضحك «خالد»:

- هنا.. هنا مسكنى.. بجوار شجرة البحيرة..

«أسيل»:- حسناً أتمنى أن نكمل حديثنا لاحقاً.. ثم ابتسمت:
- هنا.. بجوار البحيرة..

غادرت «أسيل».. وقد تعجب «خالد» من حديثها، وسأل نفسه:
- يمكن تكون زيكولا مدينة غريبة.. لكن واضح إنه عالم غريب بالكامل.. فين بيجانا دي هي الثانية.. وازاي بيتعاملو فيها.. ثم ابتسم

وحدث نفسه:- كده بقى فيه اللي ظروفه زي ظروفي، ومين؟.. دي «أسيل».. ممكن أكون من أغنى الأغنياء هنا؟.. ممكن أكون زيها؟.. ثم

أفاق:

- لا.. أنا مش عايز أبقى أغنى الأغنياء.. أنا عايز أمشي من البلد
دي.. ولكن هروح فين.. وازاي هرجع بلدي مرة تانية حتى لو
خرجت من زيوكولا..

- المهم إني أمشي من زيوكولا الأول، وبعدها أفكّر إزاي أرجع
بلدي.. ولكن علشان أمشي لازم أفضل عايش..
ثم نهض مجدداً، وقد بدأت ملابسه تجف محدث نفسه: لازم ألاقي
شغل..

اتجه «حالد» إلى شوارع المدينة.. وقد عزم على أن يجد عملاً
يساعده أجره على البقاء حياً في تلك المدينة.. ولكنه ما إن ذهب إلى أحد
ليسألها عن عمل حتى يرفض طلبه.. فيذهب لآخر فيرفض هو الآخر..
وظل هكذا يبحث ويبحث حتى تعبت قدماه.. وجلس إلى جانب أحد
الشوارع .. ففوجئ بـ«يامن» يقترب منه ، ويصافحه:

- أين أنت يا صديقي؟ ..

ابتسم «خالد»: - أهلاً «يامن».. «يامن»، أنا عاوز اشتغل.. وحاولت
الاقي شغل بس الكل رفض يشغلني ..

سؤاله «يامن»: - أين بحثت عن العمل؟

رد «خالد»: - في المنطقة دي.. المطاعم و محلات البيع ..

«يامن»: - إنك أخطأت في بحثك.. هنا يريدون أن يوفروا مكتباً
كبيراً، و عملك معهم سيفقدهم جزءاً من مكسبهم.. سترى كل شيء
عن حياة زيكولا مع مرور الأيام.. ثم تابع:

- إن المدينة مليئة بأماكن العمل.. هل تريد أن تعمل معي؟

رد «خالد»: - أيهه ..

«يامن»: - دون أن تعرف ماذا أعمل؟

اندهش «خالد» و سأله:

- هو عمل حرام ولا فيه؟

«يامن»: - ماذا تعنى بحرام؟

رد «خالد»: - أقصد عمل مش كويـس ..

أسرع «يامن»:- لا، لا.. إنه عمل مشرّف.. إننا نعمل بجد..
عملنا يحتاج إلى الأقواء مثلك.. ربما يكون أجره قليل ولكنه يكفي
لا حتياجاتنا..

«خالد»:- وفين العمل ده؟

ابتسم «يامن»:- حسناً .. تعال معى ..

انطلق «خالد» مع «يامن» ، وسارا إلى أطراف المدينة حيث منطقة
جبليّة.. حتى فوجئ «خالد» بعدد هائل من الفتيان والفتيات يعملون
كأسراب النمل.. وقد اندهش من ذلك الكم الهائل.. وسأل «يامن»:
- كل الناس دي بتشغل؟

«يامن»:- نعم يا صديقي.. وهناك الآلاف يعملون في مناطق
أخرى.. إن الصناعة هنا مربحة..
ثم أشار إلى مكان ما:

- هنا نقطع الأحجار من الجبال ثم نصنع منه طوبًا يصلح لبناء
المساكن.. وكل هؤلاء الناس يعملون، ويأخذون أجراهم يوماً بيوم..

وأنت وأنا سنكون بينهم.. أجرنا سبع وحدات ذكاء باليوم، هل يناسبك؟

ابتسم «خالد» ثم تابع «يامن»:

- هيا.. عليك أن تثبت أنك جدير بالعمل..

بدأ «خالد» عمله مع «يامن» والآخرين... يقطعون الصخور والأحجار بالألات اليدوية.. وربما كان عملاً يحتاج إلى قوة بدنية ولكن هذا ما كان يمتلكه «خالد» تماماً.. وببدأ يعمل، يرفع الفأس بيديه ويبيوي بها على الصخور.. وما إن تحطم أول صخرة حتى نظر إلى «يامن»: لقد بدأنا العمل بالفعل.. ويحدث نفسه ساخراً.. بكالوريوس تجارة إلى مخزن أدوية إلى تقطيع حجارة.. ويتابع عمله.. والجميع ينظر إليه في إعجاب، وخاصة بعدما طلب من «يامن» أن ينافسه.. من يقطع الحجارة أسرع.. وقد تخلص من قميصه وربطه حول خصره.. وغطى العرق جسده فجعله لاماً مبرزاً لأعضاته..

الجميع يعملون، و«يامن» و«خالد» يتافسان ويترعن.. والكل ينظر إليهما وإلى ما يبذلانه من جهد، وقد أثارا حاسس الباقيين.. حتى

أخذوا قسطاً من الراحة.. وقد زادت دهشة «خالد» حينها نظر إلى الناس
مجدداً.. وإلى الفتيات اللاتي تعملن بقوة.. وتحملن الأحجار إلى
العربات.. وسأل «يامن»:

- إزاي البنات بتشغل الشغل الصعب ده؟

رد «يامن»: لا توجد فتاة بالمدينة لا تعمل.. إن قانون زيكولا لا يسري على الأطفال فقط.. ولكن ما إن تجاوز الشاب أو الفتاة السابعة عشر أصبحوا خاضعين لقانون زيكولا.. وعلى الشاب أن يعمل من أجل ثروته.. وعلى الفتاة أن تعمل من أجل ثروتها..

ثم أردف:

- هنا لا أحد يعطي غيره من ذكائه دون مقابل.. حتى إن تزوجت فلن يعطيها زوجها.. إما أن تعمل وإما أن تموت.. أو أن تجد حلاً آخر.. هو أن ترث..

رد «خالد» متدهشاً: - ترث!!

«يامن»: - نعم.. هنا الميراث يقسم على الأبناء بالتساوي..
ابتسم «خالد»: - الميراث ذكاء؟

«يامن»:- وهل توجد ثروة أخرى يا صديقي؟!.. حين يموت أحد
تنتقل ثروته تلقائياً إلى ورثته.. هيأ تابع عملك..
ابتسم «خالد»:- حسناً..

مرت ساعات، و«خالد» يعمل ومعه «يامن» حتى بدأت الشمس
في المغيب.. فتوقف الجميع عن العمل، وقد ظهر الإنهاك على «خالد»
فضحك «يامن»:

- هل تعبت؟

فابتسم «خالد»:

- أكيد.. أنا مش متعود على مجهد بدني بالطريقة دي..
فضحك «يامن»:

- ستعتاد.. علينا أن نغادر..

«خالد»:- وأجرنا؟

رد «يامن»:- ما إن نغادر مكان العمل حتى يصلنا أجراً دون أن
نشعر.. طلما عملت سيصلك أجراً..

ابتسم «خالد»:

- زيكولا..

«يامن»:- أين ستذهب.. هل نجتمع بالمساء؟

تذكر «خالد» «أسيل»:

- لا.. أنا هشتري طعام.. وبعدين هروح البحيرة مكانى..

«يامن»:- حسناً..

دخل الليل، وقد اتجه «خالد» كي يحصل على طعام.. وما إن جلس بأحد المطاعم ليأكل حتى وجد جميع من هناك لا يأكلون سوى الخبز.. وقد أتى رجل المطعم، وسأل:

- ماذا ت يريد أن تأكل منها الغني؟

فابتسم «خالد» ثم طلب منه أن يخبره بأسعار الطعام.. فرد الرجل:

- هنا الخبز مقابل وحدة واحدة.. والأرز مقابل ثلاثة وحدات..

والدجاج خمسة وحدات.. واللحم ثمان وحدات..

فعلم «خالد» لماذا يأكل الجميع الخبز.. وقد طلب دجاجاً وخبزاً..
وأكل حتى شبع ثم اتجه مسرعاً إلى البحيرة.. وجلس بجوار الشجرة
التي يجلس بجوارها دائمًا..

ظل «خالد» جالساً بجوار البحيرة.. ويسأل نفسه هل ستأتي
«أسيل» كما أخبرته أم تأخر الوقت فلن تأتي.. وإن لم تأتِ كيف
سيقابلها مجدداً وعمله ينتهي مع انتهاء النهار.. ويحدث نفسه.. لماذا
تريدتها أن تأتي يا «خالد».. فيجيب.. أريد أن أخبرها بقصتي، وربما
تساعدني.. إنها تبدو أكثر ذكاءً وثقافةً من الآخرين.. ثم سأله نفسه ألا
يوجد سبب آخر؟.. فأجاب بعد صمت لا، لا.. ثم ضحك.. ربما..
حتى بدأت آلام جسده تشتد من ذلك المجهود الذي بذله.. وظل في
انتظار «أسيل» حتى مر الوقت، وغلبه النعاس دون أن تأتي..

في صباح اليوم التالي، أسرع «خالد» إلى عمله الجديد.. ولكنه
فوجئ بثلاثة أشخاص يعترضون طريقه، ويوقفونه وقد أخرج أحدهم
سكيناً.. ثم سأله:

- أين نصيبيا من عملك؟

فأَسْأَلُهُ «خالد» في غرابة:

- نصيبيكم؟!!

رد أحدهم: - نعم.. لنا منك (وحدثنان ذكاء) كل يوم.. هل تقبل أم لا؟

اندهش «خالد» غاضباً: - مقابل أيه؟

رد: - أنا نحمسك..

«خالد»: - لا.. لا أقبل..

فقام أحدهم بكلمته، ثم انهالوا عليه ضرباً حتى أسرع «يامن»

الذى كان يمر بالقرب منهم:

- لماذا تضربونه؟

رد أحدهم: - إنه لا يريد أن يدفع لنا نصيبينا..

«يامن»، وقد حاول أن يخلص «خالد» من أيديهم:

- سيدفع.. سيدفع..

ثم نظر إلى «خالد» الذي سالت الدماء من شفتيه:

- ادفع لهم وحدتين..

فنظر إليهم «خالد»:

- حسناً أقبل..

فرد أضخمهم: - حسناً.. ثم انصرفوا.

فنظر «خالد» إلى «يامن»:

- مين دول؟

رد «يامن»: - إنهم لا يعملون.. ويجبروننا أن ندفع لهم وإلا تعرّضوا لنا
بالأذى..

«خالد»: - بلطجية يعني.. وعاوزين إتاوة..

«يامن»: - أخي، إننا نحيا في زيكولا هكذا.. وقد تعودنا على ذلك..

«خالد» منفعلًا: - تدفع من ذكائك مقابل حياتك.. وفين الشرطة..

رد «يامن»:

- إنهم ليسوا مذنبين.. وقانون زيكولا لا يعاقبهم.. إنهم يريدون أن
يبيوا أحياء.. وهذا لا يتعارض مع قوانيننا.. عليك أن تدفع وحدتين
كل يوم ، وأن ترضي بذلك..

صاح «خالد»:

- إزاي أكون باخد سبع وحدات في اليوم، وأدفع وحدتين مقابل
حياتي ، وأأكل منين، ويتبقى لي إيه..

«يامن»:- عليك أن تبذل جهداً أكبر لتوفّر أكبر قدر من أجرك..
ربما يساعدك مخزونك الكبير قبل أن تأتي إلى هنا والذي قد يصل إلى
الألف وحدة .. ولكن نصيحتي إليك.. إياك أن تقترب مجدداً من
مخزونك من الذكاء.. إنه كفيل بأن يبعذك عن الفقر..

همس «خالد»:- ألمني..

ابتسم «يامن»:- حسناً.. هيا إلى العمل.. ما رأيك في منافسة كبيرة
اليوم..

مررت الأيام.. و «خالد» يعمل مع «يامن» في صناعة الطوب من
الأحجار .. ويمر يوماً بعد يوم، و «خالد» ينهض من نومه، ويتجه إلى
عمله، ويدفع الوحدتين مقابل حاليه.. ثم يذهب إلى عمله فيحطم
الصخور بفأسه.. وقد أصبح شعره الناعم طويلاً بعض الشيء، كما
غطت لحيته الناعمة وشاربه وجهه، وكبرت عضلاته.. وأصبح الكثير
من أهل المدينة يلقبونه بالغريب القوي..

يسير في شوارع المدينة.. ويضحك مع هذا وذاك.. ثم يأكل
الدجاج والخبز كعادته.. ويعود إلى البحيرة مرة أخرى فيلقي بنفسه في

مانها كي يريح جسده من عناء العمل.. ويظل يتظر «أسيل» كل يوم..
ويرفض أن يقابل «يامن» ليلاً.. ويحدث نفسه.. ربما ستأتياليوم.. وتمر
الأيام دون أن تأتي.. حتى أدرك أن «أسيل» قد نسيت وعدهاله بأن
يكملا حديثها بعدما لم يرها منذ حديثها السابق والوحيد.. ويظل
ساهرًا على شاطئ البحيرة حتى يغلب النعاس فينام .. حتى يأتي صباح
اليوم التالي.. ويكرر ما فعله في اليوم السابق.. وقد عادت إليه نضارة
وجهه، واختفي شحوبه بعدهما شعر أنه عرض ما فقده من ثروته حين
دخل زيكولا أول يوم .. حتى جاء يوم وقد وجد «يامن»، فحدثه:
- «يامن».. أنا محتاج أقلام وورق..

رد «يامن» في دهشة:- لماذا؟!

رد «خالد»:- يعني.. فيه حاجات عاوز أسجلها عن زيكولا.. استغل
فترة وجودي هنا بعد ما فات شهر..

«يامن»:- حستا.. أعرف مكانا يمكنك أن تذهب إليه، وتتجدد أقلام
وأوراق زيكولا المميزة..

ثم تابع مفتخرًا:- بالطبع لا توجد صناعة أفضل من صناعة زيكولا..

ثم أكمل:

- إنه مكان يباع به الكتب.. وأعتقد أنك ستجد مرادك هناك..

أراد «خالد» أن يسجل لحظاته التي يعيشها في زيكولا.. لعله يخرج منها ذات يوم، وتكون تلك الأوراق التي يكتبها ذكرى لن ينساها.. أو يصنع منها كتاباً يقرأه الكثيرون غيره.. ولكن كان هناك سبب آخر.. فقد جال بخاطره أن تأتي «أسيل» ذات نهار إلى البحيرة فلا تجده.. فقرر أن يكتب ورقة ويتركها بجوار شجرة.. ويخبرها بأنه في عمله، وأنه يتظاهر كل مساء.. وربما كان هذا السبب ما أشعل حاجته إلى الأقلام والأوراق .. حتى وصل إلى المكان الذي وصفه «يامن».. وقد طرق الباب الخشبي، ودخل.. فوجد حجرة كبيرة مليئة بالكتب.. ويجلس رجل عجوز بالحجرة وحيداً.. فاندهش «خالد» من ذلك الكم الهائل من الكتب المتراصة، حتى سأله العجوز:

- ييدو أنك الغريب القوي..

ضحك «خالد»:- نعم .. ولكن كيف عرفت؟!

رد الرجل: إنني أعلم الكثيرين من أهل المدينة..

فابتسم «خالد» ثم سأله:

- مين اللي كتب كل الكتب دي؟!

رد العجوز:

- إنهم علماء زيكولا القدامى .. وهناك من الكتب ما يتمي إلى البلاد الأخرى .. إن زيكولا تهتم بالعلم والعمل ..

سأله «خالد» مجددًا:- وأهل زيكولا قرأوا الكتب دي؟

أجابه العجوز:- الكثيرون منهم قرأوا ..

«خالد»:- يعني الكتب دي حققت لك ثروة كبيرة ..

رد الرجل:- لا .. ليست إلى هذا الحد .. إن أسعار الكتب رخيصة للغاية .. ثم صمت ، وتنهد:

- ربما كفاني أن أبيع كتاباً واحداً مثل كتاب بعنه ..

سأله «خالد» متسوّقاً:- أي كتاب؟

رد العجوز:- كان كتاباً قد اشتراه مني رجل بأغلى سعر شهدته زيكولا
اندهش «خالد»:

- لازم كان كتاب ثمين ..

ابتسم العجوز: - لا اعتقد ذلك .. وقتها لم أقرأ منه سوى سطور ..

ولكتني حين رأيت هذا الرجل يحتاجه بقوة طلبت منه أغلى سعر .. ثم

ضحك مجدداً ، وتتابع:

- يبدو أنه كان يحب الخيال .. إن كتاب كان يتحدث عن أرض أخرى ..

وعن وهم يسمى سرداد فوريك ..

(٨)

تسارعت ضربات قلب «خالد»، وامتلأت عروقه بالدماء حين
سمع العجوز ينطق بـ سرداد فوريك وأرض أخرى غير زيكولا..
حتى سأله في لففة:

- سرداد فوريك؟!!

رد العجوز: - نعم .. أتذكر هذا الاسم جيداً..
سأله «خالد» في لففة مرة أخرى:

- والكتاب كان بيتكلم عن أيه في سرداد فوريك؟
رد العجوز في هدوء: - لا أتذكر يا ولدي .. لقد كان هذا منذوقت
طويل، حتى هذا الكتاب لم أقرأ منه سوى سطور.. وبعدها جاءني هذا
الرجل الذي اشتراه مني ..

«خالد»: - والكتاب كان كامل؟ .. أقصد مكتمل؟
العجز: - نعم يا ولدي ..

«خالد» وقد بدا متوترًا:

- فيه منه نسخة تانية؟

رد العجوز:- لا اعتقد.. ابني لم أر كتاباً يتحدث عن ذلك السرداً إلا ذلك الكتاب..
«خالد»:- وألاقي الرجل ده فين؟.. هو موجود في زيكونلا؟..
العجز ، وقد اندهش من أسلة «خالد» الكثيرة:
لم أر هذا الرجل إلا مرة واحدة.. ربما يكون هنا في زيكونلا ، ولكنه ليس بمنطقتنا.. وربما يكون قد خرج منها.. لا أحد يدرى ..
ثم سأله «خالد»:

- لماذا أنت مهتم إلى هذا الحد.. هل تحب الخيال؟
رد «خالد»:- أنا لازم ألاقي الكتاب ده.. الكتاب دا هو الأمل الوحيد لياماً آخر من زيكونلا.. ثم سأله:
- تقدر توصف لي الرجل اللي اشتراه؟
صمت العجوز وكأنه يتذكرة:

- كان رجلاً عادياً.. كان طويلاً مثلك ، وكان ذا كتفين عريضين مثلك أيضاً.. وكانت لهجته وقتها غريبة أيضاً..
«خالد»:- مثلـي.. ثم سأله بعد صمت:
- هل تذكر اسمه؟

ابسم العجوز:

- إبني أتذكر اسمي بصعوبة..

«خالد» وقد بدأ يتحدث إلى نفسه:

- طويل.. وجسمه يشبه جسمي.. ولهجته غريبة.. وكان يدور على

كتاب سرداد فوريك.. معقول يكون اللي في بالي.. معقول يكون هو

فقاطع تفكيره العجوز:

- لماذا الصمت؟ أين شرد ذهنك؟

رد «خالد»:- لا .. مفيش حاجة.. أناحتاج اشتري أقلام وأوراق..

ابسم العجوز:- بالطبع يا ولدي.. لك ماشت..

اشترى «خالد» بعض الأوراق والأقلام التي احتاجها.. ولم تكن الأوراق شديدة البياض، وإنما كانت تميل إلى الصفرة، وكانت سميكة بعض الشيء.. أما الأقلام فقد كانت اسطوانات خشبية رفيعة ذات سن مدبب، وبداخلها خزان صغير للحبر.. وقد اشتري معها زجاجة من الحبر الإضافي.. وانصرف عائداً إلى البحيرة، وتفكيره لم يتوقف لحظة واحدة منذ حديثه مع ذلك العجوز.. ويسأل نفسه:

- معقول اللي في بالي.. معقول يكون الرجل اللي اشتري الكتاب هو والدي؟!..

ثم يعود لنفسه:

- ليه لأ.. الكل كان بيقول إني طويل زيه.. وإن عريض برضه زيه.. وكما نزل السرداي.. وكلام العجوز، وإن لهجة الرجل دي غريبة.. أكيد هو..

ثم نظر إلى النساء:

- معقول يكون لسة عايش هو وأمي.. معقول أشوفهم بعد السنين دي كلها .. هنا.. في زيكونلا؟!!

ثم نظر إلى البحيرة ، وسأل نفسه:

- طب افترض كان حد تاني؟

- ومنين اللي هيشتري كتاب زي ده بأغلل سعر.. وهنا الناس كلها بخيلة، وكتاب زي ده ملوش أي قيمة عندهم..

- ممكن يكون حد بيحب المغامرة.. عنده نفس الدوافع اللي نزلتك هنا.. أو ممكن يكون حد نزل السرداي غيرك أو غير أبوك أو أمك.. - لا.. هوأبوك..

- لا.. حد تاني..

- لا.. أكيد أبوك..

يجلس أمام نار أشعلها على شاطئ البحيرة.. ومازال يتحدث إلى

نفسه ..

- مهما كان الشخص ده، سواء كان والدي أو غيره.. معنى إن الكتاب موجود إن الأمل أصبح موجود..

- أكيد اللي كتب الكتاب ده، عارف إزاي أقدر أرجع لمصر تاني..
ثم علا صوته:

- أنا لازم ألاقي الكتاب ده.. لازم .. حتى سمع صوتنا من خلفه:
- أي كتاب؟..

إلتفت «خالد» حين سمع ذلك الصوت ، ففوجئ بأنها «أسيل»..

وقد اقتربت منه.. فنطق مبتسمًا:

- «أسيل»؟!!

فردت مبتسمة:- نعم.. ثم سألته بعدما جلست بجواره:

- هل تتحدث إلى نفسك هكذا دائمًا؟

رد «خالد»:

- أوقات.. بس أنا خلاص تفكيري مش قادر يتحمل..

«أسيل»:- لماذا؟

رد «خالد»:- النهاردة اكتشفت إن فيه أمل أقدر أرجع به لوطني.. بس
أمل بعيد..

«أسيل»:- أي أمل..

«خالد»:- عرفت إن فيه كتاب....

فقطاعته «أسيل»:

- مهلاً.. أتعلم أتنى لا أعرف اسمك بعد أبيها الغريب.. ثم تابعت
مبسمة:

- لم تخبرنى به المرة السابقة..

ابتسم «خالد»:

- اسمي «خالد».. «خالد حسني»..

«أسيل»:- «خالد».. اسم جميل..

ابتسم «خالد» مجدداً ثم تابع:

- اكتشفت إن فيه كتاب تاني كان بيتحدث عن السرداد اللي جيت منه ..

«أسيل» - وقد بدت الدهشة على وجهها:-

- أي سرداد؟!!

رد «خالد»:- سرداد فوريك ..

«أسيل»:- في الحقيقة أنا لا أفهم شيئاً.. لقد جئت اليوم كما أخبرتك أني أود أن استمع إلى قصتك.. وكيف دخلت إلى زيكولا ..

ابتسم «خالد» مداعباً لها:

- أيوه جيتي.. بعد شهر !! !!

فابتسمت «أسيل»:

نعم لقد كان شهراً مزدحماً بالعمل.. ولم يسمح وقتني أن آتي إلى هنا.. ولكتني دائماً كنت أتذكرك.. ولم أنس إنقاذه للفتى دون مقابل.. و كنت أعلم أنني سأتي إلى البحيرة يوماً كي أستمع إلى قصتك..

فضحك «خالد»:

- كنت في بالك؟!!

ردت - وقد أومأت برأسها - : نعم .. لم تغادر تفكيري ، لا أدرى
لماذا؟ ..

ابتسم «خالد» مسروراً .. ثم سأله:
- هل كنت تنتظري؟

رد «خالد»: - أنا .. لا .. ثم ابتسم:
الصراحة .. آه .. و كنت بدأت أفقد الأمل .. بس النهارده كأنه يوم
الأمل .. أعرف إن فيه كتاب موجود .. وإن «أسيل» الجميلة كمان هنا ..
آخر وجه «أسيل» خجلاً .. ثم نظرت إليه:

- هيا حدثني عن بلدك .. وعن ذلك الكتاب الذي وجده ..
صمت «خالد» قليلاً .. ثم بدأ يتحدث إليها:
أنتي تعرفي إني من أول ما دخلت إلى زيكولا من شهر .. ومحدش
يعرف أي حاجة عن بلدي .. حتى «يامن» صديقي كل اللي يعرفه إن
بلدي موجوده في الشمال .. وأنا مش عارف فين الشمال ده أصلًا ..
ثم أكمل:

- في البداية كنت فاكر أهل زيكولا مجانين .. دلوتنى خايف انكلم عن
بلدي يفكرونني أنا المجنون .. ثم نظر إليها:

- أنتي هتصدقيني يا «أسيل»؟

ابتسمت «أسيل»، وقد ضاقت عيناها:

- نعم.. أرى أنك صادق يا «خالد»..

أكمل «خالد»:

- أنا مش عارف فين زيڪولا دي.. أو بيجانا اللي هي بلده.. أول

ما جيت هنا فكُرت إن زيڪولا من البلاد المعزولة اللي عمرى ما سمعت

عنها.. زي البلاد اللي كنا بنشووفها في التليفزيون..

قاطعه «أسيل» في دهشة:- ماذ؟

ضحك «خالد»:

- أكيد انتي متعرفيش التليفزيون.. بس هشرح لك كل حاجة بعددين..

ثم تابع:

- المهم إني كنت مفكِّر إن زيڪولا معزولة.. وإن أهلها معزولين،

وميعرفوش حاجة عن العالم.. زي الهندوَ الحمر كده لما اكتشفهم

كريستوفر كولومبوس..

قاطعه مجددًا:- من؟!!

ضحك «خالد» مجددًا:

- أقولك على حاجة.. اسمعيني وبس.. مش هتفهمي مني حاجة
دلوقت.. ثم أكمل.. وسألها:
- أنتي تعرفي مصر؟
«أسيل» وكأنها تسمع الاسم لأول مرة:
- مصر؟! لا أعرفه..
«خالد»:- طب تعرفي أمريكا.. الصين.. أفريقيا.. أستراليا؟!
«أسيل» ومازالت مندهشة:- ماتلك الأسماء؟!
رد «خالد»:- دي أسامي بلاد العالم بتاعي.. أنا بلدتي اسمها مصر..
بتتكلم نفس لغتكم.. اللغة العربية.. بس بالعامية زي كلامي كده..
«أسيل»:- نعم.. ثم سألته:
- وأين مصر؟!
رد «خالد»:- زي ما بسأل نفسي بالظبط فين زيكلولا.. ه تكون نفس
الإجابة لينا..
فسألته «أسيل»:
- هل هي كبيرة مثل زيكلولا..
ضحك «خالد» وسألها:

- هو عدد الناس في زيكولا كام؟!

ابتسمت «أسيل»، وقد وقفت وتحركت تجاه البحيرة.. ثم إلتفت

وردت:

- كثيرون للغاية.. قد يصل إلى ثلاثة ألف.. هذا غير البلاد الأخرى..
آلاف أخرى..

فرد «خالد»، وقد وقف هو الآخر:

- عدد سكان مصر فوق التمانين مليون نسمة..

«أسيل» وكأنها لا تصدقه:- ماذا؟!!

أكمل «خالد» ضاحكاً:

- أمال لوعرتني عدد سكان بلد تانية اسمها الصين، اللي عدى المليار..
ولاً عدد سكان الهند.. أقولك.. عدد سكان العالم بتاعي أكثر من ستة
مليار نسمة..

نظرت إليه «أسيل».. وبدأت تعد على أصابع يدها، وكأنها تخيل العدد
ثم سألته:

- وكيف يأكل كل هؤلاء الناس؟

فضحك «خالد»:

- اطمئني.. كلّه بياكل..

ثم سأله:

- ومصر بلدك.. جيلة؟.. تحبها؟!!..

ابتسم «خالد» ثم نظر بعيداً إلى البحيرة.. وصمت مفكراً قليلاً..

ثم تنهَّد وتحدث:

- كان عندنا شاعر جميل اسمه صلاح جاهين قال:

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ماشاء

أنا مصر عندي أحب وأجل الأشياء

بحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب

وبحبها وهي مرمية جريحة حرب

بحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء

وأكرهاها وألعن أبوهاها بعشق زي الداء...
ثم توقف «خالد».. وحدّثه «أسيل»، وكأنّها تريده المزيد:

- ماذا بعد.. أكمل..

فضحك «خالد»:

- لا.. أنا حافظ دول بس..

فضحكت «أسيل».. ثم أكمل «خالد»:

- العالم بتاعي بيختلف عن هنا كتير.. عندنا كهربا وإذاعة وتلفزيون..
وإنترنت ، وبنتعامل بالنقود ..

«أسيل»:- ماذًا.. ما كل هؤلاء؟!

رد «خالد»:- مش هتفهمي قصدي لو قعدت أشرح لك سنة
كاملة.. بس احنا عالمنا متتطور إلى حد كبير..

فأسأله:

- هل أنتم تعيشون بالفضاء؟

ضحك «خالد»:

لا، لا.. احنا بنعيش على الأرض.. وعندها مية، وصحراء.. وبنات
حلوة زي هنا.. حتى لمح تغير وجه «أسيل».. التي سألته على الفور
بعد ما تحدثت عن جمال البنات:

- وكيف جئت إلى هنا؟

فصمت «خالد» قليلاً .. ثم تحدث:

كنت في يوم زعلان.. فحبب جدي يخفف عنني، فكلمني عن
سرداب تحت بلدي اللي اسمها (البهوفريك) .. اسمه سرداب فوريك..

ومن أول ما حكالي، ومش عارف أيه اللي حصل لي.. لقيت عندي رغبة
قوية إني أنزل السردار ده، واكتشف اللي فيه..

بعدها ظل «خالد» يحكي ما ححدث له منذ نزوله إلى السردار
حتى وصل إلى تلك الأرض.. وقابل الفقيرين بالصحراء.. وتشبت
بعربيها مع «يامن».. ودخوله إلى زيكولا.. وعلمه أن التعامل بها
بوحدات الذكاء.. ثم نظر إليها:

لما شفت العربات، والأحصنة، والدروع، والسيوف.. فكرت إني
انتقلت بالزمن في الماضي.. بس فوجئت إن الجميع هنا بيقولوا إننا في
أواخر ٢٠٠٩ .. وده نفس التوقيت في بلدي..

ردت «أسيل»:

- نعم، نحن على اعتاب عام ألفين وعشرة..
أكمل «خالد»:- دي الحاجة اللي هتجتني.. ومش قادر
استوعبها.. إزاي احنا في ٢٠٠٩ .. وحياتكم هنا بتقول إنكم من
قرون؟!.. ثم تابع:

ولما اتَّأَدَتْ من إِن التَّعَامِلُ بِالذِّكَاءِ فَعْلًا مِثْ كَلَامٍ مُجَانِينَ .. بَقِيَتْ
مُتَأَكِّدَ إِن السُّحْرُ هُنَا مُسِيْطِرٌ عَلَى الْمَدِينَةِ .. أَنَا خَلَاصٌ مِثْ قَادِرٌ أَفْكَرَ ..
فَاطَّعَتْهُ «أَسِيلٌ» :

- لا أَعْتَدُ أَنْكَ مُحْقِنٌ بِأَنَّ السُّحْرَ يُسِيْطِرُ عَلَى زِيكُولا .. إِنَّ الْحَيَاةَ
هُنَا هَكُذا .. لَمَذَا لَا تَقُولُ إِنَّ السُّحْرَ يُسِيْطِرُ عَلَى بَلْدَكَ أَنْتَ .. وَيَجْعَلُكُمْ
تَعْاملُونَ بِطَرِيقَةِ أُخْرَى .. كَيْفَ تَعْاملُونَ بُورْقَ .. أَرَى هَذَا سُحْرًا .. فِي
بَلْدِي الْقَدِيمَةِ بِيْجَانَا كَنَا نَتَعَالَمُ بِالْمَقَايِضَةِ ..

رَدَ «خَالِدٌ» : - أَيُوهُ الْمَقَايِضَةُ حَاجَةٌ طَبِيعِيَّةٌ ..

«أَسِيلٌ» : - هَنَا فِي زِيكُولا التَّعَامِلُ هَكُذا يَا «خَالِدٌ» .. هَلْ كَانَتْ عَمَلَةُ
بَلْدَكَ مَصْرُ فِي كُلِّ الْبَلْدَانِ ..

«خَالِدٌ» : - لَا .. كُلُّ بَلْدَهَا عَمَلَةٌ ..

«أَسِيلٌ» : - وَهَكُذا هُنَا .. الْعَمَلَةُ الذِّكَاءُ .. لَسْتُ أَنَا، أَوْ أَنْتَ مِنْ فَرَضَهَا ..
صَمَتْ «خَالِدٌ» مُجَدِّدًا ثُمَّ قَالَ :

- الْوَاقِعُ دَلْوَقْتِي بِيَقُولُ إِنَّهُ اتَّحَدَمْ عَلَيَا إِنِّي أَفْضَلُ سَنَةٍ كَامِلَةٍ فِي
زِيكُولا .. وَنَفْسِي السَّنَةُ دِي تَعْدِي بِأَقْصَى سَرْعَةٍ .. نَفْسِي أَرْجِعُ لِبَلْدِي ..
أَرْجِعُ لِحَيَاَتِي الطَّبِيعِيَّةَ ..

ثم عاد بظهره.. وأنسدَه إلى الأرض، وقد وضع يديه خلف رأسه.. ونظر إلى السماء.. وتأملها كثيراً حتى نطقَت «أسيل»:

- قصتك غريبة بالفعل يا «خالد».. ولو سمعها غيري لظنَ أنك مجنون.. ثم ابتسمت:

- ولكتني أصدقك.. ولن أتركك حتى تحدثني عن التل.. فزون هذا.. في القريب.. ولكن ليس الآن..

فابتسم «خالد»، ولكنه تذكر شيئاً.. ثم قام مسرعاً إلى جانب الشجرة.. وحدَث «أسيل»:

- أنا عندي دليل..

ثم عاد إليها مجدداً.. ومعه ساعة يده التي كانت توقفت.. فسألته:
- لهذا التل فز.. ون..؟!!

ضحك «خالد»:

- لا.. دي ساعة.. بنحسب بيها الوقت..
نظرت «أسيل» إلى الساعة بدهشة:

- إنها عجيبة..

ضحك «خالد»:

- لو كانت بتشتغل كنت قلت لك أقبلها هدية.. بس دي ملهاش قيمة
دلوقي..

فابتسمت:

- إنك كريم..

ثم نظرت إلى الساعة:

كيف تقيس تلك الآلة الوقت.. إننا هنا نقيسه بطريقة أخرى
 تماماً.. إنه عمل يقوم بهأشخاص، ويأخذون راتبهم..

رد «حالد»:

في الحقيقة أنا مش عارف هي بتقيس الوقت ازاي.. ثم سأله
وكأنه يريدها أن تبقى معه مدة أطول وألا تغادر:

- هو الوقت بيتحسب ازاي في زيكولا..

ردت «أسيل»:

ترى ضخامة سور زيكولا.. كلما أشرقت الشمس حتى تشرق
اليوم التالي يحسب يوما.. وتنحت عlamة على السور.. ثم تمر سبعة أيام
فتشحث علامة أخرى للأسبوع.. وما إن يأتي الشهر بعد ثلاثةين يوماً
حتى تُنحت علامه مختلفة.. ويأتي العام بعد اثنين عشرة علامه من

علامات الشهور.. فُتّحت دائرة مميزة.. إنهم عمال كثيرون، وهم أجور
لعملهم.. يُسمّون (عُمال الوقت).. ثم أكملت:
ولكن الغريب والذي لاحظته.. أنا ندرك أننا في نهاية عام ألفين
وتسعة.. وهذا لا أعتقد أنه يتوافق مع عدد السنوات التي على السور..
والتي لا تكمل نصف هذا العدد من السنين.. ولكنني لاأشغل بالي
بهذا..

تنهد «خالد» قائلاً:

- زيكولا.. كل شيء غريب تجده في زيكولا..
ثم أكمل:

النهارده بالصدفة عرفت إن فيه كتاب تاني عن سر داب فوريك..
وإن حد اشتراه من سنين.. والكتاب ده بيمثل الأمل ليها.. وإن أرجع
لبلدي.. ثم تابع:
- الأكبر من كده إني حاسس إن اللي اشتري الكتاب ده عمكن يكون
والدي..

صمتت «أسيل»، وكأنها تفكّر:

- إبني لم أسمع عن هذا الكتاب من قبل.. ثم سألته:

- ماذا ستفعل.. هل ستسأل كل شخص عن هذا الكتاب..
رد «خالد»:- أنا هدور على الكتاب في كل مكان.. لازم ألاقي
الكتاب.. أكيد الكتاب ده هو اللي هيجيب عن كل أسئلتي..

فابتسمت «أسيل»:

- أتمنى أن تجده.. وأن تستطيع مساعدتك يا «خالد».. ثم نهضت:
- عليّ أن أغادر الآن.. لقد تأخر الوقت كثيراً، ولديّ الكثير من
العمل غداً.. أظن أننا تحدثنا بما يكفي لحديث شهر كامل.. ثم أكملت،
وهي تسير:

- ولتكنني أحببت ذلك الوقت معك يا «خالد»..

غادرت «أسيل»، وظل «خالد» يقظاً.. يفكر كثيراً ثم يقطع تفكيره
بابتسامة حين يتذكر حديثه مع «أسيل».. وظل هكذا حتى أشرقت
الشمس دون أن يغفو له جفن.. فاتجه مسرعاً إلى مكان عمله.. وكعادته
قابل من يأخذون منه الوحدتين مقابل حياته.. فاثر أن يعطيهم
الوحدتين.. ثم وجد «يامن» فنادى عليه:

- «يامن»..

رد «يامن»:- أهلاً «خالد»..

«خالد»:- عاز منك طلب.. عاز اشتري حصان..

«يامن» في دهشة:

- حصان؟!!

«خالد»:- أبوء

«يامن» وما زالت الدهشة على وجهه:

- لماذا؟!

لم يجد «خالد» مفرًا إلا أن يخبر «يامن» بالحقيقة.. وأنه يريد ذلك
الحصان كي يبحث عن الكتاب في جميع مناطق زيكولا.. حتى بدا
«يامن» وكأنه لا يصدقه.. ولكن هذا لم يشغل بال «خالد».. وطلب منه
أن يذلل على مكان لبيع وشراء الأحصنة.. حتى نظر إليه «يامن»
متجاهلاً قصته:

- إن هذا سيكلفك كثيراً.. ربما يكلفك مائة وخمسين وحدة..

رد «خالد»:

- أنا موافق..

تابع «يامن»:

- «خالد».. هذا سيأخذ من مخزونك الكبير..

«خالد»:- مش مهم.. المهم إني ألاقي الكتاب..

«يامن»:- حسناً كما تريده.. سأخبرك أين تجد مكاناً تبتاع منه
حصاناً قوياً.. ولكن أين ستبحث.. نحن هنا في المنطقة الشرقية حيث
باب زيكولا وأرض الاحتفال وصناعة الطوب.. هناك أربعة مناطق
أخرى غير هذه المنطقة؛ المنطقة الشهالية، والمنطقة الجنوبية، والمنطقة
الغربية، والمنطقة الوسطى التي يوجد بها الحاكم.. وكل منطقة تختلف
عن الأخرى وعن منطقتنا هذه..

رد «خالد»: أنا هدور في كل مكان.. لازم ألاقي الكتاب.. أو اللي
اشتراه..

«يامن»:- وعملك؟!

رد «خالد»:- عندي مخزون كبير زي ما قلت..

«يامن»:- «خالد».. أخشى أن تقترب من مخزونك كثيراً فتندم على
ذلك..

رد «خالد»:

- ده أمل مقدرش اتركه.. عرفني بس منين اشتري حصان..

«يامن»:- حسناً.. ولكن ماذا إن وجدت الكتاب.. ولم تجده ما ينفعك.. وقد أنفقت الكثير من ثروتك، وجاء يوم زيكولا؟!..

رد «خالد»:

- لو ِّجه يوم زيكولا.. اعتقاد إن هيكون فيه كتير أفتر مني.. وأنا واثق إني بالكتاب ده هقدر أرجع لبلدي.. حتى لو فقدت أكبر قدر من الذكاء..

صمت «يامن» قليلاً.. ثم تنهَّد قائلًا:
ولتكنك نسيت شيئاً هاماً لا تعرفه.. إن نجحت في ذلك فقدت جزءاً كبيراً من ثروتك.. ستعود إلى وطنك كما خرجت من هنا..
مربيضاً.. لست ذكياً على الإطلاق.. لن يميزك عن غيرك سوى شيء واحد.. فسأله «خالد» متعجبًا:

- إيه هو؟

رد «يامن»:

- الغباء يا صديقي..

(٩)

أخبر «يامن» «حالد» بأنه قد تجاهل شيئاً لا يعرفه ، وأنه إن فقد ثروته مقابل ذلك الكتاب سيخرج من زيكولا كما هو.. أقل ذكاء.. لا يمتلك إلا الغباء.. فنظر إليه «حالد» وقد اتسعت حدقتا عينيه.. وكان صاعقة أصابته:
أيه؟!!.. أنت بتقول أيه؟!!..

رد «يامن»:- تلك هي الحقيقة يا «حالد».. عليك أن تحفظ بذكائك حين تخرج من زيكولا حتى تعود إلى بلدك كما كنت.. أو تعمل وتحقق ثروة فتعود أكثر ذكاء.. أما إن فقدت ذكاءك هنا وقد خرجت...
ثم صمت قليلاً وأكمل:
فكيف تسترد هذه بعد ذلك..

صمت «حالد» مرة أخرى من الصدمة.. وحدث نفسه في ضيق:
- الكتاب أو الغباء.. ثم غضب، وترك «يامن» الذي علا صوته تجاهه:
- ماذا ستفعل.. أما زلت ت يريد أن تشتري حصانًا؟..

ولكن «خالد» لم يجب سؤاله.. وتركه وسار مبتعداً عن مكان العمل ، هائماً.. لا يعلم ماذا سيفعل وماذا يقرر..

غادر «خالد» مكان عمله.. وما إن غادر حتى وصلت «أسيل» إلى ذلك المكان، وكأنها تبحث عنه.. وقد سالت بعض الفتيان أين مجده.. فأخبروها بأن تجد «يامن» صديقه المقرب.. حتى وجدت «يامن» الذي كان يعمل بتنقية الصخور.. فسألته على الفور:
- أنت «يامن»؟

فنظر إليها «يامن» في دهشة:
- «أسيل» الطبيبة !! .. نعم ، أنا «يامن» ..

فسألته:- أين «خالد»؟

فاندھش «يامن» من سؤالها:
- تريدين «خالد»؟!

ردت:- نعم ..
«يامن»:- لقد غادر العمل غاضباً..
فسألته في لففة:- لماذا؟!

رد «يامن»:- إنها قصة طويلة.. ربما لن تصدقها..

صمنت «أسيل» قليلاً ثم سأله:

- الكتاب؟!

«يامن» في دهشة:

- أتعرفين قصة الكتاب؟!

ردت «أسيل»:- نعم.. أعرف كل شيء.. لماذا غادر غاضبًا؟

بعدها أخبرها «يامن» بقصة ذلك الحصان الذي يريد أن يشتريه

«خالد» كي يبحث عن الكتاب في أرجاء زيكولا.. ثم أكمل حديثه

حين قال:

- والآن أنا لا أعرف أين هو.. فابتسمت «أسيل»:

- ولكنني ربما أعرف..

ثم شكرته، وغادرت.. وقد ابتسم «يامن» حين غادرت «أسيل»

فانياً:

- لم أرها في حياتي تهتم بشخص هكذا..

وصل «خالد» إلى شاطئ البحيرة مرة أخرى ثم جلس، وقد بدا الحزن والضيق على وجهه.. حتى اتجه إلى أغراضه بجوار شجرة البحيرة.. وقد أخرج الأقلام والأوراق التي اشتراها.. وقرر أن يكتب أي شيء.. لا يدرى ماذا يكتب، ولكنه يعلم أنه لا سبيل لذلك الضيق سوى أن يكتب.. كما كان يفعل دائمًا حين كان يرفضه والد «منى»، وكان يكتب وريقاته، ويعلقها على حائط غرفته.. حتى أمسك بقلمه.. وبدأ يرسم خطوطاً، ويكتب كلمات غير مفهومة.. حتى كتب «ماذا أفعل؟».. بعدها فوجئ بـ«أسيل» تقترب منه.. وقد ابتسمت:

- كنت أعرف أنني سأجدك هنا.. ثم سأله:

- لماذا لم تعمل اليوم؟

فصاح «خالد» غاضبًا:

- واشتغل ليه؟!.. أنا كرهت كل حاجة هنا..

فابتسمت «أسيل» في هدوء.. ت يريد أن تخفف من غضبه:

- حسناً.. ماذا فعلت بعدما تركتك بالأمس؟

فأخبرها «خالد» بأنه لم يفعل شيئاً.. وظل يقظاً حتى أشرقت

الشمس فتابعت:

- لست وحدك من أصحاب الأرق.. أنا أيضاً لم أنم..

فنظر إليها «خالد» في دهشة.. حتى أكملت:

- كنت أفكر كيف تجد كتابك..

ثم سارت بعض الخطوات بعيدة عنه.. بعدها إلتفتت إليه،

وقالت:

- تريدين أن تبحث في كل مناطق زيكولا.. وأنا أريد أن أساعدك في

ذلك..

ثم ابتسمت:

وهنا في زيكولا لا أحد يساعد غيره دون مقابل.. ثم صمتت ببرهة

وأكملت:

- وأنت لا تريدين أن تعمل.. ثم نظرت إلى أسفل:

- وهذا لن أستطيع مساعدتك..

ثم سارت ببعض خطوات.. وتحذّثت إلى نفسها بصوت يسمعه

«خالد»:

- ولكن ربما يفكّر «خالد» الذكي.. ويريد أن يعمل.. وبعدها قد

يساعده عمله..

نظر إليها «خالد»، وقد أصابته الحيرة:

- أنا مش فاهم حاجة..

ابتسمت «أسيل» مجددًا:

- «خالد».. أنا أذهب إلى كل مناطق زيكولا ماعدا المنطقة الشمالية..

وقد جئت إليك اليوم كي أقدم لك عرضاً..

«خالد» في دهشة:

- عرض؟!!

ردت «أسيل»:- نعم.. ما رأيك أن تأتي معي إلى تلك المناطق،

وتعمل كمساعد لي جزءاً من اليوم.. وقد أغيرك أحد أحصتي إن

احتاجته باقي اليوم.. تبحث عن صاحب الكتاب كما تشاء بالمكان الذي

نتواجد به..

ثم أكملت وقد أشارت إليه بأصبعها:

- ولكن عليك أن تعود إلى مبكراً في اليوم التالي.. أنا أحب أن يلتزم من

يعمل معي..

«خالد» وما زالت الدهشة منطبعة على وجهه:

- أعمل معك؟!!

«أسيل»:- نعم..

«خالد»:- بس أنا مبفهمش حاجة في الطب..

«أسيل»:- وكيف أنقذت الفتى؟!

رد «خالد»:- زي ما قلت لك قبل كدة، دي دورة إسعافات أولية.. بس مش معنى كدة إبني بفهم في الطب..

«أسيل»:- حسناً.. أشعر أنك ستعلم كثيراً.. وربما نجد غرقى، فلن أجد أفضل منك في إنقاذهن..

فأسأها «خالد»:

- «أسيل».. هو أنتي الطبيبة الوحيدة في زيكولا؟

ردت:- لا.. هناك العديد من الأطباء.. ولكنني أكثر مهارة.. وهذا ما جعلني طبيبة الحاكم وأسرته.. وطبيبة زيكولا الأولى رغم سنّي الصغيرة..

ثم سألته:

- هل توافق؟

فصمت «خالد» مفكراً، وقد طال تفكيره.. ثم التفتت «أسيل» إليه - وقد سارت خطوات متعددة عنه - وقالت:

- أرى أنك حفأ لا تحب الطب.. ثم ابتعدت حتى نطق «خالد» بصوت عالي:

- «أسيـل».. أنا موافق..

فابتسمت دون أن تُرِيـه وجهـها.. وقد ضاقت عينـاهـا بعدـما سمعـت كـلامـهـ.. ثم تـوقـفتـ،ـ والـنـفـتـ إـلـيـهـ مـجـداـ:

- حـسـناـ يا مـسـاعـديـ..ـ عـلـيـكـ أـنـ تـعـدـ نـفـسـكـ،ـ وـأـنـ تـنـامـ جـيـداـ الـيـوـمـ..ـ غـدـاـ سـنـذـهـبـ إـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الـوـسـطـىـ الـتـيـ يـتـواـجـدـ بـهـ حـاـكـمـ زـيـكـوـلاـ..ـ

غادرـتـ «أـسيـلـ»ـ،ـ أـمـاـ «ـخـالـدـ»ـ فـقـدـ اـمـتـلـكـ مـاـ لـمـ يـمـتـلـكـ منـ قـبـلـ فيـ زـيـكـوـلاـ..ـ حـتـىـ كـادـ يـرـقصـ فـرـحـاـ..ـ وـيـحـدـثـ نـفـسـهـ:

- أنا مـسـاعـدـ «ـأـسيـلـ»ـ..ـ أـنـاـ مـسـاعـدـ «ـأـسيـلـ»ـ..ـ

ثـمـ عـادـ مـسـرـعاـ إـلـىـ أـغـرـاـصـهـ..ـ وـأـمـسـكـ القـلـمـ مـنـ جـدـيدـ..ـ وـبـدـأـ يـكـتبـ..ـ بـعـدـمـاـ فـكـرـ قـلـيلـاـ:

«ـأـسيـلـ»..ـ تـلـكـ الـحـورـيـةـ الـتـيـ وـجـدـتـهـاـ فـيـ زـيـكـوـلاـ..ـ رـبـاـ كـنـتـ أـظـنـهـاـ جـيـلةـ الـوـجـهـ فـقـطـ حـيـنـ رـأـيـتـهـاـ لـلـمـرـةـ الـأـوـلـىـ..ـ وـلـكـنـهـاـ اـمـتـلـكـ كـلـ مـاـ هـوـ جـيـلـ..ـ إـنـ الـيـوـمـ أـسـعـدـ أـيـامـيـ فـيـ تـلـكـ الـمـدـيـنـةـ..ـ ثـمـ تـرـكـ القـلـمـ،ـ وـوـضـعـ

الأوراق بجواره، ثم أخفاها بأغراضه.. ونظر إلى ملابسه.. وحدث نفسه بأنه اشتراها حين دخل إلى زيكولا منذ أكثر من شهر، ولا يمتلك غيرها.. فعزم على أن يذهب إلى شوارع المدينة.. وأن يشتري زيًّا جديداً يناسب وظيفته الجديدة.. وقد ذهب بالفعل، واشترى زيًّا ليس بغالٍ الثمن.. وقد اندهش باائع الملابس.. وسأله:
كيف تشتري زيًّا آخر بعد شهر واحد فقط؟!.. ولكن «خالد» لم يعبأ بذلك.. وعاد إلى شاطئ البحيرة مرة أخرى.. وظل هناك حتى حل الليل، وهو يتذكر أن يأتي صباح اليوم التالي في أسرع وقت..

في صباح اليوم التالي.. نهض «خالد» من نومه، وكعادته ألقى بجسده في البحيرة بينطاله القديم.. بعدها ارتدى زيًّه الجديد.. وظل في انتظار «أسيل» حتى وجد عربتها، يقود حصانها سائق، تقترب.. فأسرع إليها.. وركب العربة بجوارها.. ثم تحركت العربة في اتجاهها إلى المنطقة الوسطى.. بعدها نظرت «أسيل» إلى زيًّه الجديد:
- مبارك عليك الزي الجديد..
- ضحك «خالد»:

- لازم المساعد بتاعك يشرفك في أي مكان.. ثم سأها:
- احنا هنعمل أيه في المكان اللي احنا رايحين له؟
- ردت «أسيل»:- المنطقة الوسطى يعيش بها الحاكم وأسرته.. وقد أرسلوا إليني كي أذهب إلى هناك اليوم.. قد يكون أحدهم مريضا.. فسألها «خالد» على الفور:
- طب ليه أنتي مش ملازمـة الأسرة الحاكمة طول الوقت؟!
- ردت «أسيل»:- لقد طلب مني الحاكم ذلك بالفعل.. ولكتنـي رفضت..
- «خالد» في دهشـة:- رفضـتي!
- أجبـتها «أسيـل» مبتسمـة:- نعم.. لا أريد أن أكون أسـيرة لمـكان بعينـه.. حتى لو كان مـكانـ الحـاـكـم..
- «خـالـد» -ومـازـالـ منـدـهـشاـ:-
- تقدـري تـرفـضـي طـلـبـ للـحاـكـمـ؟!
- «أـسيـلـ»:- إنه حـقـيـ.. ولـديـ منـ الحرـيةـ ما يـجـعـلـنيـ اـتـحـكـمـ بـإـرـادـتيـ.. وـأـنـأـ أـحـبـ الـانـطـلاقـ.. لا أـرـيدـ أنـ يـقـيـدـنـيـ أـحـدـ..
- صـمتـ «خـالـدـ» ثمـ سـأـلـاـ سـؤـالـاـ جـالـ بـخـاطـرـهـ:

- هو نظام الحكم هنا في زيكولا ملكي؟

ردت «أسيل»:- لا.. إن حاكم زيكولا يظل بالحكم خمس سنوات.. ثم يأتي حاكم غيره بختاره أهل زيكولا..

فاندهش «خالد» كثيراً:

- خمس سنوات بس؟!!!

«أسيل»:- نعم..

«خالد»:- ومفيش تجديد؟!

«أسيل»:- لا.. كل حاكم له خمس سنوات فقط.. ألا تكفي تلك المدة.. أرى أنها كافية لكل حاكم هنا كي يأتي غيره، ويكملا مسيرة التقدم لزيكولا، ويستفيد من أخطاء من سبقة.. ولهذا زيكولا تقدم عن البلاد الأخرى.. ألسنتم كذلك في بلدك؟

ضحك «خالد» ثم فرك شعره.. وصمت، وحاول أن يختلق موضوعاً آخر للنقاش.. ثم حدث نفسه:

أنا دلوقت متأكد إن زيكولا ليست لها أي صلة بالوطن العربي إلا اللغة العربية.. حتى قاطعت صمته «أسيل»:

- لماذا الصمت؟

ضحك «خالد»:- لا.. ولا حاجة.. لسه وقت كتير على المنطقة
الوسطى؟

نظرت «أسيل» من نافذة العربية ثم أجبته:

- لم يتبق إلا القليل.. ثم تابعت:

- ستساعدني حين يكون عملي مع الرجال فقط.. أما النساء فلا أريد
مساعدتك في شيء..

فضحك «خالد» مداعباً لها:

- ليه؟

فابتسمت ثم أكملت:

- يمكنك أن تنصرف وقتها.. وأن تبحث عن كتابك.. وحسن حظك
تلك المنطقة صغيرة.. لا يوجد بها سوى قصر الحاكم، وبعض قصور
الأثرياء..

مرّ الوقت.. وقد وصلت العربية إلى تلك المنطقة التي يقصدونها..
وقد نظر «خالد» من نافذة العربية، واندهش حين وجد تلك القصور
العالية.. وتلك الزخارف الرائعة التي تزيينها من الخارج.. وشاهد

الكثير من الحراس يقفون أمام أحد القصور فعلم أنه قصر الحاكم.. حتى توقفت أمامه العربة ، ونزلت «أسيل» ومعها «خالد» حاملاً حقيقتها القهاشية .. واتجها إلى داخل القصر .. و«خالد» يتلفت حوله كلما سار، ويشاهد البراعة المعمارية مستمتعاً، وقد لاحظت «أسيل» ذلك بعدما تلألأ في خطواته .. فحدثته مبتسمة:

على مساعدتي أن يسرع .. ليس هناك وقت للتأمل ..
فابتسم «خالد»، وأسرع حتى دخل معها إلى بهو القصر .. وهناك وجد رجلاً تبدو عليه الفخامة والنفوذ .. وبجواره العديد من الأشخاص والذين بدا عليهم الثراء أيضاً .. وقد علم «خالد» ذلك من ملابسهم المزركشة، والتي قد تباع إحداهم بها يكفي لإنقاذ عشرات الأشخاص من الذبح .. حتى انحنىت «أسيل» .. وانحنى معها «خالد» .. بعدها تحدث الحاكم إلى «أسيل»:

- لقد جئت في موعدك أيتها الطبيبة .. ثم سأها:

- من هذا؟! وقد أشار إلى «خالد» ..

فأجبت: إنه مساعدتي يا سيدي ..

فتابع الحاكم:

- لن تحتاجيه اليوم.. أريدك فقط أن تداوي زوجتي.. أشعر أنها ليست
بخير في الأيام السابقة..

فانحننت «أسيل» مرة أخرى.. ثم عادت إلى خارج بهو القصر..

ومعها «خالد» وقد حدثه مبتسمة:

- أرى أنك عظوظ.. لن تعمل اليوم، ولكنني سأرهقك من العمل في
الأيام القادمة..

ثم أشارت إليه أن ينصرف:

لثك اليوم بالكامل.. ابحث عن كتابك.. ربما تجد ذلك الشخص
الذي اشتراه هنا.. أما أنا فعلّي أنا أرى زوجة الحاكم.. لعلها بخير..

ابتسم «خالد»، وتركها وغادر.. وهو يحدّث نفسه:

- «أسيل».. حورية زيكولا..

انصرف «خالد».. وبدأ يسأل كل من يقابلها عن شخص طويل
وعريض مثله، ولهجة غريبة أيضاً، ولكنه يكبره سنًا، ويتكلّم عن
الخيال.. أو عن شيء يسمى سرداد فوريك.. فلم يجد من يسألهم سوى
علامات الدهشة والغرابة.. ولم يكن يعلم أحد -من يعملون بقصر

الحاكم - شيئاً عن ذلك الشخص الذي يقصده «خالد» .. بعدها خرج من القصر .. واتجه إلى القصور الأخرى، ويعلم أنه سيجد صعوبة فيما يفعله .. ولكنه عزم على أن يتمسك بأمله .. وأن يحاول في سبيل حلمه بالعودة إلى بلده .. وبدأ يسأل الناس من جديد .. ولكنه كلما سأله أحداً عن ذلك الشخص، أو ذلك الكتاب لم يجده .. وظل يسأل كل من يقابلها .. دون جدوى .. ومر الوقت وقد أصابه التعب، وبدأ اليأس يتسرّب إلى قلبه حتى مر عليه شخص فسأله .. فأخبره بأن هناك مبنياً كبيراً به الكثير من الكتب .. يسمى مكتبة الحاكم لعله يجد ذلك الكتاب

.. به

أسرع «خالد» إلى ذلك المكان الذي وصفه له الرجل مقابل وحدتين من ذكائه .. وهناك وجد شخصاً يعمل به .. فسأله عن ذلك الكتاب لعل صاحبه قد باعه أو أهداه إلى تلك المكتبة .. فلم يجده الشخص .. وأخبره بأنه لا يعلم كثيراً عن تلك الكتب .. وقد سمح له أن يدخل إلى المكتبة مقابل خمس وحدات أخرى من ذكاء «خالد» .. وقد وافق «خالد» على ذلك .. واتجه إلى داخل المكتبة ..

بعدها بدأ «حالد» يبحث بين الكتب.. ويبحث بين الورقفات المتناثرة.. يبحث في كل مكان بتلك المكتبة.. لا يريد أن يترك شبراً دون أن يبحث به.. ويستريح لبعض الوقت ثم يعاود بحثه مجدداً حتى لا يُضيّع وقته.. ويزرع الأتربة المتراكمة على بعض الكتب.. ويجلس من يعمل بتلك المكتبة يشاهد دون أن يساعد.. و«حالد» يواصل بحثه.. يحاول أن يجد أي عنوان لكتاب يمت بصلة إلى سر داب فوريك.. ولكن دونفائدة.. فقد مر الوقت وأكمل بحثه دون أن يجد ما يريد.. حتى حدث نفسه:

أكيد صاحب الكتاب مش في منطقة الحاكم.. لسه فيه مناطق ثانية.. ثم غادر.. وقد دخل الليل، وعاد إلى قصر الحاكم فوجد «أسيل» في انتظاره بالعربة.. فسألها إن كانت انتهت هي الأخرى من عملها فأجابته بأنها قد انتهت من عملها بالفعل.. ثم سأله لماذا لم تغادر؟ فأجابته مبتسمة:

- وهل أغادر دون مساعدتي؟!.. هيا.. ثم أمرت السائق أن يتحرك بهم إلى البحيرة.. بعدها سألته:
- هل وجدت شيئاً؟

رد «خالد»:- للاسف لا.. سألت ناس كتير بس ملقتش أي جواب..

«أسيل»:- هم العذر في ذلك.. إنك تبحث عن شيء صعب للغاية.. تبحث عن شخص لا تعرفه.. وعن كتاب لم يسمع به أحد.

«خالد»:- عارف إنه أمل ضعيف.. بس لازم امسك بيها.. ابتسمت «أسيل»:- لا تحزن يا «خالد».. إنك مازلت باليوم الأول من البحث.. وعليك أن تسعد بأنك انتهيت من منطقة بأكملها.. حتى لو كانت صغيرة.. ثم صمتت، وأكملت:

- لدى خبر سيجعلك سعيداً..

نظر إليها «خالد» في لففة:

- إيه هو؟

ردت «أسيل»:

- لقد اكتشفت أن زوجة الحاكم ليست مريضة.. وإنما ستستقبل مولوداً قريباً..

«خالد»:- حامل؟

«أسيل»:- نعم.. وأرى من أعراض حملها، أنه قد مرّ ثلاثة أشهر على حملها..

فأسألاها «خالد» ممندهشًا:

- وأنا أكون سعيد ليه؟

ردت «أسيل»:

إن أنجبت ذكرًا سيكون هناك احتفال لأهل زيكولا بذلك الطفل تكرييماً للحاكم.. ويقام يوم زيكولا بعد مولده بسبعة أيام.. وبالطبع سيفتح باب زيكولا قبله بيوم، ويدبّح أفقراً من بالمدينة أيضًا.. ثم أكملت:

هذا يعني أن يوم زيكولا قد يكون بعد ستة أشهر فقط من اليوم، ثم صمتت مجدداً، ونظرت إلى النافذة.. وقد بدا على وجهها الحزن، ولعت عيناها بالدموع.. وأكملت..
- وقتها تستطيع أن تخرج من زيكولا .

(١٠)

لم يتهالك «خالد» نفسه من الفرحة، وكأنه لا يصدق أذنيه.. وشعر

بأن ما قالته «أسيل» يجعله يرقص فرحاً.. ثم نظر إلى «أسيل»:

- سنت شهور؟!

ردت «أسيل»:- نعم.. إن أنجابت ذكرًا..

«خالد» في فرحة، وهو ينظر إليها:

- أنا متأكد إنه سيكون ذكر.. عارفة ليه؟

«أسيل»:- لماذا؟!

«لأنك وش السعد علينا.. أحل حاجة حصلت لي في زيكتولا»:

قال تلك الكلمات ، وقد غطت السعادة وجهه.. ثم تحدث إلى نفسه:

- سنت شهور.. يارب يكون ولد.. ثم نظر إلى «أسيل» مجدداً:

- مستخيليش أنا فرحان أديه.. أنا نفسي زوجة الحاكم تولد النهارده

قبل بكرة.. فعادت «أسيل» إلى ابتسامتها الرقيقة بعدما شعرت بسعادة

«خالد» بذلك الخبر.. وقالت:

- أنا أيضًا سعيدة لأنك تشعر بالسعادة.. كنت أعلم أنك ستكون سعيداً هكذا..

ابتسم «خالد»، ثم نظر خارج العربية عبر النافذة، ثم نظر إلى السماء المظلمة.. والتي كان بها نجم عزيز في تلك الليلة.. يضيء منفرداً بالسماء ومبعداً عن مجموعة نجوم أخرى.. ثم طلب من «أسيل» أن تنظر إلى ذلك النجم الذي أشار إليه:

- شایفة النجم اللي هناك ده..

ردت «أسيل»:- نعم.. إنه وحيد وعزيز..

ضحك «خالد»:- أنا هسميه «أسيل».. ثم صمت، وتحدث بعد لحظات:

- لو رجعت لبلدي يوم.. أكيد هلاقفي النجم ده في السما..

ضحكـت «أسيـل»:-

- أرى أن الفرحة جعلتك رومانسياً..

فضـحـكـ «خـالـدـ» مـكـمـلـاـ حـدـيـثـهـ وـمـدـاعـبـاـ لهاـ:

- أكيد النجم مش في جمال «أسيـلـ».. بـسـ هوـ جـمـيلـ وـعـيـزـ زـيـ ماـ «أـسـيـلـ»ـ
جمـيـلةـ وـعـيـزـةـ..

فاحمر وجه «أسيل» خجلاً.. وصمت، وظلت تنظر إلى «خالد»
الذى صمت هو الآخر، وكأنه هام بفكرة.. وسرح بين أحلامه..

كانت العربية تسير مسرعة، و«خالد» و«أسيل» بداخلها يتحدىان
أحياناً.. ويصمتان أحياناً أخرى.. وظلما هكذا حتى وصلت العربية إلى
البحيرة.. وتوقفت هناك؛ فنزل «خالد»، ثم تحدثت إليه «أسيل»:

- الأسبوع القادم سنذهب إلى المنطقة الجنوبية..
فابتسم «خالد»، وأومأ برأسه موافقاً.. ثم أكملت:
- أمامك سبعة أيام.. عليك أن تعود إلى عملك هنا.. لا تضيع وقتاً دون
عمل..

فسألها «خالد» مندهشاً:
- وعملي كمساعد ليكي؟!
ابتسمت «أسيل»:
- إن احتجت مساعدتك لي هذا الأسبوع فلن أتردد في ذلك .. ولكن
هنا يساعدني الكثيرون.. ثم تابعت:

- أترك لك المساعدة في المناطق الأخرى.. ولذا أمامك أيام لا تضيعها بالجلوس على شاطئ البحيرة.. اذهب إلى عملك مع صديقك «يامن»، واجلب الكثير من الأجر..

فابتسم «خالد».. وهز رأسه موافقاً..

تحركت العربية مجدداً.. و«خالد» ينظر إليها حتى اختفت عن أنظاره.. ثم اتجه إلى شاطئ البحيرة.. أما العربية فواصلت تحركها في أحد الشوارع المُنارة بالنيران حتى توقفت أمام بيت كبير.. تبدو من واجهته الفخامة والثراء، وله باب ضخم.. وقد نزلت «أسيل»، ودلفت إلى داخل البيت المضاء بالشمع، والذي امتاز بسقفه العالي، وجدرانه المنقوشة من الداخل، والأثاث الخشبي والنحاسي المُطعم بهاء الذهب.. ثم صعدت السلم الداخلي، واتجهت إلى حجرتها.. وألقت بنفسها على السرير المتواجد بها.. ثم نهضت مجدداً، وجلست أمام مرآة كبيرة.. وابتسمت برقة وهي تنظر إلى صورتها بالمرآة، وإلى شعرها الأسود الناعم الطويل الذي بدأت تتحسسه بيدها من الأمام إلى الخلف.. بعدها هامت للحظات، وبدأت تتحدث إلى نفسها:

- ما سر ذلك الشعور بداخلك؟.. وأي شعور هذا؟!

: هل هو سعادة أم حزن؟

ثم نظرت إلى صورتها مجدداً بالمرأة.. وتحدثت إليها:

- لماذا حزنتني حين علمتني بقرب خروج «خالد» من زيكولا..

: لا.. أنا لم أحزن..

: لا، حزنتي.. نعم حزنتي، ثم سألت صورتها مجدداً:

- هل تخيبه؟!

صمتت قليلاً، ثم أجبت نفسها:

- لا أعلم.. إنني لم أعرفه سوى أيام قليلة..

: ولكنك أحببته..

: ربها أحببت حديثه وجرأاته..

: أو ربها أعجبني اختلافه عن باقي رجال زيكولا البُلْهاء.. البخلاء،

الذين لا يفكرون إلا في جمع ثروة تفديهم من الذبح.. حتى أنهم يخافون

أن يفكروا ويستخدموا ذكاءهم؛ فيقلل ذلك من ثروتهم.. نعم يعجببني

أنه مختلف عن غيره..

ثم قامت، وتحركت إلى نافذة الحجرة.. وأزاحت ستارها، ونظرت إلى السماء، وابتسمت حين رأت النجم الذي سماه «خالد».. «أسيل».. وظللت تنظر إليه كثيراً ثم قالت:

- ولكن سير حل..

في اليوم التالي اتجه «خالد» إلى عمله القديم.. وهناك وجد «يامن» فصافحه، وبداء يعملا معاً في تقطيع الحجارة.. وقد اندهش «يامن» من تلك السعادة التي بدت على وجهه، وما تبعها من حاسة في عمله.. حتى سأله:

- «خالد» أراك سعيداً اليوم.. هل هناك شيء ما؟.. هل وجدت كتابك؟

ضحك «خالد»:

- لا.. ولكن فيه خبر فرحي.. ثم أكمل:

- احتفال أخرج من زيكولا بعد ست شهور بس..

«يامن» في دهشة:- ستة أشهر فقط؟!.. كيف؟!!

ابتسم «خالد»:

- يوم زيكولا احتفال يكون بعد ستة أشهر بـ ..

«يامن» وهو لا يصدقه:- ماذا تقول؟.. يتبقى أحد عشر شهرًا

على ذلك اليوم ..

«خالد»:- لا يا صديقي .. أنا هقولك سر عرفته ..

ثم أخبره «خالد» بأن زوجة الحاكم ستضع مولوداً بعد ستة

أشهر .. وأن «أسيل» أخبرته بذلك، فابتسم «يامن»:

- أنا سعيد لك يا «خالد».. ولكنني كنت أتمنى أن تبقى هنا ..

ضحك «خالد»:

- أنا بحبك جداً يا «يامن».. بس نفسي أرجع لبلدي .. ثم نظر إليه

بحزن وحيرة:

- بس لو خرجت من زيكولا هعمل أيه؟.. عشان كده لازم ألاقي

كتاب سرداد فوريك قبل الست شهور الباقين ..

فابتسم «يامن»:

- أتمنى أن تجده .. وأن تتحقق ما تريده .. ثم تابع:

- إن أطفال زيكولا سيكونون محظوظين هذا العام إن أقيمت يوم

زيكولا ..

فنظر إليه «خالد»، وكأنه يسأله عن السبب.. فأكمل «يامن»:

- إنهم سيشاهدون لعبة الزيكولا بعدما لم يشاهدوا المرأة السابقة حين هرب الفقران..

«خالد» في دهشة:

- لعبة الزيكولا؟!

رد «يامن»:- نعم .. ثم تذكر أنه لم يُحدِّث «خالد» عنها من قبل.. فأكمل حديثه:

- لم أخبرك بها سابقاً.. إنها اللعبة التي يُقال إن أرض زيكولا قد سميت بهذا الاسم نسبة لها.. هي في الحقيقة ليست لعبة.. إنها منافسة.. وينتظرها الجميع هنا.. فهي ما تُحدِّث الأفقر بالمدينة..

«خالد» ومازال مندهشاً:- ازاي؟!

أكمل «يامن»:

- قبل يوم زيكولا بعدهة أيام يقوم الجنود بجمع الأكثر مرضًا وشحوبًا بالمدينة.. يجتمعون الكثيرين من الناس.. وهناك يحدد الأطباء من هم الفقراء ومن هم المرضى حقًا.. حتى يتبقى منهم عدد قليل.. وهنا يأتي دور «أسيل» الطبيبة.. وهي من تحدد الثلاثة الأكثر فقرًا.. ثم

يأتي دور لعبة الزيكولا في اليوم السابق للذبح.. أي يوم فتح باب زيكولا..

ثم صمت قليلاً، وضرب صخرة بفأسه.. ثم أكمل حديثه:

- لعبه الزيكولا تكون أمام الجميع.. وهي ببساطة قرص خشبي يدور بسرعة معينة، وبه ثلاثة أسهم تنطلق من ذلك القرص.. ويقوم نحّاتو زيكولا بفتح تمثال لكل فقير من الفقراء الثلاثة.. ويوضع هذا التمثال على بعد أمتار أمام قرص السهام.. وعلى كل فقير أن يختار ثلاثة أماكن في تمثاله كي يحميهم من السهام..

- من يصيّب أكبر عدد من السهام يكون هو الفقير المختار.. وهكذا لا يُظلم أحد في زيكولا..

فـ«خالد»:

- ومن اللي اخترع اللعبة دي؟

رد «يامن»:- لا أعلم فقد وجدناها منذ ولدنا.. إنها تجعل كل فقير مسؤولاً عن حياته وعن قدره.. ربما يكون هناك فقير قد أختير في أيام كثيرة من أيام زيكولا.. ولكنه ينجح في اجتياز لعبة الزيكولا.. وهذا قدره..

فقطّعه «خالد» مجدداً:

- هي سهلة اللعبة دي؟

«يامن»:- في الحقيقة أراها أسهل ما يمكن.. والكثير منا يتبنّى
بالأماكن التي تصيبها السهام.. ولكن حين يصيّبك الغباء فإنك لا
تستطيع تحديد تلك الأماكن.. وتحمي مناطق أخرى من تمثالك.. ثم
تابع:

- عليك أن تحافظ على ذكائك حتى تجد كتابك، وترحل عن هنا.. وهذا
هيا.. واصل عملك.. ثم ابتسم وأكمل:
- مارأيك في منافسة كبيرة في تكسير الصخور أيها السعيد..

مررت الأيام يوماً بعد يوم.. و«خالد» يذهب إلى عمله لقطع
الأحجار.. ويعود إلى البحيرة ليلاً، ويجلس أمامها البعض الوقت ثم
يغلبه النعاس متأثراً بإرهاقه.. أما «أسيل» فكانت تواصل عملها في
مداواة المرضى.. ثم تعود إلى غرفتها، وتظلّ تنظر إلى السماء عبر
شرفتها.. تبحث عن ذلك النجم.. «أسيل».. وقد عمدت ألا تذهب
إلى البحيرة في تلك الأيام حتى تتأكد من حقيقة مشاعرها تجاه «خالد»..

ورغم الصراع الذي كان يشتعل بداخلها ما بين الرغبة في الذهاب إلى هناك أو المكوث بحجرتها.. إلا أنها فضلت البقاء بحجرتها.. حتى مر الأسبوع، وجاء يوم ذهابها إلى المنطقة الجنوبيّة.. فاتجهت بعربتها إلى البحيرة حيث كان «خالد» في انتظارها.. فسألته في ابتسامة:

- مساعدتي.. هل أنت مستعد للعمل؟..
فابتسم «خالد»:

- نعم ..

ركب «خالد» العربة مع «أسيل».. وبدأت العربية في التحرك
فسألته «أسيل» بعدما وجدت بعض الأوراق تظهر بين أغراضه:

- ما هذا؟!

فابتسم «خالد»:
- فكرت إني أسجل بعض الأحداث هنا في زيكولا..

فابتسمت «أسيل» وسألته:
- وماذا كتبت؟

فضحك «خالد»:

- في الحقيقة مكتبتش إلا حاجات قليلة..
فجذبت «أسيل» الأوراق.. وقالت:
- سأرى ماذا كتبت حتى الآن..

حتى وجدت تلك الكلمات التي كتبها عنها «خالد».. وأتها حورية زيكولا فأحرّر وجهها خجلاً.. ونظرت إليه بطرف عينها دون أن تنطق.. فشعر «خالد» بالخرج بعدما قرأت «أسيل» كلماته فضحك مداعبًا لها:

- لا.. دي «أسيل» نجمة السما.. فضحكت «أسيل» ثم قالت:
- إبني لم أقل شيئاً.. ثم صمت.. وببدأت تقرؤها من جديد.. وظلت تقرؤها، وتكررها أكثر من مرة في سرها.. حتى قاطعها «خالد»:
- أنا عرفت عن لعبة الزيكولا..

فسألته:- ألم تكن تعرف عنها حتى الآن؟
رد «خالد»:- لا .. اللي كنت أعرفه أنك مسؤولة عن اختيار أفتر ثلاثة
بالمدينة..

«أسيل»:- نعم.. فأنا طيبة الحاكم..
فأسأله «خالد»:- أنتي بتعرفي الأفتر ازاي؟

ضحكـت «أـسـيل»:

- إـجـابـتـي كـلـمـةـ وـاحـدـةـ.. الـخـبـرـةـ.. ثـمـ أـكـمـلـتـ:

- حـينـ يـتـهـيـ أـطـبـاءـ زـيـكـوـلاـ منـ عـلـمـهـ.. يـتـبـقـىـ عـدـدـ قـلـيلـ اـخـتـارـ
مـنـ بـيـنـهـمـ الـأـفـقـ.. قـدـ يـكـونـ هـنـاكـ الـمـرـيـضـ حـقـّـاـ، وـبـالـطـبـعـ إـنـ شـكـكـتـ
بـذـلـكـ؛ أـعـدـتـهـ إـلـىـ دـيـارـهـ، وـلـيـ الـحـقـ فـيـ ذـلـكـ دـوـنـ أـنـ يـرـاجـعـنـيـ أـحـدـ.. أـمـاـ
الـفـقـرـاءـ فـشـحـوـبـهـمـ مـيـزـ.. وـاسـتـطـعـ بـخـبـرـتـيـ أـنـ أـمـيـزـ الـأـفـقـ مـنـهـمـ..

فـسـأـلـهـاـ «ـخـالـدـ»:

- وـهـنـاـ الـفـقـرـ بـيـكـونـ يـمـتـلـكـ كـامـ وـحدـةـ ذـكـاءـ تـقـرـيـباـ؟

«ـأـسـيلـ»:- إـنـاـ مـسـأـلـةـ نـسـبـيـةـ.. قـدـ يـمـتـلـكـ شـخـصـ عـشـرـ وـحدـاتـ،
وـيـكـونـ هـنـاكـ مـنـ يـمـتـلـكـ أـقـلـ مـنـهـ.. وـقـدـ يـمـتـلـكـ أـلـفـ وـحدـةـ وـلـكـنـهـ يـكـونـ
أـقـلـ فـيـكـونـ الـأـفـقـ..

فـضـحـكـ «ـخـالـدـ».. وـسـأـلـهـاـ مـجـدـداـ:

- أـنـتـيـ تـقـدـرـيـ تـعـرـفـيـ أـنـاـ أـمـتـلـكـ كـامـ وـحدـةـ؟

فـابـسـمـتـ «ـأـسـيلـ».. ثـمـ وـضـعـتـ يـدـهـاـ عـلـىـ جـبـيـنـهـ.. ثـمـ رـدـتـ:

- تـمـتـلـكـ مـاـ بـيـنـ ثـيـانـيـةـ وـتـسـعـيـانـةـ وـحدـةـ..

فـنـطـقـ «ـخـالـدـ»ـ خـائـفاـ:

- بس؟!!

ابتسمت «أسيل» كي تطمئنه:- إنه ليس بالقليل..

«خالد»:- ولكن الكل هنا بيقول عليا غني..

«أسيل»:- نعم.. ولكن هنا من يخبرك بأنك غني فقط؛ أي أنك لست فقيراً..

عادة القراء هنا يمتلكون مائة وحدة أو أقل.. وعليك أن تخيل كيف يصلون إلى تسعمائة وحدة إن كانوا يوفرون باليوم بعد احتياجاتهم الفورية وحدة أو وحدتين.. قد يحتاجون عاماً، أو اثنين أو ثلاثة كي يصلون إلى ذكائك، في الوقت الذي تكون أنت به قد ضاعفت ذكاءك وأصبحت تمتلك ضعف تلك الوحدات إن عملت بجد في تلك الفترة من الزمن.. وهكذا تظل غنياً في نظرهم..

فتذكر «خالد» شيئاً ثم سأله:

ولكن الفقر اللي ذبح المرة اللي فاتت كان بيملك بيت ضخم..
ازاي يكون فقير؟!.. وكان ممكن بيعه مقابل ثمن كبير!

ردت «أسيل»:- ربها حاول أن يبيعه بالفعل.. ولكن ماذا لو لم يتقدم أحد لشرائه.. بالطبع سيفقد قيمته وقتها.. ثم أكلمت:

- حين يقترب يوم زيكولا يخشى الجميع أن يُفْرَطوا في وحدة واحدة من ذكائهم.. ربيا إن علموا بخبر مولود الحاكم فلن يشتري أحد أي شيء حتى ذلك اليوم..

بعدها سألهما «خالد» مداعبًا لها:

- «أسيل» الجميلة تمتلك كام وحدة؟.

ضحكـت «أسيـل»:

- «أسيـل» تمتـلك الكـثير.. أكثر ما تتخـيل..

مر الوقت، وسانق العربية يأمر الحصان أن يسرع.. و«خالد» و«أسيـل» يكملان حديثهما داخلـ العربية.. حتى وصلـتـ العربية إلى المنطقة الجنـوبـية.. وقد نـزل «خـالـد» منـ العـربـةـ حـامـلاـ أغـراـضـهـ، وـحـقـيـقـيـةـ «أـسيـلـ».. فـوـجـدـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ تـخـلـفـ عـنـ المـنـطـقـةـ التـيـ يـقطـنـ بـهـاـ، وـعـنـ مـنـطـقـةـ الـحاـكـمـ.. فـكـانـتـ مـبـانـيهـاـ صـغـيرـةـ.. تـتـكـونـ مـنـ طـابـقـ وـاحـدـ.. وـكـانـتـ الـمبـانـيـ قـلـيلـةـ وـمـتـلـاصـقـةـ.. وـالـشـوـارـعـ بـهـاـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـحـصـنـةـ وـالـحـمـيرـ، وـمـاـ نـتـجـ عـنـ ذـلـكـ مـنـ روـثـ الـحـيـوانـاتـ.. ثـمـ نـظـرـ فـوـجـدـ آـلـاتـ زـرـاعـيـةـ قـدـيمـةـ.. ثـمـ تـحـدـثـ «أـسيـلـ»ـ فـائـلـةـ:

- لا تندesh.. إنها المنطقة الجنوبية، منطقة الزراعة بزيكولا..
الجميع هنا مزارعون، ويعملون بأراضيهم.. ويمدون زيكولا بالقمح
والأرز وبباقي المحاصيل.. وكل أنواع الفاكهة، ثم أكملت:
- اليوم ستساعدني.. لن تستمع بالراحة كيوم منطقة الحاكم ..
فابتسم «خالد»:
- حاضر

- سارت «أسيل» ومعها «خالد» يحمل حقيقتها في أحد شوارع تلك
المنطقة.. ثم دخلا أحد البيوت.. وكان كباقي البيوت؛ مكوناً من طابق
واحد لا أكثر.. وهناك استقبلتها سيدة تقترب من الخمسين من
عمرها، ثم صرحت بها إلى حجرة بالبيت حيث كان يرقد زوجها، وساقه
اليسرى مضمد.. فنظرت «أسيل» إلى «خالد»:
- «خالد».. أريدك أن تساعدي بأن أبدل له تلك الضمادة دون أن أحرك
الجبيرة أو أن أسبب له ألمًا..

فابتسم «خالد» ثم قام برفع قدم ذلك الرجل.. وثبتها على ذراعيه
وببدأت «أسيل» تفك تلك الضمادة القديمة.. و«خالد» ينظر إلى ما

تفعله حتى أخرجت ضماده جديدة من حقيتها.. ثم أخرجت مادة عُشبية خضراء اللون ولزجة.. ووضعت القليل منها على ساق ذلك الرجل ثم بدأت تلف الضماده حول جبيرة ساقه.. حتى سألاه الرجل:

- متى أعود إلى عملي؟

فأجابـت «أسيـل»:

- إن عظام ساقك لم تلتـشم بعد.. إنـها ما زالت تؤلمك، أليس كذلك؟
ردـالـرـجـلـ:-ـ بـلـ..ـ وـلـكـنـ يـجـبـ أـنـ أـعـمـلـ..ـ لـمـ أـعـمـلـ مـنـذـ شـهـرـ..ـ وـأـشـعـرـ
أـنـ ثـرـوـتـيـ تـقـلـ..ـ وـيـجـبـ أـنـ أـعـوـضـ ذـلـكـ..ـ

«أسيـلـ»ـ وـقـدـ اـبـتـسـمـتـ:-ـ عـلـيـكـ أـنـ تـصـمـدـ حـتـىـ تـلـتـشـمـ عـظـامـكـ
ثـمـ تـعـوـضـ مـاـ فـاتـكـ مـنـ عـمـلـ فـيـ أـيـامـ الـقادـمةـ،ـ ثـمـ نـظـرـتـ إـلـىـ «ـخـالـدـ»ـ:
ـ هـلـ رـأـيـتـ يـاـ «ـخـالـدـ»ـ كـيـفـ أـلـفـ تـلـكـ الضـمـادـةـ..ـ

ـ «ـخـالـدـ»ـ:-ـ أـيـوهـ..ـ دـيـ سـهـلـةـ..ـ

ـ «ـأـسـيـلـ»ـ:-ـ حـسـنـاـ..ـ عـلـيـكـ أـنـ تـكـمـلـهـاـ حـتـىـ أـعـوـدـ إـلـيـكـ..ـ هـنـاكـ فـتـاةـ
ـ مـرـيـضـةـ سـأـطـمـنـ عـلـىـ حـالـتـهـاـ وـأـعـوـدـ..ـ

ـ «ـخـالـدـ»ـ وـقـدـ تـحـدـثـ مـثـلـهـاـ:-ـ حـسـنـاـ..ـ

بعدها طلب «خالد» من ذلك الرجل أن يثبت قدميه في وضعهما..
ثم بدأ يكمل لف الصيادة حول ساقه كما كانت تفعل «أسيل» فرأته
«أسيل» يفعلها ببراعة فتركته، وغادرت كما أخبرته.. وظل «خالد» مع
الرجل المصاب يلف الصيادة حتى انتهى.. ثم سأله الرجل:

- أنت عايش مع زوجتك فقط؟

رد الرجل: - نعم..

«خالد»: - وأولادك فين؟!

رد الرجل في حزن:

- إبّهم كبار الآن.. لقد تركوني بعدما قسمت عليهم أرضي..

«خالد» في دهشة: - قسمت عليهم أرضك؟

الرجل: - نعم.. فقد أجبروني على ذلك .. وتعذّوا علي أكثر من
مرة.. وأقسموا أن يقتلواني إن لم أعطهم تلك الأرض.. ثم تابع:

- إبّهم مثلنا يخشون الفقر.. وبعد ما أخذوا ما أرادوا تركوني..

فهمس «خالد» إلى نفسه:

- لا رحمة في زيكولا..

حتى فوجئ بأمراة تدخل فجأة.. وتصرخ سائلة:

- أين الطيبة «أسيل».. أين الطيبة «أسيل»..
رد «خالد»:

- إنها ستأتي بعد قليل.. لماذا تريدينها؟!
أجبت المرأة وهي تبكي:- إن ابني قد مرض فجأة.. ويبدو أن
مرضه شديد، وأخشى أن يموت قبل أن تأتي الطيبة..
فنطق الرجل، وأشار إلى «خالد»:

- إنه مساعدها.. ويبدو أنه ماهر مثلها..
فنظر إليه «خالد» وقد رفع حاجبيه:
- لا.. أنا مش ماهر.. أنا مش طيب..
فجذبته السيدة:

- أرجوك.. سأعطيك كل ما تريده.. أريد أن يعيش ولدي..
وطلت تجذبه وتتوسل إليه.. و«خالد» يحاول أن يقنعها بأنه لا
يعرف عن الطب شيئاً.. ولكنها لم تصدقه فلم يجد إلا أن يذهب معها
كي تهدأ.. ثم طلب من الرجل أن يخبر «أسيل» - حين تعود - عن
مكانه..

ذهب «خالد» مع تلك المرأة ، والتي كانت تجري حافية القدمين..
وتجري «خالد» وتصرخ:
- لقد كان صحيحاً.. إنه لم يعرض من قبل..
حتى وصلا إلى بيت المرأة، والذي كان بسيطاً، ويوجد بمتصفه
حوض كبير مليء بالماء.. ثم دخلـا إلى حجرة صغيرة يرقد بها الطفل
فاقداً وعيه على سرير صغير.. و«خالد» لا يعلم ماذا يفعل.. ويحاول أن
يقول إنه مازال مساعداً جديداً لـ«أسيل»، ولكنها لم تدع له فرصة أن
يقول شيئاً.. وتصرخ:

- إن ابني سيموت.. إنه لم يكمل العشرة أعوام..
و«خالد» يقف حائزاً.. وينظر إلى الطفل دون أن يتحرك.. والمرأة
ما زالت تصرخ:

- إنه يعمل بجد.. لا يمر يوم إلا ويعمل رغم سنه الصغيرة.. لا تهمه
حرارة الشمس.. كل ما يهمه هو عمله..

حتى نظر «خالد» فجأة إلى الطفل حين سمع صرخات أمه..
وتذكر أن شمس ذلك اليوم كانت شديدة.. واقترب من الطفل فوجـد
جلده جاف للغاية.. وحين لامس جبينه وجده ساخناً جداً، ووجد

الطفل يهدي بكلمات غير مفهومة.. فقام «خالد» بحمل الطفل، واتجه به إلى ذلك الحوض الذي يوجد بمتصف البيت.. ووضعه بملابسـه في هذا الحوض، وقد اندهشت أم الطفل لما فعله «خالد».. ولكنها تركته يمضي فيها يعمله حتى سألـها:

- فيه مياه أبرد من مياه الحوض؟!

فردـت: - لا.. ولكتـني قد اشترـي ماء بارداً من جـيراني.. ثم خرجـت مسرـعة فأكـمل «خـالـد» عملـه، وأخرجـ الطفل من المـاء ثم وضعـه مـرة أخـرى بـه.. حتى عـادـت أمـه، ومعـها من تـحـمـلـ أـوـعـيـةـ بها مـاهـ بـارـدـ، وسـكـبـتـهـ بالـحـوضـ.. ثمـ أمرـهاـ أنـ تـقـومـ بـفتحـ نـوـافـذـ الـبـيـتـ:

- أـريدـ أنـ يـدـخـلـ الـهـوـاءـ الـبـارـدـ إـلـىـ هـنـاـ..

أـسـرـعـتـ الأمـ إـلـىـ النـوـافـذـ:

- حـسـنـاـ..

بعـدهـاـ أـخـرـجـ الطـفـلـ مـنـ المـاءـ وـجـرـدـهـ مـنـ مـلـابـسـهـ.. وـوـضـعـهـ عـلـىـ أـرـضـيـةـ بـارـدـةـ، وـتـرـكـهـ لـفـتـرـةـ وـلـاـ يـعـلـمـ مـاـ يـفـعـلـ غـيرـ ذـلـكـ.. وـهـلـ مـاـ فـعـلـهـ صـحـيـحـ أـمـ لـاـ؟ـ!ـ..

مرّ بعض الوقت، و«خالد» يتظر أن تأتي «أسيل».. ولكنها تأخرت، وظل هو بجوار الطفل والذي مازال فاقداً لوعيه، وأمه مازالت تصرخ.. ويحاول أن يهدأ من روعها، ولكنه فشل في ذلك.. حتى أتت «أسيل»، وقد وجدت «خالد» يجلس على ركبتيه بجوار الطفل الذي يرقد عارياً على أرضية الحجرة.. فسألته في لففة:
- لماذا فعلت؟.. لماذا تضعه على الأرض هكذا؟!.. وماذا بدل هذا الفتى؟!!

فرد «خالد»:

- كان سخن جداً.. وشكّيت إنه تعرض لضربة شمس..
فبدأت «أسيل» تفحص الطفل.. والأم مازالت تبكي بجوارها.. حتى فوجئت بالطفل يفتح عينيه، ويبحث عن أمه قبل أن تقوم «أسيل» بعمل أي شيء، فوضعت «أسيل» يدها على جبينه.. ثم سألت «خالد».. هل كانت حرارته مرتفعة عن ذلك؟.. فوضع «خالد» يده فوق جسده قد انخفضت ولم يعد ساخناً كما كان.. فابتسمت فرحاً:
- أيوه.. كان سخن عن كده كتير..
فابتسمت «أسيل» ثم نظرت إلى أمه:

- إنه بخير الآن ..

ثم أخرجت زجاجة من حقيبتها.. وأعطتها لأمه وأمرتها أن تعطيه منها كل يوم حتى يصبح صحيحاً.. فشكرتها على ذلك ثم اتجهت إلى «خالد» وشكرته.. وأخبرته بأنه طبيب بارع فضحك «خالد»:

- أنا مش طبيب.. صدقيني ..

فأله:

- كم تريده؟

رد «خالد»:- لا.. أنا مش عاوز حاجة.. ثم نظر إلى «أسيل»:

- أعطي أجر الطبيبة فقط ..

فقالت «أسيل»:

- لا، أنا لن آخذ شيئاً سوى ثمن الدواء.. أما غير ذلك فهو لك..
لست أنا من أنفقده ..

فابتسم «خالد»:

- وأنا مش عاوز أي مقابل.. كفاية إنك اشتريتي الميه الباردة..
فشكرته السيدة مجدداً.. ثم تأملته لبعض الوقت، وظلت صامتة
حتى اندھش «خالد».. وغادر بعدها مع «أسيل»، والتي سأله:

- «خالد».. هل أنت طيب؟!

ضحك «خالد»:- لا.. والله..

فسألته:- كيف؟!.. في المرة الأولى أنقذت الفتى من الغرق وقلت إنها دورة إسعافات.. واليوم ربطت الضحية ببراعة.. ثم أنقذت طفلا آخر، لم أكن أستطيع فعل ما فعلته..

رد «خالد»:

هي الصدفة فقط لا غير.. أنا كنت صغيراً وكنت بلعب مع أصحابي.. وفجأة ولد أغمى عليه متى، وكان سخن زى الطفل ده ووقتها شفت الطبيب وهو بيعمل شبه اللي أنا عملته كده، وقال إنها ضربة شمس.. فلما لقيت النهاردة الطفل، وأمه قالت بالصدفة إنه بيعمل في الشمس.. اتفكرت نفس المشهد القديم في بالي.. ولما اتآخرت قررت إني أغامر لحد ما تيجي.. وقلت لنفسي أكيد مش هخسر حاجة بالعكس يمكن الدقائق دي تفرق في حياته.. والحقيقة مكتنش عارف التبيجة.. لكن التوفيق كان معايا والولد فاق فعلًا..

صمتت «أسيل» ثم قالت مبتسمة:

يعجبني ذكاؤك يا «خالد» .. اليوم أثبتت أنك خير مساعد لي..
ولكن لماذا لم تأخذ أجرك هنا أيضاً من السيدة، وأنت تستحق ذلك..
ابتسم «خالد»:- ده عمل خير.. وكان لازم أعمله، مش كل
حاجة لازم آخذ مقابل لها.. هي زي كولا مفيش فيها حد يعمل خير أبداً
ضحكـت «أسيـل» وأكملـت:
- كان يجب أن تأخذـه.. فإـنك قد استخدمـت ذـكاءـك، والذـكاءـ ثـروـتك،
وـجـينـ تـفـكـرـ بـذـكـاءـ بـالـطـبـعـ يـأـخـذـ مـنـ تـلـكـ الثـرـوـةـ..
ابـتـسـمـ «خـالـدـ» مـجـدـداً:
- أنا عـرـفـتـ لـيـ مـفـيـشـ حدـ يـفـكـرـ فـيـ زيـ كـولاـ.. وـلـكـ أـنـاـ مشـ مـعـتـاجـ
مقـابـلـ لـإنـقـاذـ إـنـسـانـ..
فـقالـتـ «أـسيـلـ» مـبـتـسـمةـ:- حـسـنـاـ، يـمـكـنـكـ أـنـ تـذـهـبـ الآـنـ لـتـبـحـثـ
فـيـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ عنـ كـتاـبـكـ.. وـأـنـاـ سـأـزـورـ بـعـضـ الـمـرـضـىـ منـ السـيـدـاتـ، ثـمـ
أـنـتـظـرـكـ فـيـ الـعـرـبـةـ حتـىـ تـعودـ..

بدأ «خـالـدـ» بـحـثـهـ فـيـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ.. وـانـدـهـشـ حـينـ تـذـكـرـ حـدـيـثـ
«يـامـنـ» عنـ كـبـرـ زيـ كـولاـ.. فـمـنـاطـقـهاـ لـيـسـ كـبـيرـةـ كـمـاـ صـورـهـاـ لهـ..
وـلـكـنـهاـ تـحـتـاجـ فـقـطـ إـلـىـ وـسـيـلـةـ تـنـقلـهـ مـنـ مـنـطـقـةـ إـلـىـ أـخـرـىـ..

كانت المنطقة الجنوبية تمتاز بكثرة الأراضي الزراعية.. والتي مرّت عليها «خالد»، ورأى المساحات الشاسعة المزروعة بالقمح، ومحاصيل أخرى.. واندهش كيف تكون تلك الزراعات بالأراضي الصحراوية؟.. ولكن تذكر شيئاً منها لم يغفله وهو عمل أهل زيكولا الذي يجعلهم يزيلون جبلًا إن أرادوا حتى لا يذبحوا.. وقد بدأ يسأل الناس عن ذلك الكتاب، وعن الشخص الذي يشبهه ولكن يكبره سنًا.. ولكن كما توقع.. كلما سأله أحداً لم يجده، ولم يعرف عن أي كتاب يتحدث.. وقد سخر منه البعض حين سمعوه يسألهم عن ذلك الكتاب.. ولكن لم يستسلم لل Yas، وواصل سؤاله لكل من يقابلها.. وسأل من يعملون بالأراضي عن الكتاب وعن صاحبه، ولكنهم لم يعرفوا أيضًا.. حتى جلس أسفل شجرة، وأخرج أوراقه وقلمه من أغراضه.. وكتب في أعلى الصفحة:

- المنطقة الجنوبية..

ثم كتب أسفلها:

يبدو أن المنطقة الجنوبيّة هي الأخرى لا يوجد بها ذلك الكتاب أو صاحبه.. ولا يعلم أحد من أهلها عن سر داب فوريك.. أما ما أدهشني في تلك المنطقة هو اهتمامها المميز بالزراعة .. وعدم اهتمامها بغيرها.. هنا كباقي مناطق زيكولا التي رأيتها.. الكل يعمل بجد، ولا يضيعون وقتهم.. فقد صنعوا من الصحراء تربة خصبة.. وهذا ما جعلني أعرف لماذا لا تحتاج زيكولا أن يفتح سورها.. إنها تعتمد على أبناء زيكولا في كل شيء.. ولا تعتمد على البلدان الأخرى في شيء.. هنا المنطقة الجنوبيّة تنتج المحاصيل الزراعية التي تكفي زيكولا.. والمنطقة الشرقيّة التي أقطن بها تمتاز بالصناعة، وخاصة الصناعات التي تحتاجها زيكولا مثل صناعة الطوب للمباني، وصناعة الملابس، وصناعات أخرى.. والمنطقة الغربيّة كما أخبرني «يامن» توجد بها سوق كبيرة يمكنك أن تشتري أي شيء من صناعة وإنتاج أبناء زيكولا..

إنهم يحققون اكتفاءً ذاتياً في كل شيء بسبب عملهم، وخوفهم من الفقر.. وهذا ما جعلهم يشعرون بأن زيكولا أقوى البلدان الموجوة في هذا العالم.. وأعتقد أنني أوافهم على ذلك.. فقوتهم تعني عدم اعتمادهم على أحد.. حتى توقف عن الكتابة حين وجد السيدة التي أنقذ طفلها تقترب منه.. فاندهش من ذلك، حتى اقتربت وسألته:

هل تبحث عن رجل طويل وعربي مثلك، ولهجته غريبة مثلك
أيضاً، ولكنه أكبر سنًا؟!
فأجابها «خالد» في لففة:
ـ نعم.. أنتي تعرفيه؟
أكملت السيدة:

لقد ذكرتني اليوم بيوم مرت من أعوام طويلة.. كنت وقتها في
السابعة عشرة من عمري، وكانت أعمل بالمنطقة الشهالية.. حتى قابلت
رجالاً يشبهك، ولهجته مثل هجتك، وزوجته كانت تختلف عن نساء
زيكولا.. وقد قدم إلى معرفة مثلكما فعلت اليوم.. واقععني بأن أعود
للعمل هنا..

فأسألاها «خالد» مجدداً في لففة:
ـ يعني هو في المنطقة الشهالية؟
ردت:ـ لا أدرى أين هو الآن.. لكنه كان هناك منذ عشرين عاماً..
أتمنى أن تجده هناك..
ثم ابسمت وأكملت:

حين انتهيت من إنقاذ ولدي تذكريه حين رأيتك .. وبعدها
غادرت أخبرني رجل بأنك تبحث عن رجل غريب به تلك الصفات ..
ولكنك سألت الكثير ولم تسالني أنا ..

فقال «خالد»:

- أنا من خوفي على ابنك نسيت أسألك، ثم سأها مجددًا:
- أنتي متأكدة من كلامك عن الرجل ده؟
- أجابته:- أجل .. إيني أتذكريه جيداً..

فأكمل «خالد»:- كان معاه كتاب بيتكلم عن سرداد فوريك؟
ردت:- لا أدرى .. فقد قلت لك عما أعرفه .. ولكن نصيحتي لك
الآلا تضيع وقتك بالبحث هنا .. هنا الجمبع يعملون بالزراعة ولا يحبون
الكتب أو القراءة .. وأنا أعرف جميع سكان تلك المنطقة .. ولا يوجد
بينهم من يمتلك صفات ذلك الرجل الذي تقصده .. أتنى أن يكون هو
من أخبرتك عنه ..

فابتسم «خالد»:

- شكرًا ليكي .. أنا مش عارف أشكرك ازاى ..

ابتسمت:- لست أنا من يستحق الشكر.. إن لم تفعل ما فعلته مع طفل في الصباح أعتقد أنني لم أكن لأترك ابني مريضاً، وأبحث عنك حتى أجدك لأخبرك بذلك..

ابتسم «خالد» مجدداً ثم استأذن منها، وغادر مسرعاً إلى عربة «أسيل».. يجري فرحاً، يريد أن يبلغ «أسيل» بذلك الخبر، وذلك الأمل الذي سطع من جديد.. حتى وصل إلى العربة فلم يجد «أسيل» بها..

ظل «خالد» في انتظار «أسيل».. ويشعر قلبه بقرب خروجه من زيكولا، ويتذكر كلام تلك السيدة ويبتسم، ويحدث نفسه بتلك الصدفة، وأن تكون من تخبره بذلك سيدة أنقذ طفلها من الموت.. ثم فكر في ذلك الرجل الذي يشبهه، وزوجته كما قالت السيدة، وأنها تختلف عن نساء زيكولا.. هل هي أمه؟.. هل تتحقق أحلامه ويجدوها في زيكولا؟..

يشعر بأن حديث تلك السيدة يؤكّد ظنونه.. ثم يعود ليسأل نفسه.. هل يجد هما هناك بعد عشرين عاماً، أم يكون الحظ عائزاً تلك المرة هي الأخرى؟.. حتى وجد «أسيل» تقترب من بعيد، وتحمل

حقيبتها فأسرع إليها.. وأخذ منها الحقيبة، وسار بجوارها تجاه العربية..

حتى نطق سعيداً:

- «أسيل».. أنا لقيت أمل جديد.. ثم أخبرها بها أخبرته به أم الطفل..

واختتم حديثه حين ركبا العربية، وسألها:

- احنا هنروح المنطقة الشمالية امتي؟

فصمتت «أسيل» قليلاً ثم نظرت إليه، وقالت:

- أنا لا أذهب إلى المنطقة الشمالية..

(١١)

اندهش «خالد» وسأل «أسيل» على الفور:

- لا تذهب؟!!.. لي؟!!

صمتت «أسيل» مجدداً، ثم نظرت عبر نافذة العربية التي بدأت في التحرك، وكأنها تذكر شيئاً، ثم نظرت إلى «خالد»، وتحدثت بصوت هادئ:

- لقد أخذت وعداً من قبل ألا أذهب هناك..

«خالد» في دهشة: وعد؟!!

ردت «أسيل»:- نعم.. تذكر أنتي أخبرتك باني دخلت إلى زيكولا بين الأسرى والعيبد حتى اشتراكني رجل حكيم علمني الطب.. فأولما «خالد» برأسه موافقاً دون أن يتحدث، ثم أكملت «أسيل»:

كان هذا الرجل يعاملني كابنته، ويخشى عليَّ من كل شيء.. حتى أخبرته ذات يوم أنتي سأذهب إلى المنطقة الشهابية كي أداوي أحد المرضى حين طلب مني أحد الأشخاص ذلك.. ففوجئت به يرفض

بقوة، وطلب مني أن أعده بـألا أذهب هناك طيلة حياتي.. فوعده
 بذلك..

فأسأله «خالد» -ومازال الغضب على وجهه-:
- وأيه السبب؟!

ردت «أسيل»:- حين سأله عن ذلك لم يقل لي سوى أنها أرض
 كُسالي زيكونولا.. ولم يخبرني شيئاً آخر حتى موته.. وأنا مازلت أحافظ
 على وعدي.. وأنا على يقين أنه عق في ذلك.. ثم تابعت بعد صمت:
- لم أجده في حياتي من يحبني قدر ذلك الرجل..

صمت «خالد» مندهشاً، وبدا الحزن على وجهه، وأثر أن يكمل
 صمته، وكأنه يفكّر ماذا سيفعل.. حتى ابتسם، ونظر إلى «أسيل» والتي
 لم تفارق عيناهانجوم السماء:

وأنا مش هكون سبب إنك تخلفي وعدك.. أنا بشكرك على
 مساعدتك لي الفترة اللي فاتت.. وأكيد مش هطلب منك أكثر من كده..
 فردت «أسيل» في ابتسامة هادئة:

- هل ستذهب إلى هناك؟

فابتسم «خالد»:

- أكيد.. لازم أروح..

فابتسمت «أسيل» مجدداً:- حسناً.. أتمنى أن تجده كتابك هناك..
ولكن إن لم تجده فعليك أن تعود إلى.. أقصد إلى العمل معه على
الفور.. أين أجد مساعدًا في مهارتك؟!

فابتسم «خالد» وضحك:

- لئاً أرجع مصر هشتعل دكتور..

ضحكـت «أسيـل»، وواصل «خـالـد» مداعبـتهـا.. وأكـملـاـ حـديـثـهـاـ
عن أـرـضـ زـيـكـوـلاـ، وـعـنـ ذـلـكـ الطـفـلـ الـذـيـ أـنـقـذـهـ منـ ضـرـبةـ الشـمـسـ،ـ
وـذـلـكـ الرـجـلـ المـصـابـ الـذـيـ ضـرـبـهـ أـبـنـاؤـهـ،ـ وـأـخـذـواـ أـرـضـهـ..ـ حتـىـ
وـصـلـتـ الـعـرـبـةـ إـلـىـ الـبـحـيرـةـ فـنـزـلـ «خـالـدـ»،ـ وـوـدـعـ «أـسـيـلـ»ـ الـتـيـ سـأـلـهـ:

- متـىـ سـتـذـهـبـ إـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الشـمـالـيـةـ؟

صـمـتـ «خـالـدـ»ـ مـفـكـرـاـ:ـ مشـ عـارـفـ..ـ هـحـاـوـلـ يـكـونـ فـيـ وـقـتـ
قـرـيبـ..

فابتسمت «أسيـلـ»:

علـيـكـ أـنـ تـخـبـرـنـيـ قـبـلـ أـنـ تـذـهـبـ..ـ وـإـنـ كـتـبـتـ شـيـئـاـ آخرـ عنـ
«أـسـيـلـ»..ـ النـجـمـ..ـ لـابـدـ لـيـ أـنـ أـقـرـأـهـ..ـ ثـمـ أـمـرـتـ سـاقـقـ العـرـبـةـ أـنـ يـتـحـركـ
فـضـحـكـ «خـالـدـ»ـ ثـمـ اـتـجـهـ إـلـىـ الشـجـرـةـ الـتـيـ يـجـلسـ بـجـوارـهـ دـائـيـاـ..ـ

ظل «خالد» كعادته يفكّر.. يفكّر فيها أخبرته به أم الطفل، وذلّك الرجل الذي يشبهه، ويذكر الصورة التي أعطاها له جده يوم نزوله السرّاب وضاعت مع أغراضه هناك.. صورة أبيه وأمه.. تداعبه أحلام اليقظة بأن يعود مرة أخرى إلى بلده ومعه أبوه وأمه بعد سنوات كثيرة.. ويبيّس حين يتخيّل فرحة جده بذلك، والتي قد تقتله.. ثم يعود ليذكر حديث «أسيل».. وذلّك الوعد الذي أخذته بـألا تذهب إلى المنطقة الشماليّة.. وقوّها بأنّها أرض الكسالى.. ويسأّل نفسه متعجّباً.. كيف يعيش الكسالى بزيكولا؟!!.. حتى غلبه النعاس بعد ما حلّ به إرهاق ذلك النهار..

مرّ الليل سريعاً.. وأشرقت الشمس، ونهض «خالد» من نومه، وقرر أن يذهب كعادته إلى عمله مع «يامن».. ي يريد أن يعلم الكثير عن المنطقة الشماليّة.. حتى وصل إلى هناك، وزاد ضيقه حين وجد من يأخذون منه وحدتي الذكاء كل يوم، فأعطاهم ذلك.. ثم أكمل سيره حتى وجد «يامن» الذي سأله على الفور:

- هل وجدت كتابك؟

فرد «خالد»:

للأسف لسه.. بس فيه أمل إني ألاقيه.. فيه امرأة قالت لي إنها
قابلت رجل له نفس صفات صاحب الكتاب من عشرين سنة..
«يامن» في دهشة: - عشرون سنة!! .. وتريد أن تجده!!
«خالد»: - هو صعب.. بس لازم اقتلك بأي خبيث يدلّني على
الكتاب.. عشان كده لازم أروح المنطقة الشهالية..

فاندهش «يامن» مجدداً:

- المنطقة الشهالية!!

«خالد»: أيوه.. ثم سأله:

- أنت وعدت حد أنت كمان إنك متروحش هناك؟!

فضحك «يامن»:

- لا.. لقد ذهبت إلى هناك مرة من قبل.. أتعنى إن ذهبت إلى هناك لأن
تعود سريعاً..

زادت الحيرة على وجه «خالد»:

- أيه اللي هناك؟!

فجلس «يامن» ثم جلس «خالد» بجواره.. حتى تحدث «يامن»:

- أهل زيكولا لا يعلمون أن تلك المنطقة تختلف كثيراً عن باقي مناطق زيكولا..

فأسأله «خالد»، وكأنه لا يفهم شيئاً: - ازاي؟!

أكمل «يامن»: سأخبرك.. أرض زيكولا هي أرض العمل.. الجميع هنا يعملون ويكسبون أجورهم مقابل عملهم.. أما تلك المنطقة فإنها تجمع كسالى زيكولا.. وهذا استجد صعوبة حين تذهب إلى هناك.. عليك أن تسأل كل شخص لأن الكثرين منهم لا يعرفون بعضهم.. ثم أخذ نفساً.. وأخرج زفيرًا، وأكمل:

- إنهم لا يعملون مثلنا.. إنهم يكسبون أجورهم بأعمال أخرى .. ثم صمت وأكمل:

- ستجد أهلها فترين؛ الفتنة الأولى من الأثرياء الكسالى الذين ورثوا الكثير من الذكاء.. الكثير من الثروة التي يجعلهم يعيشون أثرياء، وينفقون ببذخ حتى يموتو، وفتنة أخرى فقراء، يخشون الذبح ولا يريدون أن يعملوا عملاً شاقاً.. فوجدوا طرقاً أخرى يجتذبون بها ثروتهم.

- هل ترى هؤلاء؟.. وقد أشار إلى من يأخذون تلك الوحدات مقابل حياتهم..

فرد «خالد»: أيوه..
فأكمل «يامن»:

- إنهم من المنطقة الشمالية التي تريد أن تذهب إليها.. هم يعيشون هناك هكذا.. فضلوا أن يستغلوا قوتهم في كسب ثروتهم، فانتشروا في باقي أراضي زيكولا.. أما النساء هناك فأثرن استغلال جاهلن..

ثم صمت، ونظر إلى «خالد» وأكمل:

- أنت تعلم كيف تجني امرأة ثروة من جاهلها دون تعب.. وخاصة أن هناك الكثيرين من الأثرياء الكسالى.. إنها أرض الرزيلة يا صديقي..

صمت «خالد» حين سمع ما قاله «يامن»، وابتسم حين تذكر وعد «أسيل» وأنها على حق في ذلك، ثم زادت ضربات قلبها حين تذكر أن صاحب الكتاب.. أيه.. قد يكون بتلك المنطقة.. حتى قاطع «يامن» تفكيره:

- إنها بعيدة عن هنا كثيراً.. فكيف ستذهب إلى هناك.. أم الطبيبة ستساعدك؟..

رد «خالد»:- لا.. «أسيل» ساعدتنى بما فيه الكفاية.. قولي يا «يامن»،
منين أقدر استأجر حصان قوى ملدة تلت أيام؟..

فأجاب «يامن»:- ثلاثة أيام قدتكلفك قرابة الخمسين وحدة..

فأكمل «خالد»:- مش مهم.. أنا هقدر أعوّضهم بعد كده.. أنا قررت
إني هروح بكرة المنطقة الشماليه.. عاوز استغل كل يوم هنا في زيكولا
فابتسم «يامن»:

- حسناً، دعني أوفر لك حصاناً قويًا.. وسأرشدك نحو الطريق إلى
المنطقة الشماليه، وأتمنى أن تجده كتابك هناك.. ثم حل فأسه، وقال
لـ«خالد»:

- هيا علينا أن نعمل اليوم كثيراً بعدهما أضعنا الكثير من الوقت في
الحديث..

في صباح اليوم التالي اتجه «يامن» إلى شاطئ البحيرة، ومعه ذلك
الحصان القوي الذي وعد «خالد» به.. حتى وجده هناك فابتسم
«خالد» حين رأه ومعه ذلك الحصان، وشكراً على ذلك ثم حل
أمتعته، واحتضن «يامن»، وضحك:

- هشوفك قريب..

فابتسم «يامن»:

أرجو أن تعيد الحصان صحيحاً.. إننى أتحمّل مسؤوليته حتى
تعود.. لو علم صاحبه أنك ستذهب إلى المنطقة الشهالية لما أعطاني
حواراً..

ضحك «خالد» ثم امتنع ظهر الحصان.. وكاد يأمره أن يتحرك
حتى صاح «يامن»:
- انتظر..

ثم أخرج ورقة بيضاء، وعليها بعض الخطوط السوداء، وتحذّث
إلى «خالد»:

- تلك خطوط بدائية رسمتها للطريق نحو المنطقة الشهالية. ثم
أشار إلى خط أسود طويلاً يخرج من مربع قد رسمه:

- هذا المربع هو منطقتنا.. وذلك الخط هو الطريق الذي تسلكه
حين تخرج من هنا حتى تصل إلى تلك المنطقة..

فابتسم «خالد» مجدداً.. وأخذ منه الورقة، ووضعها بين أغراضه:

- أشكرك يا «يامن».. بجد أشكرك يا صديقي

بعدها أمر «خالد» حصانه أن يتحرك.. وببدأ يتحرك ببطء حتى أسرع رويداً رويداً في طريقه إلى بيت «أسيل».. وكاد يصل إلى بيتهما حتى رأى عربتها تسير مبتعدة عنه، فأسرع بمحصانه إلى العربية.. وسار بجوارها ثم ضحك حين وجدتها تجلس بالعربة شاردة الذهن، ولا تراه.. فظل يسير بجوارها دون أن يتحدث حتى نظرت إلى جانبها عبر النافذة ففوجئت به على حصانه، فضحكـتـ وـحدـثـهـ:

- منذ متى تسير بجوارنا؟!

ضحك «خالد»:- من بدري.. يا ترى بتفكري في أيه؟
ابتسمت «أسيـل»:- لا شيء.. إبني أشدـ معـ نفسـيـ كـثـيرـاـ.. ثـمـ نـظـرـتـ إـلـىـ حصـانـهـ:

- هل اشتريت حصاناً؟!

فرد «خالد»:- لا.. أنا أجـرتـهـ.. وزـيـ ماـ وعدـتـكـ إـنـيـ أـشـوفـكـ قـبـلـ ماـ أـروحـ هـنـاكـ،ـ أناـ قـدـامـكـ أـهـوـ..

ابتسمت «أسيـل» ثم سـأـلـتـهـ:

- هل ستذهب إلى المنطقة الشهالية الآن؟

فرد «خالد»:- أيوه..

فصمتت «أسيل» ثم سألته في هدوء:

- «خالد».. هل ستعود إلى هنا إن وجدت كتابك، أو أبيك..

فنظر «خالد» أمامه ثم صمت لبعض الوقت.. وابتسم:

- أكيد لازم أرجع.. ثم أكمل مداعبته لها:

- ده «يامن» هيقتلني لو مر جعشن عشان الحصان..

ضحكـت «أسيـل»، وضـحـك «خـالـد».. وواصـلا تـحرـكـهاـ في

طـرـقـاتـ زـيـكـولا.. وـ«ـخـالـدـ» عـلـىـ حـصـانـهـ يـسـيرـ بـجـوارـ عـرـبـتهاـ،ـ وـالـتـيـ

تـجـلـسـ بـجـوارـ نـافـذـتهاـ كـمـنـ تـجـلـسـ أـمـامـ نـافـذـةـ غـرـفـتهاـ..ـ حـتـىـ وـصـلـاـ إـلـىـ

أـطـرـافـ المـنـطـقـةـ الشـرـقـيةـ..ـ فـنـطـقـتـ «ـأـسـيـلـ»ـ بـعـدـماـ أـشـارـتـ إـلـىـ طـرـيقـ مـهـدـ:

- هذا الطريق يقودك إلى المنطقة الشمالية..

فابتسم «خالد» ثم نظر إليها:

- أـتـنـىـ إـنـيـ أـلـاـقـيـ الـكـتـابـ وـأـرـجـعـ هـنـاـ فـيـ أـسـرـعـ وـقـتـ..

ثـمـ أـمـرـ حـصـانـهـ أـنـ يـنـطـلـقـ نـحـوـ ذـلـكـ الطـرـيقـ..ـ وـ«ـأـسـيـلـ»ـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ

بـيـنـماـ تـسـيرـ عـرـبـتهاـ فـيـ طـرـيقـ آـخـرـ..ـ وـتـبـتـسـمـ حـينـ تـجـدـ شـعـرـ «ـخـالـدـ»ـ الطـوـيلـ

يـتـطـاـبـرـ معـ الـهـوـاءـ،ـ وـجـسـدـ الـقـوـيـ يـمـتـطـيـ ذـلـكـ الـحـصـانـ بـرـاءـةـ..ـ وـكـأـنـهـ

وـلـدـ فـارـسـاـ..ـ حـتـىـ اـخـفـىـ عـنـ أـنـظـارـهـ فـأـغـمـضـتـ عـيـنـيـهـاـ،ـ وـتـنـتـ أـنـ

يتحقق ما يريده.. أما «خالد» فواصل طريقه نحو المنطقة الشهالية.. ي يريد أن يصل إلى هناك في وقت قليل.. يحفز حصانه أن يسرع.. ثم يخرج تلك الورقة التي أعطاها له «يامن»، وينظر إليها، وإلى خطوطها، ثم يواصل سيره مجدداً.. وكلما يحل به التعب ينال القليل من الراحة، فيوقف حصانه، ويرتجل، ويشرب القليل من الماء ثم يكمل طريقه نحو تلك المنطقة..

بدأت الشمس في الغيب، وحل الليل .. حتى وصل «خالد» إلى أطراف المنطقة الشهالية فارتجل.. وسار على قدميه، وحصانه يسير بجواره .. واندهش حين رأى بيوت تلك المنطقة وتنوعها ما بين ما هو فخم للغاية، وما هو متواضع ويفيدو عليه الفقر.. وأكمل مسيرة بين شوارع تلك المنطقة.. وزادت دهشته من الصمت الذي يسودها حتى زالت تلك الدهشة سريعاً حين توغل في شوارعها.. فوجد الكثير من الناس يلهون ويعمرحون ويترافقون مع أنغام الموسيقى التي غطت ضواحي تلك المنطقة.. وتذكر كلمات «يامن» عن فتياتها حين رأى زيهنَ الذى يختلف عن زى باقى فتيات المناطق الأخرى، فقد كان أكثر عراة

وإغراءً.. وواصل سيره حتى وجد مكاناً يجتمع به الكثير من الناس.. فاقترب منهم فوجده نزلاً بين اثنين من الأقواء، وسمع أحد الأشخاص بجواره يقول لآخر: «لقد راهنت بخمس عشرة وحدة على هذا الرجل»، وأشار إلى أحدهما.. فاندهش «خالد»، وأكمل سيره.. حتى بدأ يسأل أحد الفتيان عن الرجل الذي يبحث عنه فلم يجبه.. وسأل غيره فلم يجبه هو الآخر.. وسأل الكثرين من الناس فلم يجبه أحد.. وظل يسير بين هؤلاء الناس الذين تبعث من أفواهم رائحة نتنة، ويتزحون فأدرك أنها رائحة خمر.. وبين ضحكات فتيات الليل المدللة التي تملأ كافة الأركان.. حتى جلس بجانب الطريق، وبجواره حصانه ففوجئ بشخص ضخم يأتيه.. ويطلب منه عشر وحدات من الذكاء مقابل أن يحميه هو وحصانه.. وإلا سيأخذ ذلك الحصان منه..

فصنمت «خالد» قليلاً ثم وافق وحدته:

سأعطيك ما تريده، ووحدتين إضافيتين مقابل أن أترك الحصان عندك حتى أعود لأخذه غداً..

فوافق الرجل.. وأعطاه «خالد» الحصان كي يكون أكثر حرية..
وواصل جلوسه ومراقبته لأهل تلك المنطقة من بعيد.. حتى مر الليل
دون أن يغفو له جفن..

في صباح اليوم التالي، ظل «خالد» متظطرًا أن يرى أحدًا يسأله، فلم
يجد ما أراده.. وكأن المدينة أصبحت مدينة الموتى.. الشوارع خالية،
يسودها صمت رهيب.. فنهض وبدأ يتحرك، ويتجول بشوارعها على
يجد أحدًا.. ولكن دون جدوى، فأكمل مسيره حتى جلس بمكان آخر،
وأخرج أقلامه وأوراقه، وبدأ يكتب وهو يتحدث بصوت مسموع
- المنطقة الشماليّة.. أرض كسالي زيكولا..

ثم كتب تختها:

- إنها المنطقة الرابعة التي أزورها في زيكولا.. بعد يومي الأول
 هنا.. تأكدت أنهم مختلفون عن باقي أهل زيكولا.. هم لا يعملون كما
 أخبرني «يامن»، وحياتهم بالمساء كما رأيت بالأمس..
 الكثير منهم ورثوا فلا يعملون، ويمرحون ويشربون ويتراهنون..
 أما الفقراء منهم.. الفتى يجد ثروته في قوته فيستخدمها لتحقيق ثروته

من الذكاء.. والفتاة تجد ثروتها في أنوثتها وجمالها فتستخدم ما تملكه في
تحقيق ثروة دون عنااء..

ثم صمت مفكراً.. وتوقف قليلاً عن الكتابة.. ثم أكمل مجدداً:
أرى أن الكثرين من تلك المنطقة سيكونون ضحايا الذبح قريباً..
فالقوى سيفضي ذات يوم، والجمال سيذهب مع الوقت..
ثم ضحك، وتوقف عن الكتابة مجدداً، وحدث نفسه:
- بقيت فيلسوف يا «خالد».. زيكلولا غيرت فيك كثير.. ثم أنهى كتابته
بأن كتب مجدداً:
- إنها أضعف مناطق زيكلولا..

ثم وضع أقلامه، وأوراقه مرة أخرى بين أغراضه.. وبدأ يتحرك
بين شوارع تلك المنطقة من جديد.. وضاق به صدره حين وجد نفسه
وحيداً بتلك الشوارع، وعلم أنه لابد وأن يتذكر حتى المساء..

غربت الشمس.. وبدأ الظلام يملأ السماء، وأشعلت النيران
لتضيء المدينة، وبدأ الناس يخرجون إلى الشوارع.. وبدأت الموسيقى من
جديد، وخرجت الفتيات إلى الخارج.. كل فتاة تحاول أن تجذب رجلاً

إليها.. حتى امتلأت الشوارع بالأشخاص في تلك المنطقة التي تواجد بها «خالد» .. فبدأ يسأل هذا وذاك عن ذلك الرجل الطويل العريض صاحب الكتاب، واقترب ليسأل كبار السن .. ربها عرفوه حين كان هنا منذ عشرين عاماً، ولكن لافائدة.. وبدأ اليأس يدق قلبه، وكأنه لن يجد هذا الرجل أبداً، وسار والحزن على وجهه.. حتى سمع صوت من خلفه يناديه:

- أنت..

فالتفت «خالد» ليجد فتاة يشعر أنه قد رأها من قبل.. حتى تذكر أنها الفتاة التي قابلها يوم زيكولا.. وطلبت منه أن يرافقها ورفض.. ولكنها اليوم أكثر عراة.. فاندهش حين وجدتها:

- أنتي !!

ضحكـت الفتـاة:- نـعـم.. أـتـذـكـرـني؟!

«خالد»:- نـعـم..

فضـحـكـتـ الفتـاة:- حـسـنـاً.. عـلـيـكـ أـنـ تـأـتـيـ مـعـيـ ..
فـسـأـلـهـاـ «خـالـدـ»ـ فـيـ دـهـشـةـ:- آـجـيـ مـعـاـكـيـ فـيـ؟!

فجذبته من يده ثم دخلا إلى مكان مجاور إضاءاته خافتة.. وبه الكثير من الناس.. كل رجل يجلس مع فتاة، فبدأ الشك يتسرّب إلى قلب «خالد» حتى سأله:
- أنتي عاوزه مني أيه؟!

ردت الفتاة: أنا!!!.. ثم صمت وأكملت:
- إنك الرجل الوحيد الذي رفض أن يصطحبني من قبل.. وهذا أجدد عرضي لك ..
ثم أكملت:

- إنني هنا أفعل ما يحلو للرجال مقابل الكثير من الوحدات.. ولكتني لا أريد منك شيئاً.. سأصطحبك الليلة دون مقابل..
فنهض «خالد» غاضباً:

- وأنا مش موافق.. أنا مش زي اللي بيقولك هنا.. ثم تحرك ليغادر فجذبته ليجلس.. وسألته:

- هل تعجبك فتاة أخرى؟
فرد «خالد» منفعلًا:

- لا.. ثم سأله:

- أنتي عايشة حيانك كدة ازاي؟!

فضحكت الفتاة ساخرة:

- حياني.. ما بها؟!!

أكمل «خالد»:- ازاي تبعي نفسك لأي حد؟

فضحكت الفتاة مجددًا.. ثم تناولت كوبًا به خمر:

- وكيف أعيش في زيكولا أيها الوسيم.. كيف أحصل على الذكاء..

الثروة..

«خالد»، وقد أخرج نفسها طويلاً:

- الذكاء..

ثم أكمل:

اعمل زي بنات زيكولا اللي بيعملوا بشرف في المناطق الأخرى

أنتي مفكّرتيش لما جالك يروح هتقدرلي تحصل على ذكائك ازاي؟

فضحكت الفتاة.. وقد بدأ تأثير الخمر عليها، وقد ثقل لسانها:

وتها سأكون حفقت مخزونًا كبيرًا من الثروة.. أما بنات زيكولا

فيعملن... ثم تابعت:

وأنا أيضاً أعمل.. وكلاًنا يحصل على أجراه.. هي انتهز الفرصة
قبل أن يضيع جالي.. إن الكثيرين في الخارج يتمنون أن يجلسوا مكانتك
الآن إليها الوسيم..

فظهر الغضب على «خالد».. وأنه فقد أمله في حديثه معها،

وصاح غاضباً بها:

- مثلك عار على زيكولا..

ثم نهض، وتحرك بضع خطوات متعدداً عنها.. فصرخت
غاضبة: - عار!!! إبني أفضل حالاً من آخر أعرفه، قتل أبياه كي يرثه..
ثم هدا صوتها.. ووضعت رأسها على المنضدة التي أمامها من
تأثير الخمر، ثم همست بصوت سمعه «خالد»: - وفي النهاية لم يرث
سوى كتاب لعين.. احتفظ به أبوه أكثر من عشرين عاماً..
- ثم أغمضت عينيها..

(١٢)

توقفت قدمًا «خالد» عن الحركة، واتسعت حدقتا عينيه، وزادت ضربات قلبه حين سمع كلماتها .. وعاد إليها مسرعًا.. وسألها في لففة:
- أنتي قلتني أيه؟!

فوجدها قد وضعت رأسها على الطاولة.. وغابت عن الوعي..
فسألها بجدًا وصاحت بها ولكنها لم تجده، فحاول أن يجعلها تفتح عينيها
وأن تكرر ما قالته مرة أخرى، ويضرب بيده على الطاولة حتى تفيق
ولكن دون جدوى، حتى أمسك برأسها وأعادها إلى الخلف ثم جلس
 أمامها ففتحت عينيها ببطء.. ونظرت إليه في ذهول، فسألها:
- أنتي قلتني أيه في آخر كلامك؟

فابتسمت ونظرت إليه كثيرا ثم سأله:
- من أنت أيه الوسيم؟

فنهض «خالد» وسأل نادلًا أين يجد غرفة خالية، فأشار النادل إلى
باب إحدى الغرف فأسرع «خالد»، وحمل الفتاة على كفه والتي
ضحكـت برعونة حين قام بحملها.. وسار بها تجاه تلك الغرفة وسط

نظرات الفتيات الأخرى اللاتي تهامسن حين وجدهن يحملها وكان
الغيرة أصابتهن.. حتى وصل «خالد» إلى باب الغرفة فدفعه بقدمه ثم
دلف إلى الداخل، والفتاة ما زالت تضحك حتى طرحتها على أرضية
الغرفة.. وأكمل سيره للداخل حتى وجد إبناً كبيراً به ماء فحمله، وعاد
به إليها وسكيه بالكامل فوق رأسها حتى صرخت من برودة الماء ثم
سألها:

- افتكري أنا مين؟

فنظرت إليه دون أن تخيب، فأسرع مجدداً، وحمل إبناً آخر، وسكيه

فوق رأسها؛ فصرخت:

- تذكريك.. أرجوك.. لا حاجة لمزيد من الماء..

فسألها «خالد» على الفور:

- مين اللي قتل أبوه عشان يرثه.. وفي الآخر ورث كتاب؟

صمتت الفتاة، وكأنها تتذكر ثم سألته:

- هل حدثتك عن ذلك؟

رد «خالد» متلهفاً: - أيوه..

فنظرت إليه الفتاة:

- حسناً.. ماذا تريده منه؟

فأجاب «خالد»: - أنا عاوز أوصل له بأي طريقة.. لازم أوصل
له لازم ألاقي الكتاب وصاحبـه.. أنتي تعرفـيه؟

فنهضـت الفتـاة ثم تحركـت بعـض الخطـوات بـملابسـها المـبلـلة
وـشعرـها المـبلـل ثم جـلـست عـلـى أحدـ الـكـرـاميـ، وـنـظـرت إـلـى «ـخـالـدـ»:
- نـعـم أـعـرفـه.. وـقـد أدـلـكـ عـلـيـهـ الآـنـ إـنـ أـعـطـيـتـيـ عـشـرـينـ وـحـدـةـ منـ
ذـكـائـكـ..

فـأـسـعـ «ـخـالـدـ» تـجـاهـهاـ:
- وـأـنـاـ موـافـقـ..

فضـحـكتـ الفتـاةـ:
حسـنـاً.. سـأـصـطـحـبـكـ إـلـىـ هـنـاكـ.. وـلـكـنـ اـنـتـظـرـ حتـىـ أـبـدـلـ مـلـابـسـيـ..
اتـجـهـ «ـخـالـدـ» معـ الفتـاةـ، وـالـتيـ بـدـلـتـ مـلـابـسـهاـ إـلـىـ أحدـ الشـوـارـعـ البعـيـدةـ..
وـقـدـ أـخـبـرـتـهـ بـأـنـ بـيـتـ صـاحـبـ الـكـتـابـ فـيـ نـهـاـيـةـ ذـلـكـ الشـارـعـ.. وـ«ـخـالـدـ»
يـسـيرـ وـعـقـلـهـ لـاـ يـتـوقـفـ عـنـ التـفـكـيرـ، وـيـفـكـرـ بـهـ قـالـتـهـ الفتـاةـ بـأـنـ هـذـاـ
الـشـابـ قـتـلـ أـبـاهـ كـيـ يـرـثـهـ.. وـيـخـشـيـ أـنـ يـكـونـ مـاـ يـفـكـرـ بـهـ حـقـيقـةـ تـصـدـمـهـ
بعـدـ لـحظـاتـ.. حتـىـ وـصـلـ إـلـىـ بـيـتـ مـتـواـضـعـ، فـسـأـلـهـ «ـخـالـدـ»:

- هو جوَّ؟!

فرد الفتاة:- نعم..

فاندهش «خالد» ثم سألاها مجددًا:

- وليه هو مش بالخارج زي باقي أهل المنطقة الشمالية؟!

فأجابته:

- إنه هكذا.. بعد أن قتل أبياه وفوجئ بعدم امتلاكه لشيء..

أصابه اليأس، فهو يجلس في بيته كثيراً.. وتزداد حالته سوءاً، وكأنه يتنتظر أن يُذبح في يوم زيكولا..

ثم طرقت الباب، وبعد لحظات قام شاب في العشرين من عمره

بفتحه.. فأشارت إليه الفتاة:

- ها هو صاحب الكتاب.. أما أنا فعلي أن أعود إلى عملي.. ثم

نظرت إلى «خالد» بطرف عينها، وأكملت:

- هناك من يتظرونني..

فنظر إليها «خالد» مبتسمًا: - شكرًا على كل حال..

غادرت الفتاة.. ونظر «خالد» إلى ذلك الشاب الذي يقف أمامه،
وظل يتأنّله حتى سأله الشاب:
- من أنت؟!

فزادت دهشة «خالد» حين وجد أن صوت هذا الشاب يشبه
صوته.. فسأله الشاب مجددًا، وقد ظهر الغضب على وجهه:
- من أنت؟

فرد «خالد»:- أنا أطلب منك المساعدة..
فتساءل الشاب: مساعدة؟!
فأجابه «خالد»:

- أيوه.. أنا عرفت إنك ورثت عن والدك كتاباً احتفظ به لمدة عشرين
سنة..

فأخرج الشاب نفساً عميقاً:- نعم..
فابتسم «خالد»:- هل تأذن لي بالدخول لتحدث قليلاً.. ثم تابع حين
شعر برفض الشاب:

- وسأعطيك خس وحدات ذكاء مقابل ذلك الحديث..
فابتسم الشاب:

- حسناً.. نفضل، ولكن لا تضيّع وقتي.. عليك أن ترحل سريعاً، إنني
لا أحب الغرباء..

دخل «خالد» مع ذلك الشاب إلى الداخل.. ولاحظ مدى الفقر
الذى يعيشه هذا الشاب، وتلك الحياة البائسة، والتي ظهرت على
ملابسه وعلى أرضية البيت حيث زجاجات الخمر الفارغة، وظل
يتربّب الشاب، ويتأمله حتى سأله:
- أنت قتلت والدك فعلًا؟

فرد الشاب غاضبًا:
- وما دخلك؟!

فتحّدث «خالد»:- أرجوك، أجبني..
فنهض الشاب، وتحرك خطوات متقدماً عن «خالد».. وحمل
زجاجة من الخمر في يده .. ثم نظر إلى «خالد»:
- نعم قتلت.. إنه لم يجلب لي سوى الفقر.. ثم تابع:
- أعتقد أن أمي ماتت قدّيماً بسبب جنونه..
فأسأله «خالد» على الفور في حزن:- أمك.. ماتت؟!!

فأجابه الشاب:

- منذ زمن قديم.. إنني لا أتذكّرها حتى.. ليتها عاشت ومات هو..
فأله «خالد»:- ليه بتكرهه كل الكره ده؟!

فرد الشاب بعدما شرب القليل من الخمر:
إنني أكرهه لأنّه كان مجنوّنا.. هل يعقل أن ينفق أحد غزوته من
الذكاء مقابل كتاب لعين.. ثم ينفق ما تبقى له من ذكاء في التفكير في
هذا الكتاب.. يكفيه حظاً أنه وجد من هو أفقر منه بزيكولا.. وإلا ذبح
قبل أن أقتله بسنوات..

فصرّت «خالد» قليلاً.. ثم نظر إلى الشاب مجدداً، وسألة:
- ما اسمك؟

رد الفتى:

- اسمي «هلال».. إنه من سهانِي بهذا الاسم..
فأله «خالد» على الفور:

- واسم والدك أيه؟

فأجاب «هلال» ساخطاً:

- كان يدعى «حسني»..

فدق قلب «خالد» بقوة.. وأحرّ وجهه، وكأنّ الحقيقة التي كان يتّظّر لها قد لفحته.. ونطق:

- «حسني عبد القوي!؟!

فاندهش الشاب:

- نعم.. هل تعرّفه!؟!

فصمت «خالد».. وتساقطت بعض دموعه.. وانحنى بظهره إلى الأمام، ووضع رأسه بين يديه، وأكمل بصوت هادئ:

كان أبوك غريباً عن هنا.. وجاء إلى زيكولا من سبعة وعشرين سنة.. هو وأمك .. وكان يحذّثك عن مصر.. وعن سرداد فوريك فزادت دهشة «هلال»، ونظر إلى «خالد»، والذي أكمل:

- ولكنّه مقدرش يحميك من طباع زيكولا.. وأصبح همك مثلهم.. الثروة.

ثم نهض، واقترب منه، وخطف زجاجة الخمر من يديه، ووضعها بعيداً.. ثم سأله:

- لاحظت الشبه القليل بيني وبينك؟.. هل لاحظت أن صوتي يشبه صوتك؟ ثم تابع:

-أنت «هلال حسني».. وأنا اسمي «خالد حسني»..
ثم عاد خطوات إلى الخلف، وأخذ نفسا عميقا وأخرجه ببطء ثم

أكمل بعدما نظر إليه:

- أنا أخوك، وأنت قتلت والدنا.. لأنك ابن زيكولا..

فصاح «هلال» بـ«خالد»:

- ييدو أنك مجنون أنت الآخر، ثم دفعه:

- هيا اخرج من هنا..

فصاح «خالد» غاضباً، وما زالت الدموع على وجهه:- أنا فعلأ أخوك
دفعه «هلال» مجدداً:

- اخرج أبيها الجنون.. هل أنا بحاجة إلى مزيد من الجنون كي تأتيني
أنت الآخر؟!!

فنظر إليه «خالد»، وكأنه يراه وهو يقتل أبياه ثم مسح دموعه بيده ثم
سؤاله:

- أين الكتاب؟

فأجابه «هلال» غاضباً:

- وماذا تريدين من الكتاب؟!

فرد «خالد»: أنا بحاجة للكتاب لأنني عاوز أرجع بلدي.. وع مكان تيجي معايا..

فضشك «هلال» ساخرًا:

- أرى أنك تشبه أبي في جنونه.. انتظر..

ثم نظر إليه وعقد حاجبيه، وسار بعض الخطوات إلى إحدى الغرف ثم عاد مجددًا إلى «خالد»، ومعه كتاب قديم أوراقه سميكة وقديمة.. فأسرع إليه «خالد»، وخطفه منه حين لمح عنوانه.. سرداد فوريك.. وبدأ يقلب صفحاته المصفرة في لفة وقلبه يدق بقوة، حتى وصل إلى صفحة في منتصف الكتاب مكتوب بها بخط يدوي كبير.. الطريق إلى سرداد فوريك.. وكاد يقرأ ما بها حتى اختطفه «هلال»

منه، وفضشك ساخرًا:

- هل تريـد هـذا الـكتـاب؟!

رد «خالد» في لفة:

- أيوه..

فضشك «هلال»، وحدث نفسه:

- لقد أصبح للكتاب فائدة، ثم نظر إلى «خالد»:

- حسناً.. عليك أن تشتريه..

صمت «خالد» قليلاً ثم سأله:

- وكم تريده؟

ابتسم «هلال»، وتحرك خطوات جيئة وذهاباً حتى تحدث:

- أرى أنك في حاجة ضرورية إلى الكتاب..

فنطق «خالد»:- نعم..

فأكمل هلال:

- حسناً.. إن كنت تريده ، فعليك أن تعطيني ربعمائة وحدة من ذكائقك..

فصاح «خالد» على الفور: ربعمائة وحدة؟!!

فرد «هلال» في هدوء، وتناول زجاجته مرة أخرى:

- نعم.. أيها الغني.. ربعمائة وحدة..

فقال «خالد»: صدقني، أنا أخوك..

فضحك «هلال» ساخراً:

- ليتني أتأكد أنك أخي أيها الجنون.. أقسم لك أنتي لو تأكدت من

ذلك لقتلك كي أرثك..

فصمت «خالد»، وقد زاد ضيقه ثم سأله:

- هل ترك أبوك شيئاً آخر؟

فأجابه: إنه لم يترك سوى هذا الكتاب.. هل ما زلت ت يريد شراءه، ثم

ضحك ساخراً، وأكمل:

- هيا.. إنها ربعة وحدة فقط..

فصمت «خالد» مرة أخرى.. وكأنه يفكر، وطال صمته حتى نظر إلى

«هلال»:

- أعطوني مهلة شهرين.. وهرجع اشتريه مقابل الربعين وحدة..

فقال «هلال» متعجبًا:

- ألا تمتلكهم الآن؟!

فتحرك «خالد» خطوات، ثم نظر إليه:

- أمتلكهم.. ولكنني أحافظ على مخزوني من الذكاء.. وهقدر أوفر من

عملي ثمن الكتاب.. وهرجع لك بعد شهرين من اليوم.. أرجوك

حافظ على الكتاب..

فجلس «هلال»، وعاد بظهره للخلف:

- حسناً.. سأنتظرك حتى تعود، ولكن إن تأخرت يوماً واحداً عن الشهرين.. سأمزق عن كل يوم تأخرته عشر ورقات، حتى لو وصل بي الأمر أن أمزقه بالكامل.. إنه لا يهمني بشيء.. هيا لا تضيع وقتك.. عد إلى حيث جئت..

فأوما «خالد» برأسه ثم تركه، وغادر، وأخرج زفيرًا طويلاً، وحدث نفسه:

- إنه أخي.. وقاتل أبي..

غادر «خالد» بيت «هلال»، صاحب الكتاب.. يسير بين الناس وبين موسيقاهم وصرخاتهم التي لا تتوقف.. وعقله يشتعل بالتفكير.. تتضارب برأسه الكثير من الأفكار، ويختلط قلبه ما بين شعور وآخر.. يسأل نفسه هل يسعد لأنّه وجد كتابه، أم يحزن حين علم بقتل أبيه وموت أمه، حتى لو لم يرها من قبل.. وهذا الشاب المتهور الذي قد يكون أخيه، ومدى جشعه.. والمقابل الكبير الذي طلب منه كتابه.. وكيف سيوفر أربعينات وحدة في شهرين.. وإن عاد ليأخذ كتابه

هل يأخذه ويترك أخاه، أم يأخذه معه.. حتى أمسك رأسه، وكأنه لم يعد
يستطيع التفكير.. وحدث نفسه بصوت هامس:
- هدفي دلو قتي إني آخذ الكتاب..

ثم سار إلى المكان الذي جلس به حين أتى إلى المنطقة الشهالية..
فوجد من أعطاهم حصانه فاتجه إليه كي يسترده؛ فلم يعطه الحصان إلا
بعدما أعطاهم «خالد» وحدتين آخرين.. ثم أخذ «خالد» حصانه.. واتجه
إلى مكان آخر، وأثر أن يظل به حتى تشرق الشمس، فيعود إلى المنطقة
الشرقية حيث «أسيل» و«يامن» وعمله معه..

في صباح اليوم التالي، أعد «خالد» أغراضه، وامتنع حصانه ثم
بدأ يتحرك بين الشوارع الخالية إلى أطراف المنطقة الشهالية، حتى وصل
إلى بداية طريقه نحو المنطقة الشرقية فالتفت بحصانه نحو تلك المنطقة،
وكأنه يودعها حتى يعود إليها مجدداً بعد ستين يوماً.. ثم التفت مجدداً
تجاه الطريق، وأمر حصانه أن ينطلق..

مر الوقت ، و«خالد» في طريقه إلى المنطقة الشرقية.. لا يشغل
تفكيره سوى ذلك الكتاب ، وماذا سيكون في تلك الصفحة المكتوب بها
الطريق إلى سرداد فوريك.. يشعر بأن أمل خروجه قد ازداد.. لا
يحتاج إلا تلك الوحدات التي طلبتها «هلال» كي يأخذ كتابه.. أمله..
حتى وصل إلى المنطقة الشرقية بعد غروب الشمس فاتجه إلى البحيرة ،
ففوجئ بنار مشتعلة في مكانه بجوار الشجرة.. ووجد «يامن» يتظره ،
فارتجل ، واحتضنه حتى سأله «يامن» على الفور :

- هل وجدت كتابك؟

فابتسم «خالد» :

- نعم..

فأسأله في لفقة:- وأين هو؟

فكان يجيبه.. ولكن فوجئ بصوت «أسيل» يأتي من خلفه:

- خشيت ألا تعود..

فالتفت إليها «خالد» فوجدها تمسح دموعها ، ثم اقتربت منه ،

واحتضنته ، وابتسمت:

- جئت إلى هنا ، وتمنيت أن أراك..

فابتسم «يامن» حين وجد «أسيل» تختضن «خالد»، وتنحنح، فابتسمت «أسيل» في خجل ثم جلست بجوار «خالد»، كأنها لا ت يريد أن تفارقه.. وقد بدأ «خالد» يروي لها ما حدث له بالمنطقة الشهابية لكنه لم يتحدث عن فتاة الليل، وما حدث معها حين وجد «أسيل» تأسله عن كل شيء حدث هناك.. وعن فتيات تلك المنطقة، فأخبرها بأن أحدا آخر قد دلّه على هذا الشاب «هلال».. حتى أنهى حديثه فسألته «أسيل»:

- هل هو أخوك حقاً؟!

فأجاب «خالد»:- كل الدلائل تقول إنه أخي.. أبوه صاحب الكتاب واسمه «حسني عبد القوي».. وحكى له عن مصر.. فتحذّث «يامن»:

- ربما يكون شخصاً آخر من بذلك.. مصر، وله نفس الاسم، ولكنه قد لا يكون أباك..

فنظر «خالد» إليه:- لكن الولد شبهي إلى حد ما.. وصوته يشبه صوتي.. لكن طباعه طباع زيكونلا..

فابتسم «يامن»:

- تقصد طباع المنطقة الشمالية.. ثم سأله:
- وكيف ستتوفر أربعهانة وحدة من الذكاء في شهرين إن كنت
توفّر من العمل بالليوم بعد غذائك وحمائك وحدة واحدة، أو وحدتين
على الأكثر..

فصنّفت «خالد» حتى نطقـت «أسيـل»:
- ربـا تـعمل مـعي، وأـعطيـك أـربع وـحدـات بـالـليـوم..
فـابـتـسم «يـامـن»، وـتـحـدـثـ:
- إـنـا عـمـلـنا يـعـتـاجـ إـلـى النـهـار بـأـكـمـلـهـ، وـإـلـى رـاحـةـ بـالـلـيلـ كـيـ يـعـودـ إـلـيـناـ
نشـاطـنـاـ الـذـي نـوـاـصـلـ بـهـ عـمـلـنـاـ..

فـصـنـفتـ «أـسيـلـ»، وـظـلـ «خـالـدـ» صـامـتـاـ حـتـىـ نـطـقـ:
- أنا أـقـدـرـ آـكـلـ كـلـ يـوـمـ خـبـزـ..

فـضـحـكـ «يـامـنـ»:- حـسـنـاـ.. أـصـبـحـ لـدـيـكـ أـرـبـعـ وـحدـاتـ بـالـليـومـ..
نـأـخـذـ سـبـعـ وـحدـاتـ، وـتـدـفـعـ وـحدـتـيـنـ لـلـحـمـاـيـةـ، وـوـحدـةـ لـلـخـبـزـ..
ثمـ أـكـمـلـ:

- هـكـذـاـ لـنـ تـكـمـلـ الـأـرـبـعـهـانـةـ وـحدـةـ بـعـدـ سـتـيـنـ يـوـمـاـ..
فـصـنـفتـ «خـالـدـ» مـرـةـ أـخـرىـ.. ثـمـ أـكـمـلـ:

- أنا ممكن أوفّر ست وحدات في اليوم.. وفي نهاية الشهرين هيكون عندى ٣٦٠ وحدة.. وقتها هضيف أربعين وحدة فقط من مخزونى.. وأقدرأشترى الكتاب..

فقطاعته «أسيل» تحدّره:

- مخزونك من الذكاء يا «خالد».. أرى أنك بدأت تستنزف منه الكثير.. فنظر إليها «خالد» مبتسمًا، وأكمل:

- أكيد هعمل بعد الشهرين لحد ما يجي يوم زيكولا، وأقدر أعوض كل مخزوني..

فضحك «يامن»، والذي صمت حتى انتهى «خالد» و«أسيل» من حديثهما ثم حدّث «خالد»:

- إنك قوي في الحساب يا صديقي.. ولكن كيف ستتوفر ست وحدات باليوم أيها الذكي..

فابتسم «خالد» ثم نظر إليه، وسأل:

- أين عمال زيكولا الآن؟

فأجابه:- الكثير منهم يأكلون أو يمرحون أمام بيوتهم..

فنهض «خالد» ثم نظر إلى «أسيل»، وطلب منها أن تعود إلى بيتها فرفضت، ونظرت إليه متعجبة:
- ماذا ستفعل؟.. سأقى معك..

فابتسم «خالد» ثم سار ومعه «يامن» وأ«أسيل»، واللذان لا يعرفان بيته.. واتجهوا إلى شوارع المدينة حتى دخلوا إلى أحد المطاعم، والتي تقدم الخبز والدجاج.. وقد وجد بها «خالد» الكثير من العمال من يعملون معه في تقطيع الصخور.. ثم اتجه إلى صاحب المطعم، وسألة:
- كم سعر الدجاج هنا؟

فرد الرجل:- الدجاج مقابل خمس وحدات..
فأسأله «خالد» مجددًا:
- وكم عامل يأكل من دجاجك؟
فضحك الرجل ساخرًا ثم أشار إلى من يأكلون:
- انظر إليهم.. إنهم لا يأكلون سوى الخبز.. ربما أبيع دجاجة حين يأتيوني غني مثلك إلى هنا..

فابتسم «خالد» ثم صمت، وأكمل حديثه:
- ما رأيك أن تبيع كل يومين كل ما تملكه من دجاج؟

فنظر الرجل و «يامن» و «أسيل» إلى «خالد» في دهشة، وكأنهم لا يفهمون ما يقصده.. حتى أكمل وسائل الرجل:

- هل تريده ذلك؟

فأجاب الرجل ضاحكاً: - بالطبع ..

فابتسم «خالد»: حسناً.. أريدك أن تجعل سعر وجبة الدجاج أربعة وحدات، وليس خمس..

فظهر الغضب على وجه الرجل.. وسائل «خالد»:

- هل تغزّ؟!

فأجابه «خالد»، وما زالت ابتسامته على وجهه:

- لا.. اجعل السعر أربع وحدات، وسأضمن لك مكسباً لم تخلم به يوماً..

فصمّت الرجل، وكأنه يفكّر، وما زال الصمت على وجه «يامن» و «أسيل» حتى رد الرجل:

- حسناً.. سأجعله أربع وحدات.. ولكن ماذا ستفعل؟ ثم نظرت «أسيل» إلى «خالد»:

- «خالد» لا أفهم شيئاً حتى الآن..

فابتسم «خالد»:- انتظري..

ثم اتجه إلى صالة المطعم حيث يأكل العمال، ووقف بمتصفها ثم

سأهم بصوت عالي:

- من يأكل خبزا؟

فابتسم الجميع، ورفعوا أيديهم بالخبز فصمت ثم سأهم:

- ومن يريد أن يأكل دجاجا كل يومين؟

فاندهش من يأكلون، وواصلوا أكلهم، ولم يُعبروا حديثه اهتماما

بعدما ظنوا أنه يمزح حتى أكمل:

- دون أن يدفع شيئاً مما يدخله كل يوم..

فأسأله أحد من يأكلون:

- هل جنتت أيها الغريب؟!

فأجابه «خالد»: لم أجن.. ولكتني أريدكم أن تفعلوا مثلي.. سأكل

دجاجا كل يومين.. ثم أكمل:

- أنا أكسر الصخور، وأمتلك من القوة ما يكفيوني لأنقلب على مخاوفي

ثم تابع:

- إبني أدفع وحدتين للحماية كل يوم لمجموعة من الكسال، ونأكل من تعبي ..

إبني لن أعطي أحداً من تعبي عشر وحدة من اليوم، حتى لو قتلوني.. أفضل أن أذبح يوم زيكولا.. ولا أعطي أحداً شيئاً مقابل خوفي..

فتوقف من يسمعونه عن مضخ الطعام، وأسيل، ترقب رد فعلهم، وتنظر إلى «خالد» في إعجاب حتى همس إليها «يامن»:

- إنه بارع في استخدام هجتنا، لقد ترك هجته كي يجدنهم.. فأشارت «أسيل» إليه أن يصمت كي تستمع إلى «خالد».. حتى تحرك «خالد» بعض الخطوات بين طاولات الطعام وأكمل:

- إبني وحدي لن استطيع إيقافهم.. ولكننا معًا سنستطيع ذلك.. سنجعلهم يعملون مثلنا، وإلا يذبحون يوم زيكولا.. لن يأكلون حقنا بعد اليوم.. ثم وقف بجوار طاولة مجلس حولها ثلاثة أشخاص فنظر إليهم، وأكمل:

لأعلم كيف يخيفونكم، وعدهم ضئيل للغاية.. أعلم أنهم
أشرار، وأنكم طيبون، ومتاخمون، ولكن إن اجتمعتم فسيكتب عنكم
التاريخ ذات يوم أنكم اجتمعتم كي تزيلوا الظلم عنكم..
ثم سار خطوات أخرى، وهدا صوته:

- في عالمي، هناك من يشبهونكم.. وما زالوا يتظرون يوماً
ليجتمعوا.. وما زال التاريخ يسجل ذُهُم.. ثم علا صوته مجدداً:
 - اليوم يطلبون منكم وحدتين.. غداً سيطلبون ثلاثة.. بعده
سيطلبون أربع.. خمس.. من يدري؟ ربما يجعلونكم ت عملون لديهم...
بعدها تحرك إلى أحد أركان صالة الطعام، ثم التفت إليهم:
 - أعلم أنكم تتعاملون بوحادات الذكاء.. وأن الذكاء عملتكم..
ولكن حان الوقت لاستخدموه مرة واحدة بحياتكم.. استخدموه كي
تعيشوا.. استخدموه كي تفخروا بأنفسكم..
فصالح «يامن»:
 - أنا لن أدفع كي يحميني أحد.. استطيع أن أحني نفسي..
وصاحت «أسيل»:
 - وأنا كذلك.. من يريد أن يأخذ مني شيئاً فليقتلني أولاً..

فصاح فتى آخر:

- وأنا لن أدفع..

وبعده رجل غيره:

- وأنا أفضل أن آكل الدجاج كل يومين.. لن أدفع..

وصاح عجوز يجلس بعيداً:

- وأنا لن أدفع.. لقد دفعت الكثير.. لن أدفع حتى الموت..

ونهض فتى قوي، ورفع فأسه:

- وأنا سأكسر عظامهم.. إنها ليست أقوى من الصخور التي أكسرها

صاح الجميع: «نحن لن ندفع.. لن ندفع.. لن نأكل خبزاً مجدداً..

سنأكل ما يحلو لنا».. ابتسם «خالد»، وأحمر وجهه ثم اتجه إلى «يامن»،

واحتضنه ثم احتضنته «أسيل» على الفور.. وأغمضت عينيها، وحدثت

نفسها:

- كم أحبك يا «خالد»، ثم فتحتها، وهمست في أذنه:

- سُكّتب هذا اليوم في تاريخ زيكولا..

فهمس إليها «خالد» مبتسمًا:

- إبني أنظر إلى وجهك فأجد الأمل يا «أسيل» ..
فابتسمت «أسيل»، وأحمر وجهها خجلاً.. ثم نظر «خالد» إلى «يامن»:
- هيا يا «يامن».. عليك أن تعيد الحصان إلى صاحبه.. وأن تستريح كي
نعمل غداً معاً..

ثم نظر إلى العمال الذين يتراقصون فرحاً، وتتابع مبتسمًا:
- سأبدأ من الغد توفير ثمن كتابي..

(١٣)

وهكذا استطاع «خالد» أن يحرك عقول عمال زيكولا، وأن يقنعهم
بألا يدفعوا تلك الوحدات مقابل حاليتهم مجدداً.. حتى صاحوا فرحين
بأنهم لن يدفعوا، وترقصوا فرحاً بذلك، وزادت سعادة «أسيل»
و«يامن» بها فعله «خالد»

في اليوم التالي أتجه «خالد» مبكراً إلى عمله فوجده عشرة من
يأخذون وحدات الحياة يقفون بطريقه كعادتهم، واقربوا منه كي
يأخذوا ما يريدون فابتسم «خالد»، وواصل سيره حتى أوقفه أحدهم
بعنف، وصاح به:

- هيا.. ادفع وحدتك..

فابتسم «خالد» مجدداً، وواصل سيره فأوقفه الرجل مرة أخرى،
وطالبه بالوحدتين من جديد.. فرد «خالد» في برود:
- أنا لن أدفع..

فظهر الغضب على وجوههم، ثم ضحك أحدهم ساخراً:
- لن تدفع !!

فأجاب «خالد»:- نعم..

فقال الرجل غاضبًا:

- أتعلم ماذا سيحدث لك؟

فرد «خالد» مبتسمًا:

- لا..

فزاد الغضب على وجوههم جميعاً.. وهتوا أن يضربوه حتى

فوجثوا بـ«خالد» يشير تجاه غبار كثيف بالجلو.. وضحك:

- انظروا..

فنظروا إلى ذلك الغبار بالأعلى ثم نظروا إلى أسفله فوجدوا المئات

من العمال، وبأيديهم فؤوسهم وألاتهم اليدوية.. يقودهم «يامن»،

ويقتربون عذراً تجاههم.. حتى أكمل «خالد»:

- عليكم أن تهربوا وإلا ستدعون الكثير اليوم..

فصرخ زعيمهم إلى أحدهم:

- اذهب لتجلب الآخرين..

ولم يكمل حديثه حتى اقترب العمال، وألقى أحدهم بفأسه إلى

«خالد» فابتسم ولوح بفأسه، ثم تحدث بصوت عالي إلى العمال:

- إنهم لا يصدقون أننا لن ندفع لهم من اليوم ..

ثم أكمل بعد ما لمعت فأسه:

- علينا أن ثبت لهم ذلك ..

ثم ضرب بفأسه أحدهم، وما إن فعل ذلك حتى صاح العمال ثم انهالوا على بقائهم بالضرب، وكأنهم كانوا يتظرون بذلك اليوم .. حتى من ذهب ليجلب بقائهم توارى بعيداً ثم هرب مع الآخرين حين وجدوا زملاء لهم يُضربون كمن وقع عليهم جبل من الفؤوس والعصي حتى هدا العمال مرة أخرى، وسالت الدماء على وجوه آخذى الوحدات .. فضحك «خالد»، وسألهم:

- أمازلمتم تريدون الوحدات؟ فلم ينطقو ..

فنظر «خالد» إلى بعض العمال:

- إنهم مازالوا يريدون ..

فواصلوا ضربهم مجدداً .. حتى صرخوا:

- إننا لا نريد شيئاً .. إننا لا نريد ..

فصاح «يامن» غاضباً:

- حسناً.. عليكم أن تتركوا تلك المنطقة إن لم تعملوا.. إن رأيناكم هنا
مجدداً فلن نكتفي بما حدث اليوم..

فصرخ أحدهم:

- حسناً.. حسناً..

ثم نهضوا مسرعين يهربون بعيداً، فصاح العمال فرحين، وبدأوا
يتراقصون، ويغنون:

- سنأكل الدجاج.. سنأكل الدجاج.. نحن أقوىاء..

ثم احتضن «يامن» «خالد»، وهمس إليه:

- ربها يأتون ببقيتهم غداً..

فضحك «خالد»:

معتقدش.. هما خلاص عرفوا إن انتوا اخهدتوا.. والمرة الجایة ممكن
تقتلوهم.. شفت اليوم الوحيد اللي استخدمو فيه الذكاء.. ثم حمل
فأسه، وجذب «يامن» من يده:

- هيا يا صديقي، لدينا الكثير من العمل..

فضحك «يامن»:

- أصبحت تتحدث مثلنا..

فضحك «خالد»، وقد استعاد لهجته مرة أخرى:

- خلاص أنا بقية من أبناء زيكولا..

ثم عاد إلى لهجة زيكولا:

- هيا، سأنافسك اليوم في العمل.. وسأعمل ضعف ما تعمال..

فضحك «يامن»:

- أرى أنك تحلم..

فرد «خالد» ضاحكاً:

- أحلم؟!! سترى.. ثم أسرع «خالد» إلى مكان العمل جريأا، فتبعد

«يامن» مسرعاً: انتظر..

بدأ «خالد» يعمل بقوه.. لا يشغل تفكيره شيء سوى أن يوفر ثمن كتابه.. يمر اليوم تلو الآخر، يعلم أن عمله شاق للغاية، ولكنه يدرك أنه العمل الأكثر ربحاً في زيكولا.. يحاول أن يحفز نفسه بأن ينافس «يامن» كل يوم في تكسير تلك الصخور.. ويضحك كثيراً حين يجد فتاة أو أخرى تنظر إلى جسده القوي اللامع تحت أشعة الشمس.. فيكمل عمله، ويترك «يامن» ليداعب تلك الفتيات.. حتى يتلهي من عمله

فيذهب إلى ذلك المطعم كي يتناول غذاءه.. ويبتسم حين يجد الكثير من العمال يأكلون الدجاج بينما أصبح هو الوحيد الذي يأكل الخبز.. ثم يعود إلى البحيرة فيلقي بجسده في مانها، ثم يستلقى على شاطئها.. وينخر أوراقه وأقلامه ليسجل ما حصل عليه من وحدات، وما يتبقى له على ثمن الكتاب، وما يتبقى له من أيام.. حتى تأتي «أسيل» فتجلس بجواره لبعض الوقت، ثم تعود إلى بيتها بينما يظل هو ساهراً حتى يغله النعاس.. فينام حتى صباح اليوم الذي يليه..

حتى جاء يوم وقد انتهى «خالد» من عمله.. ففوجئ بفتاة تقترب من بعيد حتى دق قلبها سريعاً حين وجدتها تشبه «مني»، تلك الفتاة التي أحبتها سنوات طويلة قبل أن يأتي إلى زيكولا.. حتى مرت الفتاة بجانبه فوجدها تختلف عنها قليلاً.. واندهشت حين وجدته ينظر إليها في ذهول، حتى «يامن» أصابته الدهشة هو الآخر.. فسأله مداعباً له:
- هل تعجبك؟!.. إن كنت ت يريد أن تتزوجها أخبرني فقط..

فضحك «خالد»:

- لا.. شكرًا..

بعدها غادر «خالد»، ولم يتجه إلى المطعم تلك الليلة كعادته بل ذهب إلى شاطئ البحيرة، وعقله منشغل بتلك الفتاة التي تشبه «مني».. وكأنه تذكّر سنوات مضت، وحدث نفسه:

- «مني»؟! ثم أكمل:

- يا ترى أتحوزني الدكتور ولا لا؟!

ثم جلس على شاطئ البحيرة أمام نار أوقدها، وأخرج ورقة من أغراضه.. نصفها العلوي مليء بكتاباته.. فبدأ يكتب بنصفها السفلي: لم تعد سوى أيام قليلة على إتمامي الشهرين، وأذهب كي آخذ كتابي.. ولكنني قد قابلت اليوم فتاة تشبه «مني» التي أحببها ست سنوات.. وكانت أمنية حياتي أن أتزوجها ذات يوم.. لو لا أبوها المجنون.. ثم صمت مفكّراً قليلاً حتى أكمل كتابته:

لا أعلم ما سر أن أجده تلك الفتاة اليوم.. هل لأن تذكر «مني» بعدها لم أفكّر بها منذ دخولي زيكولا.. حين انشغل عقلي بالبحث عن كتابي.. لا أعلم..

ثم توقف مجدداً، ونظر بعيداً إلى البحيرة، وأخذ نفساً عميقاً
وآخر جه ببطء.. ثم نظر إلى الورقة والتي امتلأت بالكتابة، عدا جزء
صغير بأسفلها، فكتب به:

- ما أعلمك جيداً أنني لم أحب غير «مني» طوال عمري
حتى انتهت الورقة التي يكتب بها، فأخذ ورقة أخرى ثم نظر إلى
الورقة السابقة حيث انتهى، ثم أكمل:

- لم أحب غيرها طوال عمري قبل أن آتي إلى زيكولا.. حتى
وجدت «أسيل» التي يزداد شعوري كل يوم بمحبها لي.. أما أنا فأأشعر
تجاهها بـ...

حتى شعر بأقدام تقترب من خلفه.. فوجد «أسيل» تقترب،
فضحك ثم أخفى أوراقه بين أغراضه.. حتى اقتربت منه، وسألته:
- ماذا تفعل؟

فضحك «خالد»:

- ولا حاجة..
فصممت ثم أكملت:

- كنت أتوقع أن أجده تناول طعامك بالطعم.. وذهبت إلى هناك فلم أجده.. يبدو أنك توفر طعامك..

فابتسم «خالد»: لا.. أنا مش بخيل للدرجة دي.. أنا فضلت إني آجي للبحيرة..

فابتسمت «أسيل»:

إن البخل ليس عيبا هنا في زيكولا كما تعلم.. لقد بدأ أهالي زيكولا يذخرون ثرواتهم بالفعل بعدما شعروا باقتراب يوم زيكولا إن كان مولد الحاكم ذكرًا.. ربما يكون بعد ثلاثة أشهر، أو أكثر بأيام قليلة.. من يدرى؟!..

ثم أكملت مبتسمة: - لو لا تلك الوحدات التي وفرها الكثيرون من آخذني وحدات الحمامة لما أكلوا دجاجًا حتى انتهاء ذلك اليوم.. ثم ضحكت، وأكملت:

- أتوقع أن يكون فقير هذا العام لديه أكثر من ماتي وحدة..
فضحكت «خالد»:

- وأنا نفي أسيب زيكولا قبل ما أشوف الفقير يذبح.. ثم سأها:
- وأنتي مش عاوزة تسيبي زيكولا؟

فضحكت «أسيل»:

- إنَّ تركي لزيكولا قد يكون أصعب قرار بحياتي.. لا أعتقد أنتي سأتخاذ هذا القرار إلا عندما يكون لدى مبرر قوي للغاية.. ثم نهضت:
- هيا عليك أن تناه.. أما أنا فسأعود إلى بيتي لدى أيضًا الكثير من العمل باكرًا..

فابتسم «خالد»، وكأنه يُقلّدها:

- مبرر قوي للغاية؟!!

فضحكت «أسيل»:

- للغاية..

غادرت «أسيل»، ومرَ الليل، وأتى ما بعده من نهار.. و«خالد» يواصل عمله، ويتمنِّي أن تمر الأيام المتبقية سريعاً.. وتتوالى الأيام يوماً بعد يوم.. و«خالد» يوفر ما يستطيع توفيره من وحدات.. ولا يترك يوماً دون أن يعمل.. لا ينفق من أجره شيئاً سوى وحدة واحدة حين يأكل الخبز.. حتى أنه كان يوفرها بعض الأيام.. وقد يمر يومان دون أن

يضع لقمة بحلقه.. حتى جاء اليوم الأخير من الشهرين، وقد كان
بعمله مع «يامن»، والذى حدثه مبتسما:

- لقد انتهت المهلة اليوم..
- فحمد «خالد» ربه ثم تحدث:
 - أخيراً.. أنا كنت مستني اليوم ده بفارغ الصبر..
 - فأسأله «يامن»:
 - كم جمعت من الأربعينات وحدة؟

فصمت «خالد» مفكراً، وكأنه يحسب ما جمعه بدقة:

- أعتقد إني جمعت حوالي ٣٥٠ وحدة.. وهضيف لهم خمسين وحدة من
مخزوني..

ففاطعه «يامن»:

- تقصد مائة وحدة

فرد «خالد» متدهشاً:- مائة؟!
أكمل «يامن»:- نعم.. هل نسيت أنك ستنستأجر الحصان مرة
أخرى.. فضرب «خالد» رأسه بيده.. وكان ذلك الحصان لم يكن
بحساباته.. حتى صمت وأكمل:

- أنا كنت اشتري حصان أو فرلي.. ثم تابع:
- مش هتفرق خسین من مية.. المهم إني آخذ الكتاب..
فضحك «يامن»:
- حسناً.. سأوفر لك الحصان بمدداً.. وسأنتظرك حتى تعود..
إني أريد أن أرى أغلى كتاب بزيكولا.. أعتقد أنها ستكون لحظة تاريخية
لي..

فضحك «خالد»:
- وأقتنى أن تكون تاريخية لي أنا كمان..

في صباح اليوم التالي، امتطى «خالد» ذلك الحصان الذي أحضره «يامن».. وقد كان نفس الحصان القوي الذي استأجره المرة السابقة حين ذهب إلى المنطقة الشهالية.. وانطلق نحو تلك المنطقة.. تعلو وجهه ابتسامة أمل لم يشعر بها من قبل.. يأمر حصانه أن يسرع.. هيا.. إلى الأمل.. إلى خروجي من زيكولا.. يشق حصانه الطريق بقوة.. ويتطاير قميصه مع الهواء لظهور عضلات جسده القوية، وذراعيه القوي الذي يمسك بلجام حصانه بإحكام.. ينطلق بحصانه، ويخشى أن يتأخر عن

موعده فيمزق «هلال» المجنون صفحة واحدة من كتابه.. ويأمره بأن
يزيد من سرعته.. ويمرّ الوقت، وتتحرك الشمس.. ويواصل طريقه
دون أن يستريح..

حتى وصل إلى أطراف المنطقة الشمالية مع غروب الشمس..
فأسرع ينطلق في شوارعها، والتي كانت خالية إلا من القليل من
الأشخاص الذين بدأوا في الخروج مع حلول الليل، وبعض فتيات
اللil الباقي خرجن إلى شوارع تلك المنطقة.. وأكمل طريقه نحو بيت
«هلال».. أخيه.. صاحب الكتاب..

وصل «خالد» إلى بيت أخيه، فارتجل مسرعاً.. وعقل حصانه
بجوار بابه.. ثم أعطى فتى مجلس أمام ذلك البيت وحدتين مقابل أن
يحمي حصانه حتى يعود.. ثم طرق باب البيت ففتح «هلال» على
الفور.. حتى وجد «خالد» أمامه ، فضحك:
- المجنون الذي يريد الكتاب..

فسمت «خالد» ولم يرد، ثم دلف معه إلى داخل البيت.. فوجد
رجلين تبدو عليهما القوة، ويظهر الشر بأعينهما.. حتى تحدثت «هلال»:

- لقد جئت في موعدك تماماً..

فرد «خالد»:

- إنني أريد الكتاب الآن..

فابتسم هلال ابتسامة خبيثة:

بالطبع يا عزيزي، لقد جئت إلي من السباء.. إنني كنت أخشى أن
أذبح يوم زيكولا.. أما بعد ذلك الكتاب فلن أعمل عاماً على الأقل..

إنني اليوم أحترم أبي كثيراً.. ثم نظر إلى «خالد»:

- يبدو أنك على استعداد الآن لتعطيني الخمسة وحدة مقابل الكتاب

فصاح «خالد» في غضب:

- خمسة؟!!

فضحك «هلال»، وكأنه مندهش:

- نعم.. أنسنت اتفاقنا؟!

فصاح «خالد» مجدداً:

- كان اتفاقنا أربعهانة وحدة..

فصمت «هلال» ثم تحرك خطوات.. وتحدث إلى أحد الرجلين:

- إنه يقول أربعهانة..

ثم نظر إلى الآخر:

- إنني لا أتذكر ذلك..

ثم نظر إلى «خالد»:

- ربما لم تفهم قصدي وقتها.. ربما كنت أقصد أن تعطيني أربعهانة وحدها إن أخذته قبل شهرين..

- أما بعد تلك المدة فلابد أن يزيد الشمن.. لا أعلم سر هذا الغباء في زيكولا..

فشاط «خالد» غضباً، وكاد أن يلكمه.. ولكنه تمالك أعصابه حين

نظر إلى هذين الرجلين، وما يخفيانه من شر.. ثم تحدث في هدوء:

- لسه بقول إنك أخي..

فضحك «هلال» ثم نظر إلى الرجلين:

- لقد أخبرتكما أنه مجنون.. ثم نظر إلى «خالد»:

- أعتقد أنك تملك الكثير.. لن تصبح فقيراً إن أعطيتني المائة وحدة إضافية..

فصرخت «خالد»، وحدث نفسه:

كدة هتفقد متين وحدة من ذكائك يا «خالد».. ثمن إيجار
الحصان.. والخمسين وحدة اللي كنت ناوي تضيفهم.. وكمان مائة
وحدة؟!..

ثم زفر زفارة قوية، وظل يفكر حتى وجد «هلال» يتحرك إلى
إحدى الغرف.. ثم عاد وبيه ذلك الكتاب ثم حدث الرجلين مجددًا:
إن الوقت يمر، ومازال صديقنا يفكّر.. حسناً سأمزق آخر ورقة
بالكتاب.. وهم أن يمزقها حتى أمسك «خالد» بيده، ونظر في عينه
بقوّة:

- أنا موافق إني اشتري الكتاب مقابل الخمسيني وحدة..
فضحك «هلال»:

- حسناً.. وأنا أعطيك الكتاب..

فانتزعه «خالد» في غضب، واحتضنه بين ذراعيه، وتحدث كأنه
يتحدث إلى الكتاب:

المهم إن الكتاب معايا.. الوحدات اللي فقدتها أقدر أعورّضها قبل
يوم زيكولا إن شاء الله.. لسه تلات شهور على يوم زيكولا لو كان
المولود ولد.. لوعملت زي الفترة اللي فاتت أقدر أوفر حوالي خمسيني

وحدة.. واستعيد كل غزوتي وأكتر.. ثم نظر إلى «هلال»، والذي بدأ يشرب الخمر مع الرجلين:

- أتمنى إنك متكونش أخي فعلًا.. ثم أكمل:

- لإإنك عار..

فضحك «هلال» ببرود:

- هيا.. أخرج من هنا أيها المجنون قبل أن تأخذ منك الكتاب مجددًا..

فرد «خالد»:

- وقتها.. اقتلوني أو لا..

ثم أخذ كتابه، وخرج، وأغلق الباب خلفه بعنف.. ثم امتنع حصانه، وأسرع به يغادر ذلك المكان.. وقد تناهى ما دفعه من وحدات إضافية.. وأصبح همه أن يقرأ ما بذلك الكتاب.. حتى وصل إلى مكان لا يوجد به الكثير من أهالي تلك المنطقة، وجلس بجوار عمود أنيرت فوقه نار للإضاءة.. وأخرج كتابه مسرعًا، وبدأ يتصرفه، ويقلب صفحاته في لفة.. ويقرأ بعينيه سطوره مسرعًا.. ينظر إلى صفحاته الصفراء.. وما كتب بها بخط اليد، وكأنه أمل انتظره لسنوات..

وجد «خالد» صاحب الكتاب يذكر في بدايته أنه قد كتب هذا الكتاب في القرن الثامن عشر .. وأن تلك النسخة هي النسخة الثانية للكتاب، بعدما ضاعت نسخته الأولى دون أن تكتمل .. فتذكرة «خالد» صفحات الكتاب العشر البالية، والتي تحدثت عن سرداد فوريك، وقد قرأها قبل أن يأتي إلى زيكولا حين أعطاها له صديق جده .. مجنون السرداد ثم قلب «خالد» صفحات الكتاب في سرعة .. فوجد تلك الصفحات العشر فتجاوزها، حتى وصل إلى تلك الصفحة والتي انتهت بأنه اكتشف ما هو أهم من كنوز فوريك .. فكانت مثلما توقع «خالد» بأنه سيتحدث عن اكتشافه لأرض زيكولا ..

ثم قلب «خالد» بعض الصفحات، فوجده يتحدث عن أهل زيكولا، وعن تعاملهم بوحادات الذكاء، ويوم زيكولا، وذبح الأفقر كل عام، وما تركه ذلك من طباع على هؤلاء الناس .. فقلب «خالد» تلك الصفحات مسرعا .. وكلها قرأ شيئاً يعرفه تجاوزه .. لا يريد أن يضيع ثانية واحدة .. حتى وجد صفحة مكتوب بها ..

" - لقد أفيت عمري أبحث عن سر تلك الأرض .. ولكتني لم أجده حتى لحظة كتابة كتابي هذا .. ولكنني أعلم تماماً أنني لست المصري الوحيد الذي أتى إلى تلك الأرض ..

- لقد عثرت صدفة على بعض المخطوطات التي أخبرتني ببعض الحقائق التي وضعتها نصب عيني .."
فاندهش «خالد» .. وبدأ يقرأ في لفحة .. ما كتبه صاحب الكتاب،
والذى كتب:

"لقد ذكرت تلك المخطوطات البالية أن الكثيرين قد أتوا إلى تلك الأرض بعد بناء سردار فوريك .. فبعدما شيد ذلك السردار ببراعة معمارية لم يكن لها مثيل .. أُعجِّب به فوريك ذلك الشري كثيراً، ووضع به كل ما يملك من كنوز وثروة لم يكن لها مثيل في ذلك العصر .. حتى طمع الكثيرون بها فاتجهوا إلى ذلك السردار كي يسرقونها .. وحين علم فوريك بذلك أمر حراسه بأن يغلقوا أبوابه .. وظلوا بداخله دون أن يجدوا مخرجاً .. حتى مات بعضهم، وبعضهم ظل يبحث عن مخرج حتى وجدوا بذلك المخرج إلى تلك الصحراء .. والتي لم تكن بها سوى تلك المدينة، وسورها القوي .. والذي لم يكن قد اكتمل وقتها ..

فاستقروا بها، وظنوا أن تعاملهم بوحدات الذكاء ما هو إلا عقابا لهم على نزولهم ذلك السرداد ومحاولتهم سرقة كنوز فوريك وبعدها كثروا عددهم.. وعاشوا مع سكان زيكولا الأصليين.. وتکاثروا بينهم .."

" وتقول المخطوطات إنهم لم يتذكروا شيئاً عن حياتهم السابقة، سوى تقويمهم الذي كتبوه على سور زيكولا منذ أن دخلوا إليها.. ولغتهم العربية والتي بدأوا يعلمونها سكان زيكولا.. حتى أنهم نسوا دينهم، وأصبح الكثيرون منهم من الكسالي الذين اتجهوا إلى منطقة الشهالية في ذلك الوقت قبل قرون.. حيث يكسبون ثرواتهم دون أن يعملوا بجد.."

فوachel «خالد» تصفحه لصفحات الكتاب متوجلاً.. وكأنه لا يهمه ما فاته مما ذكره الكتاب.. يبحث عن هدف واحد لا يريد غيره.. وأخذ يقلب حتى وصل إلى تلك الصفحة التي قرأها منذ شهرين ومكتوب بمنتصفها: "الطريق إلى سرداد فوريك.." فأخذ يقرأها في لفة.. حتى وجد الكاتب يقول:

"إنى جئت إلى زيكولا مرتين .. وأعلم جيداً الطريق إلى ذلك السرداد، ولكني أحببت العيش هنا.. فلن أغادر حتى أموت .."

ثم قرأ «خالد» بعض السطور مسرعاً.. حتى وصل إلى سطر يقول: "حين سرت بسرداب فوريك لأول مرة، وببدأ انهياره.. وأسرعت هارباً خوفاً من ذلك الانهيار.. لم يَدُر بخلدي وقتها أنه يدفعني إلى طريق يريده السرداب... فتذكر «خالد» نفسه عندما كان بالسرداب .. وحدث ذلك الانهيار، ثم أكمل قراءة:

"ولكتني تذكرت بأن هناك طريقاً آخر قد أبعدي عنه انهيار السرداب.. وأدركت أنه طريق العودة مجدداً.. بعدما انهار طريق مجني.. واختفي بالصحراء.."

فابتسم «خالد»، ودق قلبه بقوة، وحدث نفسه:
فيه طريق للخروج .. فيه طريق للخروج.. الحمد لله.. الحمد لله
حتى أكمل قراءته، وقد وصل إلى الصفحات الأخيرة:

"إن جاء أحد من بعدي، ولم يقرأ كتابي.. سيظن أنه لابد أن يخرج من زيكولا كي يعود إلى مصر مجدداً .. وهذا الغباء ذاته.. من يأتي إلى تلك الأرض، ويريد أن يعود إلى دياره، وأن يصل إلى سرداب فوريك مجدداً.. لابد أن يدخل زيكولا.. ويكون كالشمس، وينحدر في الصخر.. فيجد باب السرداب الآخر أمام الرأس مباشرة.."

حتى انتهت الصفحة، ومعها انتهت صفحات الكتاب.. فأعاد «خالد» القراءة مرة أخرى بعدما لم يفهم شيئاً:

من يريد أن يصل إلى سريرك، لابد أن يدخل زيكولا،
ويكون كالشمس، وينحدر في الصخر. سيجد باب السرير أمام
الرأس مباشرة..

ثم سأله نفسه:

- أي شمس؟!

- وأي رأس؟!

- ويقصد أيه بالنحوت في الصخر؟!

- أي رأس؟!!

يقلب صفحات الكتاب مجدداً.. ويسأل نفسه.. ويسأل الكتاب..

أي شمس؟.. أي رأس؟..

حتى نهض وتحرك مسرعاً، ودخل مكاناً به الكثير من أهالي المنطقة الشهالية.. يشربون الخمر، ويتراقصون.. فصاح بأحد هم، وأشار إلى تلك الصفحة بكتابه:

- هل تفهم ذلك؟

- كيف أنحوت في الصخر أمام الرأس؟!

- فضحك الرجل:
- هل أنت مجنون؟!

فسأل آخر فلم يجده.. فسأل غيره فلم يجده.. وظل يسأل كل من يقابلها عما قرأه، كالمجنون فلم يجده أحد.. حتى جلس على إحدى الطاولات.. وبدأ يقرأ تلك السطور الأخيرة.. ويكررها بصوت عالٍ.. ولكنه لم يفهم منها شيئاً.. حتى وجد أمامه كأساً من الخمر فشربه دون أن يدرك أنه خمر.. وشرب منه مجدداً.. وظل يقرأ ويفكر دون أن يصل إلى شيء.. وكلما انتهى ذلك الكأس أمامه ملاه النادل من جديد.. حتى ظهر تأثير الخمر عليه.. فوقف فوق الطاولة التي كان يجلس عليها.. وأمسك زجاجة الخمر بيده، والكتاب بيده الأخرى.. ثم صاح ضاحكاً في سخرية إلى من يجلسون بذلك المكان:

- ظللت أحلم أن أجد ذلك الكتاب.. وأبحث في كل مكان بتلك المدينة اللعينة.. ثم شرب قليلاً من الخمر، وتابع:
- وحين وجدته.. ظللت أعمل، وأعمل، وأعمل.. لا آكل ولا أنام حتى أحصل عليه..

ثم صمت ، وضحك مفهقها ، وقد بدأ الناس يسخرون منه حتى

أكمل :

وقد حصلت عليه اليوم .. مقابل خسارة وحدة من ذكاني ..

فنظروا إليه .. وكأنهم لا يصدقونه فأكمل ، وقد أحمر وجهه من الخمر :
لا تندهشوا .. لو طلب مني ذلك المعتوه .. الذي قد يكون أخي
أكثر من ذلك لدفعت .. ثم شرب كثيراً من الزجاجة ، وأكمل بعدما

ترتفع فوق الطاولة ، وبدأ لسانه يتلخص بالحديث :

- وفي النهاية علمت لماذا لم يستطع أبي الخروج من هنا ، ومعه

ذلك الكتاب ..

فأسأله رجل سكير يجلس على طاولة بعيداً :

- لماذا أبى الجنون ؟

فأشار «خالده» إليه ضاحكاً ثملاً :

- حسناً .. سأخبرك أبى السمين .. لابد أن القصة قد أعجبتك ..

سأخبرك ..

يبدو أن صاحب هذا الكتاب اللعين خشى أن يذهب أحدكم إلى

ذلك السردا ب .. لا أعلم لماذا خشى أن تذهبوا إلى هناك .. لبت أهل

زيكولا يذهبون إلى بلدي فيجعلونهم يعملون.. ولا يعتمدون على
غيرهم مثل زيكولا.. ثم ضحك عالياً:

- لقد وضع لغزاً آخره..

ثم جلس على الطاولة، ووضع رأسه بين يديه.. ثم رفع رأسه
مجدداً، وضحك ضحكة يشوبها ألم كبير:

- كان يعلم أنكم تعاملون بالذكاء.. كان يعلم أنكم أغبياء.. لن
تستخدموا ذرة ذكاء واحدة لتفكروا في ذلك اللغز.. ثم هدا صوته:

- ويبدو أنني سأظل مثل أبي.. طوال عمري أبحث عن ذلك
المخرج.. إبني غبي مثلكم..

ثم نهض مجدداً فوق الطاولة.. ورفع الكتاب بيده، وصاح بصوته
السكيك:

- والآن.. من يريد أن يشتري هذا الكتاب مقابل عشر وحدات
من الذكاء؟

(١٤)

ظل «خالد» هكذا يهذى لما أصابه من ألم الصدمة، فلم يجده أحد

فعاد مجدداً، وصاح بصوته:

- لا يستحق عشر وحدات؟!.. إنكم لا تعلمون قيمة..

صدقوني إنه ثمين.. ثم أكمل:

- حسناً.. خمس وحدات؟..

فلم يجده أحد مرة أخرى فتمت إلى نفسه بكلمات غير مفهومة ثم نزل من فوق الطاولة.. وسار خارجاً من ذلك المكان وسط سخرية كل من يقابلونه، وتحرسات فتيات الليل.. يسير متزحجاً.. لا يدرى بشيء من حوله، وفي يده كتابه يلوح به إلى من يقابلها، ويضحك.. حتى عاد إلى المكان الذي يقف به حصانه.. وما إن وصل إليه حتى سقط وكأنه فقد وعيه..

في صباح اليوم التالي، كان «خالد» نائماً على جانبي أحد شوارع تلك المنطقة بجوار حصانه.. حتى فتح عينيه فجأة حين فوجئ بفيض

من الماء البارد ينسكب فوق رأسه.. وما إن نظر أمامه حتى وجد تلك الفتاة التي أرشدته إلى «هلال» من قبل.. فتاة الليل.. وبيدها إناء فارغ، وقد ضحكت:

- لست وحدك من تسكب الماء..
فنهض «خالد» مسرعاً، ونظر إلى ملابسه المبللة.. وأمسك رأسه من الألم ثم نظر إليها غاضباً، فأسرعت متعددة عنه، وحذثه ضاحكة:
- هيا عد إلى حيث جئت.. لن يفيدك أن تبقى هنا..

فصمت «خالد»، ولم يتحدد ثم أمسك بلجام حصانه، وامتطاه..
وبدأ يتحرك به ببطء متعدداً عن الفتاة.. حتى صاحت إليه مجدداً:
- كنت أتمنى ألا أراك هكذا ليلة أمس.. ثم صمتت، وصاحت مرة أخرى:

- كنت أظنك أقوى من ذلك..
فأوقف «خالد» حصانه ثم التفت إليها.. وتحددت بصوت هادئ:
- أنا آسف..

ثم استدار مجدداً، وأمر حصانه أن ينطلق بين شوارع تلك المنطقة إلى أطراها حيث طريقه إلى المنطقة الشرقية..

كان الحصان في طريقه نحو المنطقة الشرقية.. و«خالد» يكاد أن يلقي بنفسه من فوقه ندماً عما فعله ليلة أمس.. لا يصدق أنه قد ثمل ولم يتحمل صدمة لغز الكتاب .. يتحدث إلى نفسه ويؤثثها.. إنها المرة الأولى التي يشرب فيها خرراً.. لا يتذكر عما تحدث إلى السكارى.. ولكنه لم يود لحظة واحدة أن يكون هكذا.. ينظر إلى السماء ويستغفر ربه .. ويتحدث إلى نفسه بأنه لن يفعلها مجدداً.. ثم تذكر الكتاب، وذلك اللغز.. ماذا يقصد كاتبه؟.. كيف يكون كالشمس؟.. كيف ينحت في الصخر؟.. وأي رأس تلك؟.. وظل هكذا حتى وصل إلى أطراف المنطقة الشرقية مع حلول الليل.. واتجه إلى شاطئ البحيرة.. وما إن وصله حتى غلبه النعاس من التعب وألم رأسه الشديد.. فآخر أن يستريح حتى صباح اليوم التالي..

في صباح اليوم التالي، استيقظ «خالد» من نومه، ولم يكدر يفتح عينيه حتى وجد «أسيل» تأتي إليه مسرعة.. وسألته في لففة:
- هل حصلت على كتابك؟
فابتسم «خالد» ابتسامة يعتريها الحزن:

- نعم ..

ثم نهض، وسار بضع خطوات تجاه البحيرة.. حتى ألقى بنفسه في مائها.. يرتدي بنطاله، ونصفه العلوي عاري بعدهما ألقى بقميصه على شاطئها .. وأخذ يغمر جسده بالماء، حتى سأله «أسيل» مجدداً، وهي تقف أمام البحيرة:

- «خالد».. هل دفعت الكثير من مخزونك؟!!

فصمت «خالد»، وأكمل سيره إلى داخل البحيرة، ثم أكملت:

- «خالد».. أراك شاحباً اليوم، وشحوبك مميز.. إنك أنفقت الكثير من ثروتك .. تجاوزت ثمن الكتاب..

فتوقف «خالد» ثم التفت إليها:

- أيوه .. «هلال» طلب مني مائة وحدة إضافية..

حتى صاح صوت في دهشة:

- مائة وحدة؟!!

فالتفتت «أسيل» فوجدت «يامن» قد جاء.. فأكمل «خالد»
إليها:

- نعم ، مائة وحدة .. لقد طلب مني خمساً وحدة مقابل ثمن الكتاب ، وإلا هيقطع صفحاته ..

ثم سار خارجاً من الماء .. والمياه تساقط من جسده ، وينطاله المبللين ، ثم ارتدى قميصه ، وسأل «يامن» :

- ليه مرحتش عملك ؟
فضحك «يامن» :

- أخبرني أحد أنك جئت بالأمس بعد حلول الليل ، فجئت كي أخذ الحصان ، وأعيده إلى صاحبه ، وأن أرى أثمن كتب زيكولا .. بعدها قد أذهب إلى عملي أو لا أذهب اليوم .. إن تلك اللحظة لا يضيعها عاقل .. ثم سأله :

- أين الكتاب ؟

فصمت «خالد» حتى نطق «أسيل» :
- «خالد» .. مالي أراك حزيناً !

فتحرك «خالد» إلى جوار شجرته ، وأخرج الكتاب من بين أغراضه ثم ألقاه إلى «يامن» .. وتحدث ساخراً :
- ده أغلى كتاب في زيكولا ..

- فالقططه «يامن» فرحاً، وظل يتأمله حتى أكمل «خالد»:
 للأسف كنت مفكّر إني بعمر ملاقيه هقدر أخرج من هنا بعد يوم
 زيوكولا.. بس تقريباً اللي يدخل زيوكولا صعب إنه يسيّها..
 فقاطعته «أسيل» في دهشة:
 - ألم يتحدث الكتاب عن سردادب فوريك؟!!
 فرد «خالد»:
 الكتاب تحدّث عنه، وعن فوريك، وعن مصر.. والغريب إن
 الكتاب بيقول إني ممكن أخرج قبل يوم زيوكولا.. وإنّي مش مضطّر
 انتظر لليوم ده.. وإنّي عشان أرجع لبلدي كان لازم أدخل زيوكولا..
 ثم أخذ نفساً عميقاً، وزفره بقوّة:
 - لكنه ترك لغزاً في نهايته.. لمخرج السردادب..
 «أسيل»:- أي لغز؟
 فنظر «خالد» إلى «يامن» ثم سأله أن يقرأ آخر سطور الكتاب..
 فبدأ «يامن» يقرأ:

"من يأتي إلى تلك الأرض، ويريد أن يعود إلى دياره، وأن يصل إلى سرداد فوريك مجددًا.. لابد أن يدخل زيكولا.. ويكون كالشمس، وينتشر في الصخر.. فيجد باب السرداد الآخر أمام الرأس مباشرة.." بعدها صمت «يامن»، وكأنه لم يفهم شيئاً.. وصمت «أسيل»

مثله.. وصمت «خالد» حتى نطق:

أول مرة أحس إن ضعيف كانت في اللحظات اللي قريت فيها اللغز.. مش عارف إيه اللي حصل لي.. حسيت إنني بعد ما مسكت الأمل بيادي.. راح فجأة.. وكأنه تبخر، وشربت خرًا للأسف.. فقاطعته «أسيل»:

- شربت خرًا؟!

فرد «خالد»:- أيوه للأسف.. أعتقد إن تصرفي ده كان نتيجة الصدمة.. فقاطعته «أسيل» مجددًا:

أو نتيجة لشيء آخر، وهو فقدانك لذكائك.. إنك فقدت وحدات كثيرة من ذكائك في وقت قليل.. لا تنس أن مخزونك كان قد زاد بعد ادخالك لثمن الكتاب.. ثم انفقته فجأة، ومعه ماتي وحدة إضافية لـ«هلال»، وثمن استئجار حصانك.. أي شخص مكانك كان

سيتصرف بغرابة.. كان سيفعل أي شيء بعيداً عن شخصيته الحقيقة..
ولن يلومه أحد.. إنه تصرف لا إرادي.. إنك أصبحت مثلك يا
«خالد»..

فسمت «خالد».. ثم نطق «يامن»:

- وهل لا يوجد حل لهذا اللغز في الكتاب ذاته؟!

فرد «خالد»:

لا.. أنا قرأت الكتاب بسرعة.. وكان بيتكلم عن أهل زيكولا،
وعن حياتكم، واللغز موجود في آخر الكتاب، بس..
ثم أكمل:

- أنا متأكد إنه لغز سهل.. يمكن يكون سهل للغاية.. بس محتاجنا
تفكير..

فنطق «يامن» على الفور في دهشة:

- نفكـر؟؟؟ ثم التفت بوجهه، وكأنه يهرب فظهر الغضب على
وجه «خالد»، وصاح به:

أيوه.. صاحب الكتاب أكيد كان عارف إن زيوكولا مفيش حد فيها بيفكر، أو يستخدم ذكاءه من شدة بخلهم.. بس انتوا لازم تساعدوني.. ثم نظر إلى «أسيل»:

- «أسيل».. لازم تفكّري.. لازم تساعديني.. أنتي غنية.. يعني ذكية، أنتي أذكي متنا بمراحل..

فصمتت «أسيل» دون أن تردد ثم نظر إلى «يامن»:

- وأنت عارف زيوكولا أكثر مني.. لازم تفكّر.. لازم.. ثم صاح إلى الاثنين بعد ما صمتا، ولم ينطقا:

- عارف إن تفكيركم بذكاء هيقلل من ثروتكم.. بس هتحسوا بالفخر لو قدرتوا تحلووا اللغز ده..

فلم يردا مجدداً.. فصمتت «خالد»، وجلس أمام البحيرة، وأعطى ظهره لها حتى نطق «يامن»:

- حسناً.. سافكر يا «خالد»، ولكن على أن أعيد الحصان إلى صاحبه الآن.. وأن نذهب إلى عملنا معًا..

فصاح «خالد»:

- لن أعمل الآن..

فاقتربت «أسيل» من «خالد»:

- «خالد»، لا تتأس.. أعتقد أنك قوي بما يكفي لتجد حلًّا لهذا اللغز..

فرد «خالد» مبتسمًا:

- قوي؟!.. إن اللغز يحتاج إلى ذكي.. إن رجال زيكولا أقوياء، ولكنهم ليسوا أذكياء.. إن اللغز يحتاج إلى من يفكر.. وأنا سافكر..

ثم نظر إلى «يامن» الذي كاد يغادر المكان، وصاح به:

- «يامن».. اجلس.. لن تذهب إلى عملك قبل أن نجد حل هذا اللغز..

فاندهش «يامن» حتى أكمل «خالد»، وقد هدأ من ثورته:

- اجلس يا «يامن».. سأعطيك أجرك عن عملك، ولكن فكر معى..

أريد مساعدتك، ثم نظر إلى «أسيل»:

- «أسيل».. ستجدين معنا الحل.. فابتسمت «أسيل»، وردت:

- حسناً..

ثم جلس كلامها، وتحرك «خالد» أمامها جينة وذهاباً، وبدأ

يتحدث:

أنا فقدت تقريرًا خس مخزوني من الذكاء في الأيام اللي فاتت.. بس
لسه عندي اللي يكفي إني أفكّر.. وأنا هفكّر لأآخر لحظة في حياتي.. ثم
رفع الكتاب بيده، وتحدى إليها:
- اللغز بيقول..

- يكون كالشمس .. وينحت في الصخر.. والباب أمام الرأس..
- يكون كالشمس .. ينحت في الصخر.. الباب أمام الرأس..
ثم نظر إلى «يامن»:

- فيه تماثيل موجودة في زيكولا؟
فرد «يامن»:- لماذا؟!

فأجابه «خالد»:- قد يكون يقصد رأس تماثيل..
فصمت «يامن» قليلاً ثم تحدى:
- لا أعتقد.. حتى أكملت «أسيل»:

لا توجد تماثيل في زيكولا إلا تلك التي ينحتها نحاتو زيكولا
لقراء يوم زيكولا.. حين تلعب لعبة الزيكولا، ثم تحطم جميعاً..
 أصحابهم الذين ينجون من اللعبة من يحطمونها.. إنها نذير شؤم لهم..

- فُصِّمَتْ «خالد»، وَتَحْرَكَ بَعْضُ الْخُطُوطَاتِ جَيْثَةً وَذَهَابًا مَرَةً أُخْرَى،
وَحَدَّثَ نَفْسَهُ:
 - لَا يَوْجِدُ تَمَاثِيلٍ ..
 بَعْدَهَا نَظَرَ إِلَى «أَسِيل» مُجَدِّدًا:
 - كَيْفَ أَنْحَتَ فِي الصَّخْرِ يَا «أَسِيل»؟
 فُصِّمَتْ «أَسِيل» قَلِيلًا ثُمَّ تَحْدَثَتْ:
 - إِنْكَ تَكْسِرُ الصَّخْرَ بِالْفَعْلِ .. فَضَحَّكَ «يَامِنُ»:
 - وَأَنَا أَيْضًا .. حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ «خالد» غَاضِبًا، فُصِّمَتْ ثُمَّ أَكْمَلَ «خالد»
إِلَى «أَسِيل»:
 وَلَكِنْ لَا تَوْجِدُ رُؤُوسٍ هُنَّا فِي الْمَنْطَقَةِ الَّتِي بَكَسَرَ فِيهَا الصَّخْرَ ..
 ثُمَّ صَمْتُوا جَيْعًا مُجَدِّدًا، حَتَّى نَطَقَ «خالد» بَعْدَمَا أَطْلَقَ صَفِيرًا هَادِئًا:
 - وَكَيْفَ أَكُونُ كَالشَّمْسِ؟!!
 فَضَحَّكَ «يَامِنُ»:
 - إِنْكَ مُضِيءٌ مُثْلِهَا يَا «خالد»، وَغَضِيبٌ مُثْلِهَا الشَّدِيد .. فَقَاطَعَهُ
«خالد» غَاضِبًا:

ليتنى تركتك تذهب إلى عملك.. أصمت يا «يامن».. لا أريدك أن
تحدث.. إنك اليوم أغبى مما كنت تخيل..
فصممت «يامن»، وعاد بظهره إلى الخلف نائماً أمام البحيرة..
و«خالد» ما زال يفكّر، ويتحدث إلى نفسه.. و«أسيل» ترقبه في صمت،
حتى نظر إليها:
- «أسيل».. ساعدني..

فابتسمت «أسيل»:
- حسناً يا «خالد».. إنني أفكّر الآن مثلك.. ثم أكملت:
- لا توجد رؤوس، وأنت كسرت الصخور بالفعل.. هل قرأت
الكتاب جيداً؟
فرد «خالد»:
- أعتقد ..

فصممت مجدداً.. وقد بدأ الوقت يمر .. و«خالد» لا يكف عن
الحركة.. و«أسيل» تضع رأسها بين يديها، وتفرك شعرها الناعم وكأنها
تفكر.. و«يامن» نائماً على ظهره، واضعاً إحدى قدميه فوق ركبة رجله

الأخرى.. حتى غربت الشمس، ولم يصلوا إلى شيء.. حتى نطق «خالد» في يأس:

- أرى أنني أصبحت غبياً بالفعل..

فتححدثت «أسيل» مبتسمة:

- سجد الخل يا «خالد».. سجد..

و«يامن» يستمع إليهما.. ومازال نائماً على ظهره، وينظر إلى النجوم

التي تملأ السماء.. حتى تحدث إلى «خالد»:

أنا اعتذر حقاً يا «خالد».. إنني أريد أن أساعدك، ولكنني لا
أستطيع ذلك.. كانت أمي تخبرني دائمًا أن «إياد» صديق عمرى أكثر مني
ذكاءً.. ولكن أين نجد «إياد» الآن؟.. إنه في المنطقة الغربية يكسر
الصخور مثلنا..

فالتفت إليه «خالد»، وسأله في لففة:

- يكسر الصخور؟!!

فرد «يامن» مندهشاً من لففة «خالد»:- نعم..

فأسألهما «خالد»:- هو فيه منطقة صخرية غير المنطقة الشرقية؟

فأجبت «أسيل»:

- نعم.. المنطقة الغريبة أيضاً منطقة صخرية.. نعم، إنك لم تذهب إليها..

فسمت «خالد» كأنه يفكر.. وقد لمعت عيناه، وتحرك تجاهها مسرعاً.. ووضع بعض الأخشاب في النار التي أشعلها «يامن» من قبل كي تزداد إثارتها.. ثم تحدث:

لما كنت في سردارب فوريك.. انقسم السردارب إلى طريقين.. أنا أخذت طريق منهم.. والسردارب أبعدي عن طريق تاني.. طريق المخرج..

بعدها جلس على الأرض أمام «يامن» الذي نهض وجلس، وأسأله «يامن» التي تابعه في ترقب.. ثم أمسك بقطعة خشب صغيرة، وبدأ يرسم على الرمال أمامهما.. فرسم خططاً طويلاً، وتحدث:

- إن كان ده طريق السردارب الرئيسي..

ثم رسم خططاً متفرعاً منه يسير تجاه «يامن» وأسأله.. وأكمل حديثه:

- وأنا أخذت الطريق ده لحد ما جيت في الصحراء خارج زيكولا..

ثم رسم خططاً آخر متفرعاً من الخط الرئيسي أيضاً.. ولكنه معاكسٌ للخط الفرعى الذي رسمه من قبل، وأكمل:

- والطريق ده اللي السرداد أبعدني عنه.. طريق المخرج على حسب
كلام الكتاب..

ثم وقف على قدميه، وتحرك خطوتين للخلف، وابتسم:
- الآن تأكّدت أن زيكولا أخذت من ذكائي الكثير.. ازاي مفكّرتش في

.. ٥٥

ثم أشار إليهما بأن ينظرا إلى الفرع الذي رسمه تجاههما، ونطق:
- هو ده الطريق إلى شرق زيكولا.. أكيد هو..

ثم أشار إلى الخط المتفرع المعاكس له وهذا صوته، وابتسم:
- وهو ده الطريق إلى غرب زيكولا..

ثم أكمل:

- المنطقة الوحيدة التي لم أزرها في زيكولا.. المنطقة الغربية..
ثم نظر إلى السماء حيث النجوم التي بربعت.. ثم نظر إلى «يامن»
و«أسيل»:

- لم يقصد بالشمس أني مضيء يا «يامن»..
- إنه قصد بالشمس.. حركتها..
- من الشرق إلى الغرب..

- إنه أسهل مما تخيلت.. إنه سهل للغاية، ولكن الشخص لم يفقد ذكاءه..
شخص عاوز يفكّر..

فضحك «يامن»، وابتسمت «أسيل».. ثم توقفت عن ابتسامتها،
وتحذّث:

- ولكن يبقى الرأس..
فابتسم «خالد»: سأجدها..

فقطّعه «يامن»:

- وما الذي يؤكد لك أنها حقاً المنطقة الغربية؟
فأجابه «خالد» بلهجته بعدما تنوعت لهجته ما بين لهجته الأصلية
ولهجة زيكولا:

لست متأكّداً.. ولكن لم يعد وقتاً سوي للمجازفة.. إن خشيت
المجازفة سأظل مثل أبي.. هنا طوال عمري.. ثم تابع:
سأذهب إلى هناك.. وأعتقد أنني سأجد ذلك الرأس بسهولة..

لابد وأن يكون بقية اللغز أسهل مما تخيل.. ففضحكت «أسيل»:
- يبدو أن الذكاء في بلدكم مختلف عن الذكاء هنا.. ثم أكملت:
- لو فقد أحد مثلك، خس ذكائه لما نطق..

فابتسم «خالد»: أتمنى أن تكون شركوكى سليمة.. وأن يكون صاحب الكتاب قصد يخليله سهل كده..

فضحك «يامن»، وأمسك بلجام الحصان الذى كان يقف بجوارهم:

حسناً يا ذكي .. ولكن المنطقة الغربية أبعد من المنطقة الشمالية..

هل ستستأجر حصاناً يكُلفك المزيد من ذكائك؟!

ففصمت «خالد» مفكراً.. حتى نطقت «أسيل»:

لا .. إنه استأجر حصاناً إلى المنطقة الشمالية لأنني لم أكن أذهب إلى هناك.. أما المنطقة الغربية فسأذهب إليها بعد عدة أيام لحسن حظك يا «خالد».. هل تنتظر، وتأتي معي؟

فابتسم «خالد»، ورد على الفور:

- أيوه.. هنتظر ..

فابتسمت «أسيل»:

حسناً.. عليك أن تعمل إلى حين نذهب إلى هناك.. عليك أن تحاول إعادة أجزاء ولو قليلة من ثروتك.. فابتسم «خالد» ثم نظرت «أسيل» إلى «يامن»:

وأنت؟.. لا تريدين أن تساعد صديقك هناك؟.. فنظر إليها «يامن» مندهشاً ثم أكملت:
إبني أريد مساعدًا آخر مع «خالد».. ولكنني لن أدفع لك أكثر من أربع وحدات باليوم، وملابس جديدة لك..
فصرحت «يامن» ثم ضحكت:
- مساعد طيبة؟!!.. حسناً لم لا؟! ثم تكلمت إلى نفسه:
مساعد طيبة صباحًا.. وباحث عن رأس مجهولة مع صديق بعد الظهرة.. لا أظن أن هناك ما يمنع ذلك..
بعدها تحذّثت «أسيل» إلى «خالد» بصوت يسمعه «يامن»:
- الآن سأغادر يا «خالد».. وسأقابلكم هنا صباحًا بعد ستة أيام حتى
تتجه معي إلى هناك ثم نظرت إلى «يامن»:
- وأنت، ستأتيك أحد الملابس الجديدة قبلها يوم.. ثم غادرت،
فضحكت «خالد» ونظر إلى «يامن»:
- ستكون مساعدًا المساعد الطيبة..
فرد «يامن» ضاحكًا:
- أظن أنها تريدين أن تكون سائقًا لعربتها..

ثم أمسك بليجام الحصان، وهم ليغادر:

- الآن عليّ أن أتركك.. إنني لم أضع شيئاً في حلقي منذ الصباح.. هل ستأكل أنت الآخر؟

فرد «خالد»:

- لا.. أنا سأناه.. ربما أكل غداً.. ثم تابع:

- إن طعامي الآن يأخذ من ذكائي.. وأنا أحتج كل وحدة حتى أجد ذلك الرأس وذلك المخرج..

فابتسم «يامن»:

حسناً، أراك غداً في العمل.. وسأخبر العمال بأنني أمسكت أثمن كتب زيكولا بيدي.. كتاب ينقذ فقيرين من ذبح يوم زيكولا.. ثم ضحك، وغادر هو الآخر.. وظل «خالد» بمفرده بجوار شجرته على شاطئ البحيرة..

مرت الأيام يوماً تلو الآخر، و«خالد» يعمل مع «يامن».. ويقرأ الكتاب مجدداً أكثر من مرة باليلوم، ويقارن بين ما ذكره الكتاب عن أهل زيكولا وبين ما كتبه هو في أوراقه.. ويحاول أن يسأل الكثيرين من

ذهبوا إلى المنطقة الغربية من قبل، لعل أحدهم يدرك سر ذلك الرأس..
يعلم أن ذهابه إلى هناك مجازفة وقد لا تكون ما يقصده صاحب
الكتاب.. ولكن لم يجد حلًا آخر، وأنها أقرب الحلول إليه..

حتى جاء اليوم السادس، وكان في انتظار «أسيل» وعربتها عند
البحيرة.. حتى وجد «يامن» يقترب من بعيد، وقد ارتدى زياً جديداً..
جلباباً أزرق قصيراً ومزركاً، ويظهر من تحته بنطال فضفاض.. ويسير
متباهاً بزيه، وينفض كل لحظة عن أكمامه .. فضحك «خالد» حين رأه،
ثم سأله «يامن» على الفور:

- ألسْتُ وسيماً في هذا الزي؟

فضحك «خالد»:

- إن ملابسك أجدد كثيراً من ملابسي..

فضحك «يامن»:

إنني أعمل بمقابل.. أما أنت فتعمل مقابل ذهابك إلى مناطق
زيكولا.. بعدها وصلت عربة «أسيل»، وما إن رأى «يامن» السائق
حتى همس إلى «خالد»:

- ييدو أنني لن أعمل سائقاً.. سأعمل مساعدًا حقاً..

فضحك «خالد» حتى ظهرت «أسيل» من نافذة العربية، ونادت بصوتها في ابتسامة:

- هيا..

فحمل «خالد» جميع أغراضه، وكانت لفافة من القماش بها أوراقه وكتابه، وبعض كسرات الخبز القديم.. وركب مع «يامن» العربية بمواجهة «أسيل»، والتي أمرت السائق أن يتحرك نحو المنطقة الغربية..

انطلقت العربية ، وبداخلها «خالد» و«يامن» و«أسيل» .. و«يامن» ينظر عبر النافذة مسروقاً حتى أثار دهشة «أسيل».. ويريد أن يخرج عبر النافذة كي يراه من يعمل معهم بزيه الجديد.. أما «خالد» فظل صامتاً، وينظر عبر النافذة الأخرى.. و«أسيل» ترقبه في صمت ثم قالت:

- هل وجدت شيئاً آخر لذلك اللغز؟

فابتسم «خالد»:

- لا.. كل أملِي إن يكون ظننا صحيحاً.. ويكون فعلًا هناك المخرج..

فصممت ثم ابتسمت، وتحديث:

- تريد أن تغادر زيكولا في أسرع وقت.. لن تنتظر يوم زيكولا حتى..
ثم سأله:

- ماذا ذكر الكتاب عن تاريخ زيكولا؟

فرد «خالد» مبتسمًا، وفضل أن يجيب بلهجتها:

- إن صاحب الكتاب لم يعرف هو الآخر سر زيكولا.. يبدو أنه لا أحد
يعلم سر تلك الأرض.. ولكنه ذكر كيف تحدثت العربية..
فأسأله «أسيل»:- كيف؟!

فقلَّب «خالد» صفحات الكتاب على عجل، وأشار إلى صفحة به:

يقول الكتاب إن هناك من جاءوا من بلدي إلى هنا من قبل، عبر
سرداب فوريك منذ قرون.. وهم من علموا أهل زيكولا اللغة
العربية.. أما بعض المناطق المجاورة فقد عَلَّمها مَنْ جاء من بلدي ولم
يدخل زيكولا..

فضحكت «يامن»، وقاطعه:

- حسناً.. إننا ندين لكم بالكثير..

فابتسم «خالد»، وأكمل:

- ويقول أيضًا.. إنهم من سكنوا المنطقة الشمالية..

فسمت «يامن» ثم أكمل ضاحكاً:

- لا ندين كثيراً..

حتى سأله «أسيل»:

- هل ذكر أين زيكولا من أرضك؟

فرد «خالد»:

لا، لم يذكر ذلك.. لكن الشيء الذي أعلمه أنا وصاحب الكتاب أن الطريق بين أرضي وأرضكم هو سرداد فوريك.. ثم أكمل بعدما قلب بعضاً من صفحات الكتاب:

هو الآخر لم يستطع أن يجد تفسيراً للوجودكم، ووجود تلك الصحراء، والأراضي، وأبار المياه التي توجد بها، وتلك السماء، وتلك الشمس.. فقال إن زيكولا أرض أخرى لا أحد يعلم أين هي.. سوى أنها نهاية سرداد فوريك يبدو أنها ستظل سراً أبدياً لا يعلمه أحد..

بعدها أكمل الثلاثة حديثهم عن ذلك الكتاب.. وببدأ «خالد» يقرأ لها بعضاً من صفحاته، ويندهشان كثيراً حين يقرأ لها «خالد» عن سرداد فوريك، وتصميمه البديع، وكيف يكون مضاء ليلة القدر،

وكيف تمت تهويته، وكأنها لا يصدقان ما يسمعانه، ولكن «خالد» حدّثها بأنه قد رأى ذلك بالفعل حين مرّ منه.. ومر الوقت، والثلاثة يكملون حديثهم.. وينتقلون من حديثهم عن الكتاب وما به إلى «هلال»، ذلك الجشع الذي أخذ مائة وحدة إضافية، و«يامن» يقسم أنه لو فعل معه ذلك لقتله، وضحكا كثيراً حين أخبرهما «خالد» بأنه قد ثمل، ولا يتذكر شيئاً مما تحدث به إلى الناس في تلك اللحظات هناك.. حتى بدأوا يتحدثون عن تلك المنطقة التي يتوجهون إليها، وقد نظر «خالد» إلى «يامن»، وسأله:

أنت قلت لي قبل كده إن المنطقة الغربية بها سوق كبيرة.. بيتم فيها بيع وشراء جميع منتجات زيكولا الزراعية أو الصناعية..
فأجابه «يامن»:

- نعم.. تلك المنطقة يقصدها الكثيرون رغم بعدها عن منطقتنا..
فقطّعته «أسيل»، وأكملت:
- ولكنها أكثر قرباً إلى منطقة الحاكم التي نمر أمامها الآن..

فنظر «خالد» عبر النافذة، فوجد قصور المنطقة الوسطى المتميزة..

قصور منطقة الحاكم.. بينما تسير بالطريق المهد الموازي لها.. حتى
أكمل «يامن»:

وقرية أيضاً من المنطقة الجنوبية.. منطقة الزراعة، وعرفت دائمة
أنها أرض الشراء والبيع في زيكولا.. وأن الأسعار بها أرخص كثيراً من
مثيلاتها في المناطق الأخرى.. فيلنجاً إليها الكثيرون من أهالي زيكولا..

فتححدثت «أسيل»:

- إنها منطقة تجارة زيكولا.. وهم يعيشون بها رغم أنها منطقة يصعب
العيش بها.. ثم أكمل «يامن»:

ومنذ سنوات قريبة أصبحت المنطقة المنافسة لمنطقة صناعة
الطوب من الصخور.. بعدما بدأوا يستغلون طبيعتها الصخرية في
صناعة الطوب مثلك، وبها الكثير من العمال الأقوباء، منهم «إياد»
صديق..

فصمت «خالد».. ثم ضحك ساخراً:

كان في الأول هدفي إني ألاقي الكتاب، ولقيت الكتاب.. دلوقتي
هدف إني ألاقي رأس مجهرة..

ثم عاد بظهره إلى مسند المهد الذي يجلس عليه، وأكمل ساخراً
من نفسه في حزن:
- خايف ألاقي الرأس، يكون عليا إني ألاقي حاجة تانية غيرها..
فابتسمت «أسيل»:

وإن كان.. ستجد كل ما تريده.. أنت القوي.. أنت الذكي.. أنت
تختلف عن غيرك يا «خالد».. أنت من وجدت كتابك، وأنت من
وجدت حل لغزه.. وأنت من ستخرج نفسك من هنا..
فابتسم «يامن»، وظل يترقب «خالد» و«أسيل» حتى ساد
الصمت داخل العربة..

غربت الشمس، وحل الظلام بالسماء.. وعاد «يامن» بظهره إلى
الخلف، وأغمض عينيه، وكأن النعاس قد غلبه.. أما «أسيل» فلم تفارق
عيناه السماء.. حتى صاحت إلى «خالد»:
- أنظر هناك.. ثم أشارت إلى السماء:
- إنه «أسيل»..

فنظر «خالد» مبتسمًا إلى السماء، ونظر إلى ذلك النجم اللامع ثم نظر إلى «أسيل»:

- أنا بتفاعل بيء، وبتفاعل بوجهك يا «أسيل»..
فأحرر وجهها خجلاً كعادتها.. وابتسمت، وطللت تنظر إلى ذلك النجم بالسماء، و«خالد» ينظر إليها، ويبتسم حين يجدها تحرّك رأسها وعينيها مع ذلك النجم مع مرور العربية.. لا تزيد أن يغيب عنها لحظة واحدة.. ثم يضحك حين ينظر إلى «يامن» فيجده قد انزلق بجسمه بين المعددين، وقد تعمق في نومه.. حتى نظر عبر النافذة بعيداً فوجد نيراناً بعيدة، فعلم أنهم قد اقتربوا من تلك المنطقة التي يقصدونها ..

وصلت العربية إلى أطراف المنطقة الغربية فأيقظ «خالد» «يامن» على الفور، ففتح عينيه في ابتسame حين وجد نفسه متزلقاً داخل العربية.. ثم نهض، وعَدَّل من جلوسه وملابسه، ثم تحدث «أسيل»:
- ستجه الآن إلى مكان لنبيت به حتى الصباح.. هنا يوجد مكان خاص لطبيبة الحاكم.. أنا.. ولمساعدتي.. أنها..
فابتسم «يامن»:

- رانع.. خشيت أن أنام على جانبي أحد الشوارع مثلما يفعل صديقنا دائمًا..

فابتسم «خالد»، ثم أكملت «أسيل»:

- سبأبدأ عملنا في الصباح، وبعد الظهيرة لن أحتج إلى مساعدتكما..
فاذهبا لتبحثا عن خرج ذلك السردادب..

بعدها توقفت العربية أمام أحد البيوت، ونزل الثلاثة.. تقدمهم «أسيل»، ويليها «خالد».. ثم «يامن»، والذي حل جميع الحقائب، ومن بينهم أغراض «خالد»، واتجهوا إلى داخل ذلك البيت حيث كان أحد الأشخاص في استقبالهم..

في صباح اليوم التالي، نهض «خالد» مسرعًا، وأيقظ «يامن».. ثم اتجها مع «أسيل» إلى عملها.. ومعهم ذلك الرجل الذي استقبلهم الليلة الماضية.. وأخذوا يتنقلون من بيت إلى بيت، و«أسيل» تفحص كل المرضى.. وإن احتاج أحدهم إلى ضيادة ترك «خالد» ليضمده.. و«يامن» لا يفعل شيئاً سوى أن يحمل الحقائب، ويتباهى بملابسها

الجديدة، وكلما مرت فتاة بجواره يضع الحقائب أرضاً ثم ينفض عن
أكمامه حتى تمر فيحمل الحقائب مجدداً.. و«خالد» يراه ويضحك..
أما «أسيل» فكانت تشيط غضباً، ولكنها تعود لتضحك حين تجد
«خالد» يضحك لذلك.. وظلوا يتقلدون بين شوارع تلك المنطقة..
و«خالد» ينظر إلى بيتهما، والتي بدا على الكثير منها الثراء.. ولكنها
ليست في ثراء قصور المنطقة الوسطى.. يعلم أنها بيوت تجار زيكولا،
ولابد أنهم أثرياء.. تكون أغلبها من طابقين، ومتناز براءة معمارية من
الخارج.. وجدران صخرية سميكة، ونقوش مميزة على واجهتها
ونوافذها، ولديها عتيقة مثل مباني المنطقة الشرقية.. حتى مرّت
الساعات، فأخبرتهما «أسيل» بأنها ستكمّل مداواة النساء، أما هما فعليهما
أن ينصرفا، ويبحثا عن هدفهما..

انصرف «خالد» و«يامن» على الفور، وقد تخلص «يامن» من
ملابس الجديدة، وارتدى زيه القديم الذي أحضره معه.. وسارا معاً في
شوارع المنطقة الغربية.. يبحثان عن أي شيء.. يبحثان عن ذلك الرأس
التي لا يعلمون ماهيته.. حتى وصلوا إلى منطقة شاسعة، وبها الكثير من

أهل زيكولا.. رجالاً ونساء.. فأخبر «يامن» «خالد» بأنها سوق زيكولا الكبير، حتى اقتربا.. فوجد «خالد» بهذا السوق الكثير من المحاصيل الزراعية، والفاكه، والخضروات التي يعرفها، وبعضها لا يعرفه، ولم يره من قبل، ويتزاحم الناس حوله، وتلك المنتجات التي صنعها أهل زيكولا.. ملابس جديدة، جلابيب، قمصان، وفساتين.. مترادفة.. رسمت من ألوانها لوحات رائعة.. والبائعون ينادون بأسعارهم من الوحدات، والصخب يعم المكان، و«خالد» و«يامن» يتحركان بصعوبة بين ذلك الزحام، حتى سأله «خالد»، وقد أعلى صوته كي يسمعه:

- كيف يشتري هؤلاء الناس؟!.. ألا يخافون على ثرواتهم؟
 فأجابه «يامن»، وقد أعلى صوته هو الآخر:

إن الأسعار هنا ليست باهظة كالمناطق الأخرى، كما أخبرتك..
 هنا يشترون تلك المنتجات، ويأخذونها لبيعها في المناطق الأخرى
 بأسعار أكثر غلاء للأثرياء.. فيحققون المزيد من الثروة.. ثم أكمل:
 - وهناك سلع كالسلع الزراعية، لا نستطيع أن نستغني عنها.. وهم
 يعرفون جيداً كيف يربحون من تجارة..

ثم واصل سيرهما بين الزحام، وعين «خالد» تتنقل هنا وهناك..
تبعد عن ذلك الرأس.. ويسأل من يقابلها عن رأس تمثال أو عن
تمثال شهير بتلك المنطقة.. أو أي رأس يعرفونه.. ولكن الجميع أنكروا
وجود تماثيل أو أي رأس بتلك المنطقة.. حتى أصحابها التعب، وجلسا
بجوار أحد البيوت، وشربا من الماء الذي أحضره «يامن» معه.. حتى
تحدث «يامن» مُحمساً «خالد»:

- سجد لها.. أشعر أننا ستجدها يا «خالد».. حتى قطع حديثه
إليه حين صاح بصوته بعيداً إلى أحد الأشخاص:
- «إياد»..

ثم جرى نحوه، واحتضنه كثيراً ثم تحدث إليه قليلاً، وأتى به إلى
«خالد»:

- إنه «خالد» الذي قابلته معي يوم زيكولا.. هل تذكره؟!
فابتسم «إياد»:

- الغريب؟!! .. نعم، إبني أتذكره.. هل أصبحتـها أصدقاء؟
فضحك «يامن»:- نعم..
فـسألـه «إياد» مجدداً:

- وماذا جاء بكم إلى هنا؟!!.. هل تريدان أن تشتريا شيئاً ما؟ ثم نظر إلى «يامن»:

- ولماذا لم تخبرني بمجيئك سابقاً.. أخشى دائمًا مفاجآتك.. فضحك «يامن» حتى سأله «خالد» على الفور:

- «إياد».. تلك المنطقة صخرية؟
فرد «إياد»:- نعم .. إنها أكثر المناطق وعورة في زيكولا.. إن الأرض هنا صلبة للغاية.. ولا تصلح للزراعة..
فقطاعه «خالد»، وسأله:

- هل توجد عائلة في تلك المنطقة.. أبحث عن رأس.. لا أدري أي رأس..

فصرت «إياد» مفكراً:
- لا.. تلك المنطقة أسكن بها منذ زمن.. ولا توجد بها أي رؤوس..
لابد أنكما أخطأتا المكان..

فصرت «خالد»، وبدأ عليه التوتر:
- ولكن الكتاب يقول أنحت في الصخر.. وإن أكون كالشمس ..
وأقرب تفسير للغز هي المنطقة الغربية..

نظر «يامن» إلى «إياد»:

- أرجوك يا «إياد».. أعلم أنك ذكي.. فكر معنا.. تذكر أن «خالد» صديقي، وأريده أن يصل إلى مراده..

فابتسم «إياد»، وشرب من ماء «يامن»، وأكمل إلى «خالد»:
أنا أود ذلك.. ولكنني لا أنهم شيئاً مما قلته من حديثك عن الكتاب.. صدقني لا يوجد لديك دليل مما سمعته الآن.. سوى النحت في الصخر.. نعم، تلك المنطقة أرضها الصخرية شهيرة هنا.. حتى يقال إن طبيعة تلك الأرض الصخرية هي من تحكمت في بناء سور زيكولا.. ولم يكدر يكمل حديثه، حتى فوجئ الثلاثة بـ«أسيل» تأتي إليهم، وتلهث، وكأنها أتت عذراً، ووضعت يدها على صدرها.. تريد أن تلتقط أنفاسها، ونظرت إلى «خالد»، والعرق على وجهها:
- «خالد».. لقد وجدت ذلك الرأس التي تبحث عنه..

(١٥)

دق قلب «خالد»، وانتقض بقوه، وكل من «يامن» و«إياد» هكذا،
وسألهما «خالد» على الفور:
- فين؟!
فجذبه من يده:
- هيأ..

ثم انطلقت، ويدها تمسك بيد «خالد»، وتبعهما «يامن» و«إياد»،
وأسرعوا بين الزحام، واصطدموا بالكثير من الناس.. وكلما سبهم أحد
ابتسموا له وأكملوا عدوهم، و«خالد» يسأل «أسيل» عن الرأس
ولكنها تبتسم وتطلب منه أن يتضرر قليلاً.. ثم يواصلون تحركهم بين
الزحام، وما زالت يد «أسيل» متشابكة مع يد «خالد».. لا ينفصلان
سوى كي يمر أحد الأشخاص بينهما، وما يلبث أن يمر حتى تتشابك
اليدان مرة أخرى.. و«يامن» و«إياد» يسرعان خلفهما، ويزحان بأيديهما
من يقابلهما.. لا يريدان أن يفقد بصرهما «خالد» و«أسيل».. حتى
خرجوا من تلك السوق إلى أحد الشوارع الأقل زحاماً، وأسرعوا إلى

نهايته.. تقودهم «أسيل» ومازالت صامتة لا تزيد أن تتحدث..
و«خالد» يتبعها، وقلبه يدق وأنفاسه تتسرع..

حتى وصلوا إلى الطرف الغربي للمنطقة الغربية، ولم تكن هناك سوى بيوت قليلة أغلبها ليست بفخامة مثيلاتها من البيوت الأخرى بتلك المنطقة، وقد ظهر سور زيكولا، وارتفاعه الذي يصل إلى خمسة طوابق فتوقفت «أسيل» ثم حاولت أن تلتقط أنفاسها مجدداً.. وأشارت أمامها، وقالت، وقد ظهر عليها الإنهاك:

- أنظر هناك..

فنظر «خالد» أمامه، ونظر معه «يامن» و«إياد».. يبحثون عن رأس بذلك المكان فلم يجدوا شيئاً حتى سألهما «خالد»:

- فين؟!

- فابتسمت «أسيل»، ومازالت أنفاسها سريعة:

إنها ليست رأس تمثال كما خُيّل إليك وإلينا.. إنها رأس أخرى تماماً. فاندهش «خالد» ونظر مجدداً، ولكنه لم يفهم ما تقصده «أسيل» حتى نطق:

- «خالد».. أنظر إلى سور زيكولا ذاته

فنظر الثلاثة إلى سور زيكولا الذي كان يبعد عنهم قرابة الشهرين
متراً.. حتى سألهما «خالد»:
- أقصدين ما أفكر به؟!!
فابتسمت «أسيل»:
- نعم.. ثم أكملت:
- أنظر إلى سور زيكولا في تلك المنطقة، وأنظر إلى مساره، وكيف تم
تصميمه.. ثم تابعت، و«خالد» ينظر إلى السور يتأمله:
لم أنم بالأمس، وقرأت كتابك، وبدأت أفكّر بكل كلمة به، وحاولت
أن استخدم ذكاني الكثير كي أجده تلك الرأس.. ولكنني لم أصل إلى
شيء حتى شاء القدر أن أداوي عجوزاً مريضاً بعدما غادرتنياليوم..
وأخبرتني صدفة أن طبيعة تلك المنطقة الصخرية تحكمت في بناء سور
زيكولا، كما أخبروها القدامى.. وهنا بدأت أفكّر من جديد.. فقاطعها
«إياد»

نعم.. إبني كنت سأخبرك بأن أرض المنطقة الغربية على هيئة
مثلث يحيط بها سور زيكولا، لو لا أن قاطعنا الطيبة..
فأكملت «أسيل»

نعم يا «خالد».. إنها المنطقة الوحيدة في زيكولا التي شُيّد بها سور
زيكولا كضلعٍ مثلث.. بينهما زاوية منفرجة..
ثم صمتت، وأكلمت:

أنظر إلى تلك الزاوية يا «خالد» بين ضلعي سور الضخمين.. إن
كنا نراها نحن زاوية من الداخل.. فهي -في التوقيت ذاته- الرأس من
الخارج.. رأس المثلث فصالح «يامن» -بعد أن تركهم، واقترب من
السور الضخم:-
- انظروا..

فاقترب الثلاثة منه فأشار إلى رسامة صغيرة منحوتة بجدار تلك الزاوية،
وأكمل:

- توجد رسامة لشخص ما.. ولكنني لا أعرف من هو فرد «خالد»
في لفحة بعدهما تذَكَّر شيئاً ما:

الرسامة.. أنا شفت الرسامة دي مرة قبل كدة.. الرسامة دي تشبه
رسامة نفس الرجل الغني اللي كانت في السرداد، وكانت عاوز
أصوّرها.. ومن بعدها حصل انهيار السرداد.
فتحَّدَت «يامن» مبتسئماً:

- هذا دليل أن ما قاله «أسيل» صحيح.. فدق قلب «خالد» بقوة،
وتحذّث بصوت هادئ:

نعم أعتقد أن «أسيل» على صواب.. وجود تلك الرسمة هنا يؤكّد
ذلك.. لا بد أن صاحب الكتاب من نقشها، وأدرك أنه لن يعرفها إلا
شخص عبر سرداد فوريك.. شخص سعى بكل مالديه كي يصل إلى
حل لغزه، ويستحق الوصول إليه، ولكنني لم أكن أتخيل أن الرأس يكون
رأس مثلث ضليعيه سور زيكولا ذاته!.

ثم نظر إلى «أسيل»:

أنا بشكرك يا «أسيل» لأنك استخدمت ذكاءك، وقدرتني توصلني
لحل لغز كان صعب إني أحلمه لوحدي.

- فابتسمت «أسيل» ثم سأله:

- «خالد».. لماذا لا أراك سعيداً بوجودنا الرأس الذي نبحث عنه..
فصرّمت «خالد» قليلاً ثم تحدّث:

- إن اللغز يقول إن الباب أمام الرأس مباشرة .. ثم أكمل:
- هذا يعني أن باب السرداد خارج هذا السور

فسمتوا جيئا، وكأنهم لم يفكروا في ذلك.. زالت فرحتهم حتى

نطق «إياد»:

علينا أن نغادر تلك المنطقة الآن.. إن حراس سور زيكولا لا
يمبون أن يتواجد أحد بالقرب من هذا السور.. وهم يمرّون بين الحين
والآخر..

ابعد الأربعة عن سور زيكولا، ووقفوا مجددًا على بعد قرابة
الثمانين متراً منه.. حتى نطق «يامن»:

إن كان باب ذلك السرداد خارج سور زيكولا فلما ذكر
صاحب الكتاب أن من يريد أن يعود إلى بلده فليمر أولاً بزيكولا؟..
فردت «أسيل»:

حين قرأت الكتاب بالأمس، ذكر صاحبه أن سور زيكولا لم يكن
قد اكتمل بناؤه حتى وقت قريب من كتابته لكتابه.. منذ قرنين.. ثم
أشارت إلى سور زيكولا، وأكملت:

ربما كان هذا الجزء هو الجزء الأخير الذي تم بناؤه.. بعدما استغرق الكثير من الوقت، كما حكت لي العجوز عما تعرفه.. ثم نظرت إلى «خالد»:

هذا يعني أن صاحب الكتاب حين ذكر أنه عاد إلى وطنه ثم جاء إلى هنا مجدداً قد وصل إلى ذلك المخرج قبل اكتمال بناء سور.. ثم ذكر أنه لم يغادر بعدها:

ربما كان لحبه لزيكولا كما كتب ذلك.. أو لاكتمال بناء سور فزاد ذلك من اللغز تعقيداً، ولكنه ترك تلك الرسمة دليلاً قوياً لمن يصل إلى هنا.. ثم صمتت فتحديث «خالد»، وقد ظهر اليأس على وجهه ده معناه إني لازم انتظر تاني يوم زيكولا.. وأخرج يوم فتح باب زيكولا، وأقدر أوصل لمخرج السرداد من خارج زيكولا..

فضحك «إياد»:

- هذا مستحيل يا صديق..

فرد «خالد»، وقد تبدّل يأسه إلى توتر:

- لماذا؟

فرد «إياد»:

إن الأرض مهدة داخل زيكولا، وهذا نتاج قرون طويلة من عمل أهلها.. ولكن خارجها، خارج هذا السور.. تختلف الطبيعة عن هنا كثيراً.

إن زيكولا هي غرب عالمنا.. لا توجد بلاد أخرى في هذا الاتجاه الغربي.. أو على جانبيها الشمالي أو الجنوبي.. إن جميع البلدان توجد شرق زيكولا فقط..

لم نسمع يوماً عن أحد من بجانبها على الإطلاق.. ويقولون إن الأرض بجوارها تختلف ما بين الجبال العالية، والكتبان الرملية، والرمال المتحركة.. هذا يعني الهاك لكل من يفكر فيها تفكير فيه..

- لم، ولن يمر أحد بجانبها.. ثم جلس بمكانه، وأكمل:

- لهذا تخشى زيكولا أي هجوم من البلاد الأخرى سوى اتجاه المنطقة الشرقية، والتي يحميها سور زيكولا القوي.. ثم صمت، وتابع مجدداً:

- وجود الرأس خلف هذا السور لا يعني سوى شيء واحد... أنه قد حكم عليك بالبقاء هنا طوال حياتك.. فظهر الغضب والحزن على وجه «خالد»، ونظر إلى «أسيل»:

- أخبرتك أني حين أجد الرأس سأبحث عن شيء جديد.. كنت أعلم
هذا.. إنها دائرة أدور بها.. ليس لها نهاية.. ثم جلس، ووضع رأسه بين

يديه:

- لابد من وجود حل.. لابد.. وضع «يامن» رأسه بين يديه
هو الآخر، وحدث نفسه:
- الباب أمام الرأس..

حتى «أسيل» ظلت تتحرك جيئة وذهاباً، وتحدث نفسها:
- عليك أن تكملِ تفكيرك يا «أسيل».. معرفتك للرأس ذاتها لم تكفي،
إنك من أذكياء زيكولا.. لابد وأن تجدي حلاً..

- أما «إياد» فظل ينظر إلى السور، ويُقلب نظره بين أركانه.. حتى نهض
«خالد»، وأشار إلى السور:

- لابد أن أخرج.. لن أمكث هنا، وأعلم أن عودتِ إلى وطني خلف
هذا السور.. ثم نظر إليهم:

«إن الكتاب يقول: «انحني في الصخر..»

- هذا يعني شيئاً واحداً..

فسألته «أسيل»:- ماذا؟

فأجابها:- أَنْ تَنْحُتْ فِي السُّورِ ذَاهِه.. وَأَعْبُرُ إِلَى السُّرْدَابِ عَنْ طَرِيقِه..
فَضَحِكٌ «يَامِنٌ» و«إِيَادٌ» كثِيرًا.. وَتَحْدَثُ «إِيَادٌ» سَاخِرًا:

- تَنْحُتْ فِي السُّورِ ذَاهِه!!.. تَرِيدُ أَنْ تَجْعَلْ مُخْرِجَكَ مِنْ زِيكُولا..

سُورِ زِيكُولا ذَاهِه..

فَرَدٌ «خَالِدٌ» فِي هَدْوَهُ:

- نَعَم.. هَلْ يَوْجِدُ حَلَ آخِرٌ؟

فَأَجَابَهُ «إِيَادٌ»:- إِنَّهُ لَيْسَ بِالْخَلِيلِ يَا صَدِيق.. إِنْ فَكَرْتَ فِي ذَلِكَ،
فَلَنْ تَنْتَظِرْ يَوْمَ زِيكُولا حَقًّا.. لَانْكَ سَتُقْتَلُ عَلَى الْفُورِ.. أَلَا تَرَى
هُؤُلَاءِ؟!.. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى مَجْمُوعَةِ مِنْ الْجَنُودِ يَسِيرُونَ فِي صَفَيْنِ وَيَرْتَدُونَ
دَرْوِعًا، وَيَحْمِلُونَ سِيُوفًا بِأَيْدِيهِم..

- إِنَّهُمْ حَمَةُ سُورِ زِيكُولا.. لَا يَفَارِقُونَه.. مَهْمُومُهُمْ فَقْطُ أَنْ يَحْمُوا هَذَا
السُّورِ..

ثُمَّ أَخْذَ نَفْسًا عَمِيقًا، وَأَخْرَجَه..

- هُنَا فِي زِيكُولا رَبِّيَ تَقْتُلُ كَيْ تَعِيش.. تَسْرِقُ كَيْ تَأْكُل.. تَفْعَلُ مَا
تَشَاء.. إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا.. فَقَاطَعَهُ «يَامِنٌ»:

- أن تخدش سور زيكولا..

ثم أكمل «إياد»:

- ربما نقش صديقك صاحب كتابك تلك الرسمة وقتلوه.. فتحدث
«أسيل»:

«خالد» إن سور زيكولا أهم رمز هنا.. حتى إن تركك الحراس
تفعل ذلك.. فلن يتركك أهالي تلك المنطقة.. إنهم يؤمنون أن سور
زيكولا من أسرار قوتها، ولن يسمحوا لأحد أن يقترب من قوتهم.. ما
تفكر به محال يا «خالد».. محال.. فصمت «خالد» ثم صاح:

- إيه الخل؟.. هل ستمنعوني إن فعلت ذلك؟

فصمتوا جميعاً.. حتى ابتسمت «أسيل»:

- أنا لن أمنعك يا «خالد»..

ثم ابتسم «يامن»:

وأنا أيضاً بالطبع لن أمنعك.. ولكن هؤلاء الحراس قد وضعوا
خاصيصاً لحماية هذا السور.. ولا تستطيع حتى رشوتهم.. فصمت
«خالد» ثم نظر إلى «أسيل»:
- كم ستبقين في تلك المنطقة؟

فأجابه:- لدى الكثير من العمل هنا.. ويكفيني أن أعمل هنا..
سابقى حيشاً أشاء.. وأنت؟

فأجابها:

- أنا لن أعود إلى المنطقة الشرقية مجدداً.. سأظل هنا حتى أخرج
من زيكولا.. ثم نظر إلى «يامن» فابتسم:
وأنا أستطيع أن أجد عملاً هنا.. ويكفيني أن أظل بجوارك،
وبجوار صديقي إياد.. حتى تحدثت «أسيل» مجدداً:
يجب أن نعود إلى المسكن الآن حتى لا يرتاب هؤلاء الجنود بنا..
وهناك نستطيع التفكير بعد أن نتناول طعامنا..
ونطق «خالد»:- حسناً

عاد «خالد» و«يامن» و«أسيل» إلى المسكن المخصص لهم،
وصاحبهم «إياد».. ثم تناولوا طعامهم الذي أعده مضيفهم، حتى
انتهوا منه فجلسوا ليفكروا من جديد، ونطق «خالد» يائساً:

- وصولي للسرداب من خارج زيكولا مستحيل.. ووصولي له
عبر سور زيكولا مستحيل.. ثم زفر زفرا قوية وصمت.. حتى ابسمت
«أسيل»:
- ستجد الخل يا «خالد».. لن يضيع تعبك هباء.. وابتسم «يامن»:
- نعم يا «خالد».. ستتجده.. لقد قطعت شوطاً كبيراً.. لا بد وأن هناك
حللاً.. ثم نظر إلى «إياد»:
- يا صديقي.. إنني أعلم منذ صغرينا كم أنت بارع في إيجاد الحلول..
فذكر معنا..
فأكمل «خالد» إليه:
- فكر معنا يا «إياد».. إن وجدت الخل سأعطيك من ذكاني ما
استندته في تفكيرك..
فابتسم «إياد»:- حسناً سأفكر.. ولن أتركك حتى أجدى لك حللاً..
ثم صمتوا مجددًا، وكل واحد ينظر إلى الآخر.. لا يجد ما يقوله،
و«أسيل» تنظر إلى «خالد».. تخشى أن تقول إنها لا تجد حللاً حتى لا
يزداد اليأس بقلبه، و«يامن» يضرب برأسه، ويحدثها:

-فكري..

حتى نهض «إياد»:

- على أن أغادر الآن..

فأله «يامن» مندهشاً:

- أين تذهب؟ !

فأجابه:- إن الشمس قد قاربت على الغروب الآن، سأترككم، وسأعود إليكم لاحقاً.. ثم نظر إلى «خالد»:

- أتمنى أن أعود فأجدك قد وصلت إلى بابك..

ثم غادر، وظل الثلاثة كما هم.. يفكرون، والوقت يمر.. و«خالد» يقلب في كتابه مجدداً.. يود أن يجد شيئاً يصل به إلى سر دابه، ولكن دون جدوٍ.. حتى حل الظلام، وأُنيرت المنطقة الغربية وبيوتها بالنيران.. فنظر «خالد» إلى «أسيل»:

- عليك أن تذهب إلى حجرتك الآن.. لا بد أن تناли قسطاً من الراحة.. ثم نظر إلى «يامن»:

- وأنت أيضاً يا «يامن»، خذ قسطاً من الراحة.. لن يفيدنا إجهادنا اليوم.. لقد تعينا بها يكفي.. سنستريح الآن، ونكمّل تفكيرنا غداً..

فأنته «أسيل»:

- وأنت ستثال راحة؟

فابتسم «خالد»:

- لا.. سأظل أفكـر.. لن يغمض لي جفن ورأـي يـفكـر بذلك المـخرج
إنه مصيرـي يا «أسيـل»..

فابتـسمـتـ: - حـسـنـاـ.. وـأـنـاـ سـأـظـلـ أـفـكـرـ مـعـكـ..

فـنظـرـ إـلـيـهاـ: - أـنـاـ لـأـرـيدـ أـزـيدـ مـنـ تـبـكـ الـيـوـمـ.. أـعـلـمـ أـنـكـ
تـرـيـدـيـنـ مـسـاعـدـيـ، وـلـكـ لـدـيـكـ عـمـلـكـ غـذـاـ، لـاـ يـحـبـ أـنـ تـغـفـلـيـهـ.. يـحـبـ
أـنـ تـظـلـ طـبـيـةـ زـيـكـوـلـاـ الـأـولـىـ..

فابتـسمـتـ «أـسيـلـ» وـكـادـتـ تـنـجـهـ إـلـىـ حـجـرـتـهاـ.. حـتـىـ دـخـلـ «ـإـيـادـ» فـأـنـهـ
«ـيـامـنـ» عـلـىـ الـفـورـ:

- هل وـجـدـتـ الـخـلـ؟!

فـسـأـلـمـ أـنـ يـجـلـسـواـ.. ثـمـ نـظـرـ إـلـىـ «ـخـالـدـ»:

- حـينـ خـرـجـتـ مـنـ هـنـاـ، اـتـجـهـتـ إـلـىـ حـيـثـ كـنـاـ.. بـالـقـرـبـ مـنـ سورـ
زيـكـوـلـاـ.. ثـمـ صـمـتـ، وـأـكـملـ:
- لـمـ أـجـدـ لـكـ إـلـاـ ثـلـاثـةـ حلـولـ..

فنظروا إليه متلهفين.. فأكمل:

- الخل الأول: أن تظل في زيكولا طوال حياتك..
- والخل الثاني: أن تنتظر حتى يوم زيكولا وتخرج إلى مصيرك، وتحاول أن تصل إلى باب سرداشك، وهذا يعني هلاشك أيضاً..

فصاح به «يامن» غاضباً:

- هل جئت لتهزأ بنا.. نحن نعرف ذلك..

فابتسم «إياد»:

- انتظر.. هناك حل آخر..

فسأله «خالد» متلهفاً:

- أيه هو؟!

فتحرك «إياد»، وجلس بجواره، وتحدىت بصوت هادئ:

- أن تعود إلى بلدك قريباً.. ثم أكمل بعدما صمت ببرهة: .. ولكن بعد أن تفقد الكثير من ذكائك..

فسأله «خالد»:

- ماذا تعني؟!

فابتسم «إياد» وقال:

- حسناً.. تعالوا معي..

بعدها خرج الأربعة مجدهاً من دار ضيافة الطبيبة ومساعدتها..
يقودهم «إياد».. حتى وصلوا إلى حيث وقفوا منذ ساعات قليلة أمام
سور زيكولا، والذي قد لمع مع انعكاسات إضاءة النيران القرية منه،
وجعلت من ضلعيه وزاويته منظراً بديعاً.. كان لينال إعجاب «خالد»
لولا انشغاله بمصير خروجه.. ثم نظر «يامن» إلى «إياد»، وسأله:
- كيف يخرج «خالد» من زيكولا؟!

فأجابه «إياد»:

- انظروا هناك..

ثم أشار إلى بيت من طابقين يبتعد قليلاً عن بيوت المنطقة الغربية،
ويقترب من سور زيكولا.. لا يفصله عنه سوى مائة من الأمتار ثم
أشار إلى الجنود المتواجددين أمام السور، وسألهم أن ينظروا إليهم أيضاً..
فاندهشت «أسيل»:

- أنا لا أفهم شيئاً..

وتبعها «يامن»:

- وأنا أيضاً..

و«خالد» مازال صامتاً حتى أكمل «أياد»:

حين تركتكم جئت إلى هنا.. ووقفت كما نحن واقفون الآن.. ولم
أضع أمامي سوى أن يخرج «خالد» إلى باب سردا به خارج هذا السور..
مهما كانت التحديات.. حتى أصابني العطش فذهبت إلى ذلك البيت..
ثم أشار إلى البيت مجدداً، وأكمل:

- كي أشتري منه كوبينا من الماء

وهناك فوجئت بأن ذلك البيت لا يسكن به أصحابه الآن..
يعيش به خادمه بمفرده.. أما أصحابه فهم من التجار الذين يبيعون
بضائعهم إلى المدن الأخرى غير زيكولا، وخرجوا يوم زيكولا السابق،
ولن يعودوا إلا يوم فتح باب زيكولا مع يوم زيكولا..

فقطاعه «خالد»:

- أنا لا أفهم شيئاً.. ماذا يعنينا كل هذا؟ !!

- فأجابه:

انتظر.. أنا أعمل في تلك المنطقة منذ سنوات عديدة، وأعلم جيداً
خلفاً يا تلك المنطقة وأرضها.. سأخبركم سرّاً نعلمه - نحن من نعمل
بتكسير الصخور هنا:-

إن العمل هنا في تكسير الصخور ليس بصعبوبة العمل في المنطقة
الشرقية.. إن الصعوبة هنا تكمن في الطبقة الخارجية من الأرض فقط..
أما إن تجاوزت تلك الطبقة يكون الحفر بها، وتكسير صخورها ليس
صعباً على الإطلاق فلمعت عيناً «خالد»:
- تقصد؟!

فأكمل «إياد»:
نعم يا صديقي.. إن هذا البيت أقرب مكان إلى زاوية سور
زيكولا.. وإن كانت زاوية هذا السور، أو رأسه كما تحب أن تسميهها..
هي التقاء ضلعي سور زيكولا.. بالطبع ستكون أضعف نقاط الجزء
العميق منه ثم ابتسם، وأكمل:

وإن كان سيمنفك حاته من الاقتراب منه.. فأنا أعرف من
يستطيعون أن يحفروالك نفقاً ببراعة.. من ذلك البيت إلى أسفل ذلك

السور.. حتى تخرج إلى سر دابك دون أن يشعر حاته أو أهل منطقتنا
 بشيء.. ثم ضحك:-

أعلم أنني هكذا خائن لزيكولا.. ولكنك صديق صديقي الحميم..
 فصاحت «أسيل»:-

- إن هذا جنون..
 وصاح «يامن»:-

- نعم.. إنك مجنون يا «إياد»..
 فأشار إليهم، ورفع كتفيه:-

- هل هناك من حل آخر؟! ثم نظر إلى «حالد»:
 لن تأتيك تلك الفرصة مجدداً.. إن عاد أصحاب هذا البيت فلن
 تستطيع دخوله على الإطلاق.. أما ذلك الخادم حين استدرجته في
 الحديث أخبرني أنه قد يعطي البيت لمن يعطيه ماتي وحدة حتى يوم
 زيكولا حين يعود سيده ومن معه..

صاح «يامن» مجدداً:-
 - ماتي وحدة؟!!

ثم سأله «خالد»، وقد تجاهل صيحة «يامن»:
- ومن يغفرون النفق؟

فابتسم «إياد»:- أعلم ثلاثة من العمال الماهرين.. قابلتهم من قبل،
إنهم بارعون في تلك الأعمال.. إنه عمل يحتاج إلى براعة، وقد يتتجاوز
معهم حفر هذا السرتاب عشرين يوماً.. هذا لأنهم سيعملون نهاراً فقط
حتى لا يسمع ضجيجهم أحد مع ضجيج السوق.. ولكن عليك ألا
تنسى أنهم سيأخذون أجراً إضافياً مقابل صمتهم.. ثم صمت، وأكمل:
- قد يأخذون ثلاثة وحدة..

فقطاعه «خالد»:

أنا ممكن أحفر معهم، وأوفر أجر عامل، وكذلك «يامن»:

فابتسم:
كما أخبرتك.. إن حفر النفق يحتاج إلى براعة نفتقد لها.. وأعتقد
أنهم لن يريدوا مساعدتك لهم.. لن يوّدوا أن يشاركونهم أحد أجراً لهم..
إنهم سيأخذون الثلاثة وحدة.. سواء عملت معهم أو لا، حتى
تحدثت «أسيل»، ونظرت إلى «خالد»..

«خالد» هل جنت؟!!.. ماتي وحدة، وثلاثة وحدة؟!!.. تفقد
خمسة وحدة من ذكائك؟!!
فصمت «خالد»، ولم يجدها.. حتى نطق «إياد»:
- لم أجد إلا ذلك الحل أيتها الطبيبة.. ثم ابتسم:
- يمكنك الآن أن تعرفي كم استنزفت من ذكائي اليوم.. عليك أن
تخبرني به صديقك الذي يعوّضه لي..

فحذثه «خالد» مبتسمًا:
حسناً يا «إياد».. سأعطيك ما تريده كما وعدتك.. ثم نظر إلى «أسيل»
مجددًا، وسألها في هدوء:
- «أسيل».. أريدك أن تخبريني، كم أمتلك من وحدات الذكاء الآن..

صمتت «أسيل» قليلاً بعدما طلب «خالد» منها أن تحدد له نسبة مخزونه من الذكاء، ثم نظرت إليه، وتأملته كثيراً، ثم أمسكت برأسه، وأمسكت ثانية من جلده بين أصبعيها:
 «خالد».. إن مخزونك الآن لا يتعدى ستة وخمسين وحدة.. وقد يكون ستة وعشرين فقط بعد استنزافك الكبير من الوحدات في تفكيرك..

فצתت ثم سألاها مجدداً

- وكم يتبقى لامرأة الحاكم حتى تضع مولودها؟
 فأجابته:

- أعتقد أنه يتبقى شهراً وعشرون يوماً أكثر أو أقل بأيام..
 بعدها نظر إلى «إياد»:

- هل سيستغرق حفر هذا النفق عشرين يوماً فقط؟
 فابتسم «إياد»:- أعتقد ذلك.. وإن شئت أحضرت هؤلاء العمال من الغد..

فচمت «خالد»، وقد طال صمته تلك المرة ثم نظر إليهم:
- أريدكم أن تركوني وحدي الآن..

فابتسمت «أسيل»:

- «خالد».. أريد أن أبقى معك..

فوضع وجهها بين كفيه برقة:

أريد أن أكون وحدي يا «أسيل».. عليك أن تعودي إلى المسكن
مع «يامن» الآن.. أريد أن أأخذ قراراً بمفردي.. ثم نظر إلى «يامن»:
اصطحب «أسيل» إلى المسكن.. وأنا سأتعکما لاحقاً..
ثم نظر إلى «إياد»، وشكراً على تفكيره في إيجاد الحل له.. ثم غادروا
جيعاً..

غادر «إياد» ومع «يامن» و«أسيل» التي ظلت تتلفت وهي تسير
مبعدة عن «خالد»، وتنظر إليه حيث يجلس وكأنها لم تُرِد أن تفارقنه
حتى اختفى عن نظرها.. بينما جلس هو على صخرة عريضة أمام ذلك
السور.. ينظر إليه ويفكر فيها أخبره به «إياد»، ويتحدث إلى نفسه.. إما
البقاء في زيكولا، أو العودة إلى بلده.. وهو غبي.. ويسأل نفسه:

هل يجد ذلك السردار حّقاً إن عبر هذا السور أم أنه سراب
سيظل يطارده.. ثم يتسم، ويتحدث إلى نفسه، وكأنها شخص أمامه
يحدثه ويقنعه:

أنت شايف إن فيه حل تاني؟.. زي ما قلت قبل كدة مبقاش
فاضل غير المجازفة.. ثم ضحك وأكمل مناقشته لذاته:
- قررت أيه يا «خالد»؟.. ترجع بلدك ومعاك ميت وحدة ذكاء بس..
ولاً تبقى هنا طول حياتك؟

- لو وافقت على اللي قاله «إياد» لازم تحس بلذة اللحظات دي.. لأنها
ممكن تكون آخر لحظات ذكاء تعيشها..

ثم عاد بجسده للخلف.. وأسند ذراعيه خلفه، وتذكر جده حين
كان يتسم، ويداعبه صغيراً.. ويخبره بأنه ذكي.. حتى كبر، وعاد إليه
يوماً بعدما لم يجد وظيفة بشهادته.. وأخبره أنه لا فائدة لذكائه في بلده..
ماذا يفعل به، لاشيء؟.. يتسم، ويتحدث إلى نفسه بصوت مسموع :

مش هترق كتير لما أرجع لبلدي.. الذكي مبيختلفش عن الغبي
كتير.. يشعركم اشتاق إلى جده، وإلى رؤيته، ويعلم أنه لم يشغله عن

التفكير فيه سوى سعيه للعودة إليه من جديد.. وينظر إلى السور،
ويحدثه بصوت هامس:

- أنت الحاجز الوحيد بيني وبين اللي بحبهم، ثم نظر إلى البيت الذي
يسكنه الخادم..

- وأنت الحل الوحيد اللي هيخليني أشوف اللي بحبهم.. ثم أمسك
برأسه ومرر شعره بين أصابعه ، وتحدث:

- أصعب قرار بحياتي.. أصعب قرار.. هتقرر أيه يا «خالد»؟ . هتقرر
أيه؟

وظل هكذا لا يتوقف عقله عن التفكير.. حتى اقترب الليل من
الزوال، وبدأ خيط النهار يظهر.. فنهض واتجه إلى المسكن الذي يسكن
به «يامن» و«أسيل».. وما إن وصله حتى دلف إلى غرفة «يامن» فوجده
نانئاً، فهمس إليه:

«يامن».. «يامن» ..

فلم يستيقظ فنكزه بيده حتى فتح عينيه.. وكاد يتحدث فأشار إليه
«خالد» أن يصمت ، وتحدث بصوت منخفض:

«أسيل» في الغرفة المجاورة.. ولا أريدها أن تصحو.. إن كانت
نامت من الأساس..

فنهض «يامن»، وجلس على سريره فاتحًا عينيه بصعوبة.. حتى
أكمل «خالد» بصوته المنخفض:

- أريد أن أتحدث إليك..
«يامن»:- حسناً..

فأكمل «خالد»:- لقد اتخذت قراري..

فنظر إليه «يامن».. يتظره أن يكمل حديثه سريعاً.. حتى أكمل:
- أرى أن «إياد» على حق.. سأعبر سور زيكولا من خلال النفق..

فقطاعه «يامن»:

- «خالد».. وذكاؤك؟

فأجابه:

لقد فكرت كثيراً في ذلك.. لقد أخبرنا إياد أن حفر ذلك النفق
سيستغرق عشرين يوماً.. وسيعطينا ذلك الخادم البيت حتى يوم
زيكولا، حتى يعود أصحابه إن عادوا..

- فقطاعه «يامن»:

نعم سيعودون.. هكذا تجأر زيكلولا، سيطير خبر يوم زيكلولا قبله
بأيام.. فيستعد كل من يريد العودة، حتى يُفتح باب زيكلولا
فيدخلونها..

- فواصل «خالد» حديث:

هذا ما أقصده... يتبقى على يوم زيكلولا شهراً وعشرون يوماً..
سيُحفر ذلك النفق، ولكنني لن أغادره حتى يوم زيكلولا.. إنهم ثمانون
يوماً.. إن عملت هنا مقابل ست وحدات باليوم، سأوفر حتى يوم
زيكلولا ربما ربعمائة وثمانين وحدة.. مع ما تبقى لدى من المائة وحدة..
سيكون لدى ما يقرب من ستمائة وحدة.. أي أنني لن أختلف كثيراً
حين أخرج من النفق.. وستتفعلني كثيراً تلك الوحدات حين أصل إلى
سرداب فوريك.. فابتسم «يامن»: إله قرار حياتك يا صديقي.. ولا
دخل لي به..

ثم أكمل:

إنك ذكي حقاً يا «خالد»، وكم أنا مسرور بذلك.. فأنت ستبقى
معنا شهرين آخرين.. خشيت أن ترحل بعد عشرين يوماً فقط..
فابتسم «خالد»:

هذا إن وضعت زوجة المحاكم ذكرًا.. ربما تطول المدة إن وضعت
أنتى وانتظرنا يوم زيكولا في موعده الأساسي بعد خمسة شهور.. فابتسم
«يامن»:

- الآن أتمنى أن تضع أنتى..

فابتسم «خالد» ثم زالت ابتسامته:

أردت أن أحذنك بعيدًا عن «أسيل» لأنني لا أريد أن أسبب لها
الكثير من التعب.. وأخشى أن يؤثر ذلك على عملها كطبيبة زيكولا
الأولى.. اليوم سأفقد ذكائي.. سأصبح في عداد أغبياء زيكولا
وفقرائهم.. لن أستطيع التفكير.. وإن فكرت ربما ستكون قراراتي غبية
ثم نظر إليه، وأمسك بذراعيه:

- «يامن».. من اليوم أنت من ستتخذ أي قرار يخصني..

فقاله «يامن» مندهشًا:

- أنا؟!!

فأجابه «خالد»:

نعم.. أخشى أن يكون تفكيرى بغاء يسبب الكثير من المتابع ..
ولهذا سأحملك مسؤوليتي بعد اليوم .. سأطريك مهما كان قرارك ..
بالطبع ستكون أذكى مني .. فصمت «يامن»، وفرك شعره ..
- إنها حقاً مسؤولية كبرى ..

فأكمل «خالد»:

ما عليك سوى أن تجعلني أعمل .. حتى أسترجع ذكائي .. فإن
فعلت ذلك فلن أنساه طوال عمري ثم هدا صوته، واقرب منه ..
- أريد أن أخبرك بشيء آخر ..

«يامن» .. إنني أحب «أسيل» .. وأخشى أن أكون غبياً فتبعد
عني .. سأطريك فيما تراه أن أفعله تجاهها أيضاً .. فرد «يامن»:
- أرى أنها تحبك أيضاً، وتحبك كثيراً ..
- فابتسم «خالد»:

أعلم ذلك .. ولهذا فكرت أن آخذها معى إلى أرضي .. لقد فكرت
كثيراً في ذلك .. ولكنني أتردد أن أخبرها بحبي لها، وقررت أن أخبرها
بذلك حين أجده الطريق عهداً لعودتي إلى بلدي .. سأتركك وقتها تخبرنى
ماذا أفعل ..

فابتسم «يامن»:

- أتمنى لكما السعادة يا صديقي..

فابتسم «خالد»:

حسناً لتهض.. علينا أن نذهب إلى «إياد».. وأعتقد أن «أسيل»

قد استيقظت.. لا تخبرها بشيءٍ مما قلناه.. فابتسم «يامن»، وقد نهض:

- حسناً..

استيقظت «أسيل» فوجدت «خالد» و«يامن» في انتظارها،

فسألت «خالد» على الفور:

- هل اخذت قرارك؟

- فابتسم «خالد»:

نعم.. لقد قررت أن أجازف، وأفعل ما أخبرنا به «إياد»..

فصمتت «أسيل» حتى أكمل:

وستانظر حتى يوم زيكولا حيثما كان.. بعد ثمانين يوماً أو بعد

خمسة أشهر.. وسأعمل كي أسترجع جزءاً كبيراً من ذكائي حتى

عودتي.. فسألته، وقد بدا الحزن على وجهها:

- ألم تجد حلاً آخر؟.. فهر «خالد» رأسه نافياً.. فسألته مجدداً:
ولماذا لا تنتظر حتى تعمل أولاً فيزيد مخزونك.. ثم تحفر نفقك
قبلها بأيام، وتحافظ على ذكائك.. كما فعلت حين اشتريت
كتابك؟.. فابتسم «خالد» ابتسامة حزينة:

فكرت في ذلك.. ولكنني أصبحت أعلم جيداً طبيعة أهل
زيكولا، ومدى اتهازهم.. كلما اقتربنا من ذلك اليوم.. سيطلب من
يحفرون النفق الكثير من الأجر.. ربما يطلبون ضعف الثلاثمائة وحدة أو
ضعفين.. ثم نظر إليها، وابتسم:

- سأكون بخير يا «أسيل».. سأكون بخير.. أريدك فقط أن تكوني معي
فابتسمت «أسيل» حتى تحدث «يامن»:
- هيا.. علينا أن نجد «إياد»..

ولم يكدر يكمل جملته حتى وجدوا «إياد» يدخل عليهم فابتسم «يامن»:
- كنا في طريقنا إليك..
فضحك «إياد»:

- أعلم ذلك.. ولذا أردت أن أوفر القليل من الوقت.. ثم نظر إلى
«خالد»

- هل اتخذت قرارك؟

- فرد «خالد»:

- نعم.. وسأترك لك المسؤولية لمتابعة ذلك النفق، وسأعطيك مقابلـاً..
ولكنه ليس كبيرـاً، وليس الآن..

- فابتسم «إياد»:

- لا بأس.. ثم أكمل:

كنت أعلم أنك ستقرر ذلك.. ثم تحرـك خطوات إلى الخارج، وعاد
ومعه فتى ملابسه بالية، ثم أشار إلى «خالد»، وحدث الفتى:
- إنه من يريد أن يستأجر بيت سيدك..

فتحـدت الفتى:

حسـناً، ولكن سـأكرـرها.. إلى يوم زـيكولا فقط.. بل اليـوم السـابق
له حتى يوم يـفتح بـاب زـيكولا.. إن عـاد سـيدي فـلن يـتركـم لـحظـة
واحـدة بـيـته.. وربـما يـقتلـني إن عـلم أـنـي من أـدخلـتـكم بـيـته..
فـأـوـمـأـ «خـالـدـ» إـلـيـه بـرـأسـه موـافـقاـ دون أـنـ يـتـحدـث ثـمـ نـظـرـ إـلـيـه «إـيـادـ»:

- وـمتـي يـأتـي عـمـالـكـ؟

فهمـسـ إـلـيـه «إـيـادـ»:

- سيأتون بعد قليل.. لا تخير الفتى بما ستفعله أسفلاً بيت سيده..
ربما يضيع كل شيء إن علم بذلك.. سيأتون بعد أن يرحل.. بعدها نظر
ـ «خالد» إلى الفتى:
ـ حسناً.. أستأجر منك البيت حتى يوم فتح باب زيكولا مقابل ماتي
وحلدة ..
فابتسم الفتى وأخرج مفتاحاً حديدياً كبيراً:
ـ وهذا مفتاح بيت سيدى..
وما إن أخذته «خالد» حتى شعر بألم شديد برأسه.. فنظرت إليه
ـ «أسيل» في لففة، واقتربت منه، بعد ما أمسك برأسه:
ـ تمسك.. أرجوك تمسك.. أعلم أن اليوم شاق عليك.. فلم يرد،
وظل ممسكاً برأسه، وبدأ شحوب جلده يزداد.. حتى سأله مجدداً:
ـ «خالد».. هل أنت بخير؟
فأجابها «خالد» بصوت منخفض:
ـ نعم..
ولم يترك رأسه حتى مر قليل من الوقت.. وقد خرج «إياد» وعاد
مجددًا، وتحدث إليه:

لقد أتى زعيم العمال الذين سيحفرون ذلك النفق.. ولكن ي يريد
أن يأخذ الثلاثمائة وحدة دفعه واحدة.. هل ستعطيهم أجراً لهم دفعه
واحدة كما طلبوا؟

- فنطقت «أسيل» على الفور:

- لا.. لن يدفع لهم ثلاثة وحدة الآن..

فأمك «خالد» بيدها.. ثم تحدث إلى «إياد»:

- هل يأخذون أجراً لهم دائماً هكذا؟

فرد «إياد»:- نعم.. وهذا ما سيجعلهم يكتمون أمر ذلك النفق..

الذي قد يودي بحياتنا جميعاً..

فنطق «خالد» في صوت هادي:

- حسناً.. سأعطيهم ما يريدون..

فصرخت إليه «أسيل»:

- «خالد».. إن هذا قد يودي بحياتك..

فابتسم إليها «خالد»:- إبني قوي.. سأدفع لهم ما يريدون، سواء
الآن أو بعد ذلك.. ولا أريد أن يخبروا أحداً.. فتحدت «إياد»:

حسناً.. سأدخله إليك الآن، ثم أذهب معهم إلى ذلك البيت
لأنهم سيدأون عملهم من اليوم.. وأنت ستواصل عملك.. وستجد

نفقك كاملاً بعد عشرين يوماً.. وقد أكدوالي ذلك أيضاً.. وبعد أن تغادره -متى تشاء- سأجعلهم يملاؤن جزءه القريب من البيت بالصخور مجدداً.. وأتمنى ألا يثير ريبة صاحبه حين يعود إليه.. حتى إن حدث ذلك فلا يهمنا سوى أن تغادر وحسب.. فحدثه «خالد»:

- حسناً.. أدخله..

فخرج «إياد».. وعاد مجدداً، ومعه رجل ضخم شعره مجعد، وشاريه كثيف، وشفاته غليظتان، وبيده آلة حفر يدوية سُنُّها حديدي مدبب، وتخرج منه عصا خشبية سميكة.. ثم نطق بصوته الغليظ - إننا نريد ثلاثة وحدة الآن.. فتحدث إليه «خالد»:

- لا أريد أن يعلم أحد بذلك أبداً.. فرداً الرجل، وقد تقوست حاجباه: - حسناً، كما تريدين.. إننا نعلم كيف نصون السر جيداً.. فابتسم «خالد»: - حسناً، لك ما تريدين.. فابتسم الرجل، وهو ليغادر قائلاً: - سنبدأ العمل اليوم.. وسترى كم نحن بارعون..

ثم غادر، ومعه «إياد» الذي أخذ المفتاح الحديدي معه.. أما «خالد» فأمسك رأسه من جديد، وتزايدت ضربات قلبه، وتسارعت

أنفاسه، وزاد شحوبه للغاية، وشحبت شفتيه، وأحرّت عيناه، ونهض من مكانه، وسار متّحراً بين أرجاء المكان، ونظر إلى «يامن» و«أسيل» في ذهول، وترنح مجدداً، وأمسك برقبته كأنه يختنق، وقد بربّت عيناه، و«أسيل» تناذيه وقد تساقطت دموعها:

«خالد».. عليك أن تصمد.. لم يفعل أحد من قبل مثلما فعلت.
«خالد».. ستتصمد.. إنك قوي.. أعلم أنك ستتصمد.. ستتصمد..
ثم أمسكه «يامن»:

«خالد».. ستعود إلى بلدك.. ستعود قوياً كما كنت.. سترجع ثروتك..

و«خالد» ما زال يتحرك، وبهذا، ولا يحس بشيء من حوله، وينظر إلى ذراعه التي أصبحت صفراء شاحبة، وإلى كفيه اللتين ارتعشتا قليلاً.. ثم أراد أن يتوجه نحو الباب، وما إن تحرك خطوات نحوه حتى سقط على الأرض، وظل جسده يتفضّل، وقد ضمت «أسيل» رأسه إلى صدرها، ورجلاه تتضھان بقوة، حتى هدأتا رويداً رويداً، وأغمضت عينيه.. فنظرت «أسيل» باكية إلى «يامن»:

كنت أعلم أن ذلك سيصيّبه.. ولكنني لم أعلم أنني لن أستطيع أن أراه هكذا.. وزادت دموعها، ومررت يدها فوق شعره، وأكملت:

إن اليوم سيكون أصعب أيامه في زيكولا.. إن مخزونه الآن لا يزيد عن مائة وحدة.. عليه أن يأخذ قسطاً كبيراً من الراحة اليوم.. فرد «يامن» :

حسناً.. سأتركه ينام حتى الغد، وأنا سأشعر كي أرى عملنا الجديد.. لابد وأن نعمل من الغد.. لقد أصبح هدفي الآن أن يستعيد «خالد» ذكاءه قبل أن يغادر زيكولا.. وسأتابع مع «إياد» أيضاً حفر ذلك الفق.. فابتسمت «أسيل»، ومازالت دموعها على خديها - حسناً.. عليك أن تحمله إلى سريره الآن.. وأنا سأظل بجواره حتى تعود..

غادر «يامن» بيت ضيافة الطبيبة بعد ما حمل «خالد» إلى سريره.. وترك بجواره «أسيل» التي ظلت تنظر إليه، وتحاول أن تهالك نفسها من البكاء مجدداً، وتسكب القليل من الماء البارد على يدها ثم تمررها على وجهه وعلى لحيته الناعمة، ثم على شعره الناعم.. و«خالد» مغلقة عيناه، ويهذى بكلمات غير مفهومة، و«أسيل» تنظر إليه، وتتذكر حين اصطدم حصان عربتها به ورأته لأول مرة.. ثم تتذكر حين قرأت

كلماته التي كتبها عنها، وأنها حورية زيكولا، وتحسج مجدداً وجهه بالماء،
وابتسمت حين تذكّرت حدثه إليها حين رأى نجماً لامعاً فريداً،
وأخبرها بأنه قد سرّاه «أسيل».. تشعر بأنها تراه أمامها كما رأته حين
وقف أمام عمال المنطقة الشرقية كقائدهم، وجعلهم - بكلمات منه -
يتخلّون عن خوفهم، ويتحاّدون ضد آخذه وحدات الحماية.. وبذات
تحدّث إليه بصوت هادئ:

- ستكون على مايرام يا «خالد».. ستكون بخير
ثم نهضت لتحضر المزيد من الماء، فوجدها يهذى، ويعملو صوته:
جدي.. «مني».. «مني».. جدي
فتوقفت قدمها حين سمعته.. ثم أكملت طريقها لتحضر الماء..
حتى عاد «يامن»، وظلّ بجواره ساعات طويلة دون أن يغفو لها
جفن.. حتى مر ذلك اليوم..
في صباح اليوم التالي، فتح «خالد» عينيه فوجد «أسيل» و«يامن»
بجواره فضحك، فسألهم:
- لماذا تجلسون هكذا؟!

فابتسم «يامن»، وابتسمت «أسيل»، وردت:
- لقد أصابنا القلق فحسب..

فصمت «خالد»، ولم يتحدث بعدما نظر إلى ذراعه ثم نظر إلى
«يامن»، وحدّثه بصوت هادئ:

- هل بدأوا العمل؟
فأجابه:

- نعم.. لقد بدأوا بالأمس..

فسأله مجدداً:

- ونحن لماذا لانعمل معهم؟!!

فابتسم «يامن»:

- لدينا عملنا..

فصاح به في غضب:

- ولماذا نجلس هنا؟ !

فابتسمت «أسيل»، ونظرت إلى «يامن»:

- نعم.. لماذا تجلسان؟ .. هيا انهضا إلى عملكما؟

فنظر «خالد» إلى «أسيل» مندهشاً:

- ألم نساعدك؟

فابتسمت:

كنت أتمنى ذلك.. ولكن مرضى تلك المنطقة أغلبهم من النساء..

لقد وجد «يامن» لك عملاً ستتوفر منه ست وحدات باليوم

فركل «يامن» بقدمه:

- حسناً.. هيا بنا إلى العمل..

فضحك «يامن»:

- حسناً يا صديقي.. انتظر حتى أغسل وجهي بالماء.. أراك أصبحت

مشرعاً قليلاً..

اتجه «خالد» مع «يامن» إلى عملهما الجديد في المنطقة الغربية..

و«خالد» يسير واجهاً، وقد بطأت حركته وكلما سار بمكان ما؛ تلفت

حوله كثيراً، وظل يسأل «يامن» الكثير من الأسئلة والتي أجابها له

«يامن» من قبل، و«يامن» يتسم، وبجيشه مجدداً.. حتى وصلا إلى عملهما

الجديد.

- فتحدث إليه «يامن»:

- هنا سنكسر الصخور مثلما كنا نكسرها في المنطقة الشرقية.. أتذكر؟
فرد «خالد»:

- نعم.. أتذكر
فأكمل «يامن»

حسناً.. أعلم أن كفاءتك ستكون أقل.. ولكن ما عليك سوى أن
تقلّدني في عملي.. إنه عمل لا يحتاج إلى ذكاء.. وحين ننتهي من عملنا
ستتال أجراً.. ثم نذهب إلى «إياد» لنرى نفقك يا صديقي..

بدأ «خالد» يعمل مع «يامن».. وكانت كفاءته أقل كما أخبره..
وكلما اشتد بعمله زاد تعبه، وإنهاكه، وأراد أن يستريح.. فيحدثه «يامن»
بأن يعمل مجدداً، ويختتمه:

هيا يا «خالد».. هيا.. إنك بحاجة إلى كل وحدة.. فيعمل مجدداً،
ويحاول أن ينافس «يامن»، ولكنه لا يستطيع.. فيُهدّأ «يامن» من عمله،
ويكسر مثله ببطء.. ثم يوحى إليه بأنه من تفوق في تلك المنافسة.. حتى
انتهيا من عملهما، وأخذَا أجراًهما، واتجها إلى ذلك البيت الذي
استأجره.. فوجدا «إياد» هناك بمفرده، وعمال الحفر قد انصرفوا،
فسألَه:

«خالد» في غضب:

- أين العمال؟

فأجابه «إياد»:

إنهم قد انصرفو.. لن يستطيعوا أن يعملوا مع هدوء الليل.. إنَّ

ضجيج النهار يستر خلفه ضجيج الخفر..

- فصاح به «خالد» غاضبًا:

- إننا نريد أن نسرع..

فأشار «يامن» إلى «إياد» بأنَّ يُهدأ من حديثه.. وأنَّ «خالد» ليس

كتبيعة، ثم أمسك بيده، وتحرك بها إلى إحدى غرف الطابق السفلي

باليت:

انظروا.. لقد تخلصوا اليوم من أرضية تلك الغرفة، ومعها الطبقة

الصخرية الصلبة.. إنها أصعب ما في الأمر.. بعد ذلك أعتقد أنَّ الخفر

سيكون سهلاً.. وسيتهي في موعده بعد عشرين يوماً.. ثم نظر إلى

«خالد»:

اطمئن.. سأجعلهم يعملون ليلاً أيضاً، ولكن مع اقترابهم من

نهاية النفق.. ثم ضحك:

من سيزيل تلك الصخور والرمال التي سيخرجونها من النفق،
غيرهم؟!
- فهذا «خالد»، وهم للمساعدة:
- افعلوا ما تشاوون.. ثم نظر إلى «يامن»:
- «يامن».. أريد أن أعود إلى المسكن..
- فابتسم إليه «يامن» في هدوء:

- حسنا يا «خالد».. سنعمود.. ثم نظر إلى «إياد»:
- «إياد».. إن مصير «خالد» مصيري.. لن أوصيك..
- فضحك «إياد»: - لا أنسى أنني سأنازل أجراً المتابعة هؤلاء العمال..

توالت الأيام يوماً تلو الآخر، و«خالد» يعمل مع «يامن»، ويترك كل ما يريد أن يأخذ قراراً بشأنه إليه ولا يนาشه بشيء.. ما يريد فقط أن يعمل، وينال أجراً.. ثم يتوجه إلى «إياد» ومن معه من عمال، وتأتي إليهم «أسيل» حين تنتهي من عملها، و«خالد» ينظر إلى ما يفعلونه من بعيد.. ولا يتدخل بعملهم مطلقاً.. وقد تعمقوا بالأرض.. مسافة عمودية قد تصل إلى مترين، ووضعوا بها سلماً خشبياً صغيراً.. ومنها

بدأوا يخرون نفّاً أفقياً.. وقد اندهشت «أسيل» حين نزلت تلك الحفرة، ونظرت إلى الفق الأفقي.. وتعجبت من تلك البراءة التي يخرون بها.. وكلما حفروا مسافة معينة دعموها بالأخشاب حتى لا ينهار ما فعلوه.. وتنتظر إلى «خالد» ضاحكة:

لقد بدأ العمل بحق يا «خالد».. ستحقق أملك قريباً.. ثم نظرت إلى «إياد»، وطلبت أن تتحدث إليه بعيداً عن «خالد» ثم سأله:
- هل سيستطيع أن يسير بذلك النفق..
- فضحك «إياد»..

بالطبع لا.. إن ارتفاع النفق ليس كبيراً.. لا يتجاوز متراً.. عليه أن يزحف به.. أو يتحرك على ركبتيه.. إنها ليست مسافة كبيرة.. فصمتت «أسيل» ثم سأله مجدداً:

- حسناً.. وماذا عن تهويته.. أخشى أن يختنق داخله، فابتسم «إياد»:
أرى أنك تخشين عليه كثيراً.. لا أرى أنها مشكلة على الإطلاق..
إن النفق سيكون مفتوحاً من الجانبين.. وهذا بالطبع سيمرر الهواء..
أعلم أن النفق لا يصلح للسير به.. ولكن في الوقت ذاته لن يكون ضيقاً
للغاية حتى يسبب اختناق «خالد».. فردت «أسيل»:
- أتمنى ذلك..

واستمرت الساعات في مرورها.. ومرت الأيام معها.. «خالد» يواصل عمله.. والعمال يحفرون نفقه.. ويسرعون في عملهم دون أن يدرى أحد بما يحدث تحت الأرض الخالية بين سور زيكولا والبيت القريب منه.. يحفرون نهازاً، ويتخلصون من صخور الحفر ليلاً.. و«يامن» يزداد الأمل أمامه، وكلما نزل ذلك النفق، وزحف على ركبتيه أمتاراً به، ومعه شعلة من النار يضحك، ويتحدث إلى «خالد» الذي يتنتظره عند فتحه ذلك النفق.. ويعلو صوته إليه:

انظر يا «خالد».. لم يعد سوى مسافة قليلة إلى سور زيكولا.. انظر يا «خالد».. ستخرج من زيكولا كما تريده.. «خالد» يستمع إليه، ويبتسم، ويتحدث إلى نفسه:
- سأخرج يا «يامن».. سأخرج..

وغر الأيام أكثر وأكثر، و«أسيل» تنهي عملها كل يوم لتذهب إلى ذلك النفق.. فتجد «خالد» و«يامن» هناك فتجلس بجوارهما، ويداعبان «خالد» ولا يتركاه حتى يعود معهما إلى ذلك المسكن.. دار الطبيب.. بعدما رفض أن يسكن بالطابق العلوي بالبيت ذاته.. وقد وافقاه فيما أراد..

حتى جاء اليوم الثامن عشر من بداية الحفر، وكان «خالد» يجلس مع «يامن» بمفردهما، فنظر إليه:
- «يامن».. لقد أخبرتك من قبل أنني أحب «أسيل».. فرد «يامن»
مبتسماً:
- نعم..
فأكمل «خالد»:

لم يعد يتبقى على إتمام ذلك النفق ومروره أسفل سور زيكولا
سوى القليل.. وأنا أود أن أخبر «أسيل» بأنني أحبها.. وأن أطلب منها
أن تأتي معي إلى بلدي..
- فابتسم «يامن»:

- مازال هناك وقت حتى يوم زيكولا..
فصمت «خالد» ثم نظر إليه:
أعتقد أنني تأخرت كثيراً كي أخبرها بذلك.. أرى أن الوقت قد
حان لتعلم كم أحبها..
فقاله «يامن»:

- هل تريد أن تخبرها بذلك الآن؟

فأجابه:

- لا أعلم.. ما أعلمه أنتي لا أمتلك من الذكاء سوى ماتي وحده أو أكثر بقليل.. وأخشى ألا أكون ذكيًا في حديثي معها..

فابتسم «يامن»:

- إنها تعلم من أنت يا «خالد».. وهي تحبك..

فابتسم «خالد» ابتسامة حزينة:

أريدك فقط أن تخبرني ماذا أفعل.. كنت أظن الأمر سهلاً..
ولكنني لا أجده بتلك السهولة.. أخشى أن يكون تواجدها معني
تعاطفاً ليس حبًا فصمت «يامن» قليلاً، ثم ضحك:

- حسناً.. سأخبرك ماذا تفعل، ثم سأله:

- أين أوراقك التي كنت تكتبها؟

فأشار «خالد» إلى أغراضه:

- إنها هناك بين أغراضي..

فأسأله مجدداً:

- أكبت بينها أنك تحب «أسيل»؟
 فأجابه «حالدا»:

١٣

فُسْلَه مِنْسَه:

وهل قرأتها «أسيل»؟

فاجهہ:

- لا.. إنها قرأت الأوراق الأولى فقط.. حين كنت أمدحها.. ولكنها لم تقرأ أني أحبها منذ دخولي إلى زيكولا..

فابتیسم «پامن»:

حسناً سأخذ تلك الأوراق، وسأجعلها تقرأها وستتأكد من حبك لها، ولن تنتظر حتى تذهب إليها.. أراهنك بخمس وحدات من الذكاء.. أنها حين تقرأ تلك الأوراق ستأتي إليك مسرعة وتقول.. أحبك يا «خااااالد»..

- فابتسیم «خالد»:

حسناً، افعل ما تشاء.. أما أنا فأريد أن أذهب إلى «إياد» ومن معه من عمال.. الآن.. ثم أتجول بين شوارع المنطقة قليلاً.. لا أريد أن أنام

الليلة.. أشعر أنها ليلة مختلفة.. لم يعد سوى يومان على انتهاء العشرين يوماً التي أخبرني بها «إياد».. بعدها أخرج.. أما «يامن» فقد حمل أوراقه، واتجه بها إلى غرفة «أسيل»، وطرق بابها برفق.. ففتحته فابتسم، وأظهر إليها أوراق «خالد»، وتحدث:

إنَّ «خالد» قد خرج ولا أعلم أين هو.. وأنا سأخرج الآن.. حين يأتي، أريده أن تخبريه بأنني قد وجدت أوراقه مبعثرة.. ثم أعطتها لها، فابتسمت «أسيل»:

-حسناً سأعطيها لـ«خالد» حين يعود:
ثم أخذتها، وأغلقت بابها على الفور، وأسرعت إلى سريرها،
ويعثرت الأوراق أمامها في سعادة.. تريد أن تقرأ ما كتبه «خالد» عنها..
وزادت من إضاءة غرفتها، وأمسكتهم ورقة ورقة.. وكلما انتهت من
قراءة إحداهم تناولت الأخرى.. وظللت تقرأ ما كتبه «خالد» عنها في
البداية، والذي قرأته من قبل، وأنها حورية زيكولا.. ثم بدأت تقرأ ما
كتبه «خالد» عن زيكولا، وعن أهلها، وعن مناطقها.. حتى قاطع
تركيزها الشديد صوت طرقات شديدة على باب غرفتها، وحين نهضت
وفتحت بابها مجدداً.. فوجشت ببعض الجنود، وقادتهم يتحدثون

- أيتها الطبيبة.. إننا من حراس المحاكم.. لابد أن تأتي معنا على الفور..
- فسألته في دهشة:

ـ لماذا؟

فأجابها:

ـ لا أعلم سيدتي.. لقد أمرني سيد المحاكم أن آتي بك على الفور..
يبدو أن سيدتي ليست على ما يرام..

فهدأت «أسيل»:

ـ حسناً.. سأتي معاك..

ثم أغفلت باب حجرتها مرة أخرى، وبدلت ملابسها، وللمت
أوراق «خالد» سريعاً لتحملها معها.. ولم تدرِّ أن هناك ورقة قد
أسقطتها دون أن تشعر..

خرجت «أسيل» مسرعة مع حراس المحاكم.. وأرادت أن تخبر
«خالد» أو «يامن» بأنها ستذهب إلى المنطقة الوسطى فلم تجد أي منها..
فركت العربية الفخمة التي جاءوها بها، وبدأت العربية في التحرُّك،

وهي تنظر عبر نافذتها لعلها تجد «خالد»، ولكن دون جدوٍ..
فابتسمت، وحدّثت نفسها:

-إن المنطقة الوسطى ليست بعيدة.. سأذهب إلى هناك، وسأعود على الفور..

ثم طلبت من قائد الحراس الذي كان يجلس أمامها في العربية أن يزيد من إضاءة المصباح الناري كي تتمكن من قراءة باقي أوراق «خالد» التي أحضرتها معها حتى تصل إلى قصر الحاكم.. وقد بدأت تقرأ ما كتبه مجدداً بينما تسير العربة، وقد بدا السرور على وجهها.. حتى وصلت إلى آخر ورقة معها، وقد زادت ضربات قلبها حين وجدت «خالد» قد كتب بها أنه قابل فتاة أثناء عمله بتكسير الصخور تشبه «مني» حبيبته، التي أحبها ست سنوات، وكادت دموعها تسقط حين انتهت الورقة، وقد كتب «خالد»: (ما أعلمك جيداً أنتي لم أحب غير «مني» طوال عمري)

وانتهت الأوراق معها، فحاولت أن تنهالك نفسها.. حتى شعر قائد الحراس بذلك بعدها بدا التوتر على وجهها، ولعنت عيناه بالدموع وتسارعت أنفاسها، وكان صدمة أصابتها فسأله:

- أهناك مكرورة، سيدتي؟

فأجابته في حزن:

لا شيء.. ثم نظرت عبر النافذة، ولم تحرّك ساكناً.. في الوقت ذاته عاد «يامن» إلى المسكن مجدداً، وقد وجد الفتاة تخرج من حجرة «أسيل» كانت تقوم بتنظيفها؛ فسألاها:

- أين الطبيبة «أسيل»؟

فأجابته:

- إبني لا أعلم.. لقد خرجت مع جنود الحاكم.. ثم أكملت، وقد أخرجت ورقة صفراء؛

- وقد تساقطت منها تلك الورقة يا سيدتي..

فأمسىك «يامن» بالورقة فوجدها إحدى أوراق «خالد»، والتي كتب بيدياتها: (لم أحب غيرها طوال عمري قبل أن آتي إلى زيكولا.. حتى وجدت «أسيل» التي يزداد شعوري كل يوم بحبها لي.. أما أنا فأشعر تجاهها بحب لمأشعر بمثله من قبل).

فظهرت خيبة الأمل على وجهه ثم سأل الفتاة مجدداً:

- ألا تعلمين لماذا جاءها جنود الحاكم في ذلك التوقيت المفاجئ؟

فأجابه:

- لا أعلم يا سيد..

مر الوقت قليلاً، وقد خرج «خالد» إلى شوارع المنطة الغربية..
يسير في هدوء ليلاً بعدها نزل ذلك النفق الذي أوشك على انتهاءه
وخرج منه.. يتمنى أن ينتهي حفره، وأن تمر الأيام سريعاً، ويستكمل
جزءاً من ذكائه حتى يخرج من زيكولا، وظل يسير، ويفكر هل قرأت
«أسيل» أوراقه.. هل علمت بمدى حبه لها.. حتى فوجئ بالكثير من
الجنود يقتربون منه ويعيظون به، ويمسكونه فسأله على الفور:
- لماذا تمسكون بي؟!.. إنني لم أفعل شيئاً..

- فأجابه قائدتهم في غلطة:

- نعم.. إنك لم تفعل شيئاً.. ثم أكمل:
- لقد وضعت زوجة الحاكم ولدتها الليلة أيها الفقير.. وسيكون يوم
زيكولا بعد سبعة أيام من اليوم..
فصاح «خالد»:

- ماذًا.. لا.. مازال هناك شهراً على وضعها.. فضحك القائد ساخراً
إلى جنوده..

- أرى أنه أفقر من قابلنا.. ثم سأله:
ألا تعلم أن هناك من يولدون بعد سبعة أشهر فقط، ثم أشار إلى
جنوده، وقد استدار بحصانه:
- أمسكوا به، وضعوه مع غيره من فقراء منطقتنا.. حتى يُعرضوا على
أطباء زيكولا..

(١٧)

كان ما حدث من أمر الجنود صدمة بالنسبة لـ «خالد».. وقد وقعت كلمات قائد الجنود على سمعه كالصاعقة التي أنسنه كل شيء من حوله.. وحاول أن يتملّص من الجنود المسكين به ولكنّه لم يستطع، واقتادوه معهم إلى قصر كبير يوجد بالقرب من الطرف الشرقي للمنطقة الغربية.. ثم دخلوه إحدى غرف القصر الخالية بالطابق السفلي.. وأوصدوا بابها الحديدي من خلفه، فأصبحت إضاءتها شاحبة يغلبها الظلام.. فجلس بأحد أركانها، ووضع رأسه بين يديه، وكان صدمته قد شلت تفكيره.. لكنه نهض مجدداً، واتجه نحو الباب الحديدي، وصاح:

- لابد أنكم خطئون.. لابد أنكم خطئون.. لابد أن أغادر.. حتى سكت فجأة حين سمع صوت من خلفه:
- تغادر إلى أين؟!

إلتفت «خالد» فوجد رجلاً يجلس بركن بعيد بالغرفة، ولم تكن ملامحه قد ظهرت حتى اقترب منه فبدأت ملامحه في الظهور شيئاً

فشيئاً، ووجده رجلاً يدو من هيته أنه في الأربعين من عمره.. يتخلل
شعره الأسود القليل من الشيب، كما تخلل حيته وشاربه .. وجسده
عربيض، ولكنه يصغر «خالد» قليلاً فسأله:

- من أنت؟

فرد الرجل في هدوء:

- فقير مثلك..

فصمت «خالد» حتى سأله الرجل:

- لماذا لا تخلس؟!

فأجابه:

- أريد أن أخرج من هنا.. لابد أن أخرج..

فابتسم الرجل وقال:

ليتنا نخرج جيغاً.. اجلس لا تضيع وقتك.. طالما جئت هنا لم يعد
لك أمل سوى أن يكون هناك من هو أكثر فقرًا منك.. ثم تابع بعدما

صمت برهة:

- أو يكون لك حظٌ مع الزيكولا ..

فجلس «خالد» بجواره ثم سأله:

- ما اسمك؟

فرد الرجل:- أنا «جواد» ..

فأكمل «خالد»:- لا يوجد غيرنا؟!

فأجاب جواد:

- انتظر .. مازال أمامهم يوم آخر حتى يأتينا أطباء منطقتنا .. وإلى أن يأتي
الأطباء سيحضرون هنا الكثيرين من الفقراء .. ألم تشاهد تلك الأيام من
قبل؟!

فأجابه «خالد»:

لا .. إنني أشاهدها للمرة الأولى .. إنني لست من أهل زيكولا ..

فصمت «جواد» ثم ابتسם، وأكمل:

- كان لابد أن تحافظ على مخزونك من ذكائك ليوم مثل هذا .. فسأله
«خالد» ساخراً:

- ولماذا لم تحافظ أنت على ذكائك؟!!

فأخرج «جواد» زفيرًا طويلاً ثم نظر إليه:

تستطيع أن تقول إنه القدر.. من كان يراني منذ أيام لم يكن ليظن
لحظة واحدة أن أكون من فقراء زيكولا.. ولكنه الزمان ينقلب رأساً
على عقب دون مقدمات..

- فقاطعه «خالد» في حزن:

لذُكْرِي بِنفسي.. كنت أمتلك كثِيرًا من الذكاء، وقد فقدته أيضًا
فجأة ولكن لسبب قوي.. فقدته من أجل عودتي إلى وطني.. أمّا أنت
فليهاذا فقدت ثروتك؟

فأجابه جواد:

إنها قصة طويلة.. قد تحكيها لمن تعرفهم إن نجوت.. تعلم،
عندى ثلاث وأربعون سنة.. ثم تنهَّد، وأكمل:

مثلي مثل رجال زيكولا.. كنت أعمل من أجل أن أعيش ولا آتي
إلى تلك الغرفة يومًا.. لم أكن غنيًا، ولم أكن فقيرًا أيضًا.. كنت أعمل
يومًا ب يوم، وأقضى حاجاتي التي تكفي لعيشِي سعيدًا دون أن أدخل شيئاً
زائد عن حاجتي.. وطالما كان هناك الأفقر مني فلم يشغل لي الفقر
بالأ.. حتى جاء يوم وأحببت فتاة هنا.. فتاة تسكن بتلك المنطقة،
وأصبح حلمي أن أتزوجها، ثم صمت فسأله «خالد» أن يكمل،
فأكمل:

كنت جريئاً للغاية، فذهبت إليها، وأخبرتها أني أريد أن
أتزوجها.. ولكن أبوها طلب مهراً باهظاً للغاية، فابتسم «خالد»،
وقاطعه:

أعلم البقية.. ظللت تعمل من أجل هذا المهر، حتى أعطيته
لأبيها، فجاء يوم زيكولا.. فأولما «جواد» برأسه موافقاً على ما قاله
«خالد» الذي أكمل قائلاً:

إنها تشبه قصتي.. كلانا سعي من أجل ذلك المهر.. أنت من أجل
حبيتك.. وأنا من أجل عودتي إلى وطني..

فتابع «جواد»:

- إنها تتظرني.. إن خرجمت من هنا ستتزوج.. إنها تحبني للغاية، لقد
أخبرتني أنها تريد أن تنجب أطفالاً يكونوا من أثرياء زيكولا..

- فسأل «خالد» مندهشاً:- هل ستترك أطفالك يعيشون هنا في
زيكولا!!

فأجابه «جواد»:- بالطبع..

فتابع «خالد»:

- كنت أظن بعد وجودك هنا أنك إن نجوت من تلك المحنّة، ستغادر زيكولا بعدها..

فأ قال «جواد» متعجبًا:- إلى أين؟!!.. إن زيكولا وطننا ونحن نحبها.. فنظر إليه «خالد»:- إنكم تُقتلون في وطنكم هذا..

فصرّت «جواد» قليلاً، وطال صمته تلك المرة.. ثم أكمل:- ربما تظن ذلك.. ولكن رغم ما أنا به، فلا أعتقد أنني سأجد أفضل منها وطني.. ولأولادي.. لقد أعطتنا زيكولا الكثير.. أعطتنا القوة والفخر بأننا أبناءها.. فخرٌ يشعر به الغني والفقير.. ثم ابتسם، وكأنه يتذكرة:-

حين يذهب منا المرء يوم فتح باب زيكولا إلى مدينة أخرى فإنه يتبااهي أنه زيكولي، والجميع يقدم له وافر الاحترام.. لا يستطيع أحد مساس شعرة من رأسه.. ثم أكمل:-

أنا فقير اليوم.. وربما يختارني الأطباء بين الأكثر فقرًا، وربما أذبح.. ولكنني سأذبح من أجل سعادة حاكمنا بولده، وكم نحب حاكمنا.. لطالما جعلنا حكامنا أقوىباء.. فمقاطعه «خالد» مندهشًا:-
- لماذا لا أراك قلقًا أو حزيناً؟!.. كيف تُقتل تلك هذا البرود؟

- فأجابه «جود»:

لا أخفي عليك، كنت من يعملون بحرص لا يأتوا هنا يوما..
وسأفرح كثيرا إن نجوت.. ولكتني أرى من العار أن أحزن إن لم أنفع
ثم نهض، وتحرك خطوات مبتعدا عنه فسأله «خالد»:

- لا تريد أن تعود إلى حبيبك؟!

فتوقف «جود»:

لقد عملت ما في وسعي، وهي الآن تعلم كم أحبها، وأعلم أنها
ستفخر بي باقي عمرها، إن كنت أنا الذي بع.. إنها تعلم أنني لم أكن
كسولا يوما..

- فتحدث إليه «خالد» في هدوء:

أتنى أن تعود إليها وتنجبا أطفالاً ينعمون بذلك الحب.. ثم نهض
هو الآخر، وتحرك إلى ركن بعيد بالغرفة، وأكمل بصوت يشوبه الحزن:
- ولكتني لا أريد أن أذبح.. أنا لست منكم.. أريد أن أعود إلى بلدي..
إلى أهلي.. سأشعر بالفخر حين أعود إليهم..

ثم سكت حين فتح باب الغرفة، وزج أحد الجنود بشخص
صاحب اللون إليهم ثم أوصد الباب من خلفه..

كانت شوارع المنطقة الغربية مزدحمة بالكثير من أهاليها حين علموا بوضع زوجة الحاكم مولودها، وحلول يوم زيكولا بعد أيام قليلة.. و«يامن» يتحرك بينهم يبحث عن «خالد» بكل مكان بعدما لم يعد إلى المسكن الخاص بـ«أسيل» منذ خروجه، وظل يسأل من يقابله عن «خالد».. ذلك الشاب الطويل العريض ذو الشعر الأسود الطويل واللحية السمراء الناعمة، ولكن لم يجده أحد.. وببدأ القلق يتسرّب إلى قلبه بعدما وجد جنود المنطقة يتشارون بشوارعها، ويبحثون عن الأكثر فقرًا بينهم.. حتى تيقّنت شكوكه حين أخبره فتى صغير بأنه قد رأى «خالد» والجنود يجرّونه نحو قصر الفقراء.. فتسمرت قدماه دون أن يدرّي ماذا يفعل..

عاد «يامن» إلى المسكن الخاص بـ«أسيل» على الفور.. وسأل خادمة هناك إن كانت «أسيل» قد عادت، فأجابته بأنها لم تعد بعد.. فزاد توثره وضيقه، ولم يشغل باله سوى «خالد» الذي قد يُذبح بعد أيام، ومصيره بيد «أسيل»، وظل يتحرك جيحة وذهابًا لا يستطيع أن يتمالك نفسه.. بعدها أمسك بالورقة التي أسقطتها «أسيل»، وخرج مسرعاً

خارج المسكن إلى أطراف المنطقة الغربية حتى وصل إلى الطريق المهد إلى المنطقة الوسطى، وظل واقفاً على جانبه حتى تمر عربة متوجهة إلى تلك المنطقة.. يعلم أن الوقت قد تأخر، والليل يكسو زيكولا ولكنه لم يفقد أمله في ذلك.. حتى مرت أمامه عربة فطلب من صاحبها أن يصطحبه معه فرفض، وكلما مرت عربة إما أن يرفض سائقها أو يخبره بأنه لن يمر بالمنطقة الوسطى.. حتى جاءت عربة يركبها عجوز قد يتجاوز عمره الثمانين فأوقفه «يامن»:

- أريد أن أذهب معك إلى المنطقة الوسطى..

فأجابه العجوز الذي ضحك وظهرت أسنانه المتائلة:

- إنني لا أصطحب غرباء.. ثم أكمل:

- ما لكم أيها الشباب، لماذا لا تسيرون؟!! .. إنني كنت في مثل عمركم أجوب زيكولا على قدمي..

فأجابه «يامن»: - حسناً.. سأجوبها على قدمي..

فأمر العجوز حصانه أن يواصل حركته، وتم بكلمات وكأنه يسب «يامن»، وتحركت العربية قليلاً، و«يامن» ينظر إليه حانقاً.. حتى ابتعدت العربية عنه فأسرع خلفها، وتشبث بمؤخرتها، وظلت رجلاه

تهرولان كي تجاري سرعة حصان العربية، وكلما حاول أن يستندها على لوح خشبي بمؤخرة العربة تفلتان.. حتى استطاع أن يتثبت جيداً، وظل متثبتاً بها بينما يجلس العجوز بمقدمتها، ويضرب حصانه كي يسرع، وبدأ يغنى بصوته الضعيف المتقطع، وكأنه يريد أن يؤنس وحديه، و«يامن» يستمع إليه، ويريد أن يضحك، ولكنه خشي أن يعلم بوجوده.. فآثار أن يكتم ضحكاته بداخله..

مر الوقت، و«خالد» حبس بغرفة الفقراء، وقد تزايد عددهم، وبين الحين والآخر يُفتح باب الغرفة ليُرِجَّ بفقيير جديد إليهم ثم يوصى بمجدداً.. و«خالد» يجلس بركته صامتاً، وينظر إلى «جواد» الذي كلما حل فقير بالغرفة يذهب إليه ليعرف قصته.. ثم يتحدث إلى نفسه، ويسأله:
- ماذا يفعل «يامن»؟، وماذا تفعل «أسيل»؟، وهل ستنتهي حياته في زيكولا أم أن هناك أملآ قد يغير هذا المصير..

وصلت عربة العجوز إلى المنطقه الوسطى، والتي سادها الهدوء والصمت.. ولم يكن بشوارعها إلا قليل من الجنود وحراس القصور المتواجدين بها والذين تظهر ملامعهم واضحة مع المصايبع النارية التي

تثير شوارع تلك المنطقة.. وما إن أبطأَتِ العربية حتى قفز «يامن»، وترك العجوز يكمل طريقه دون أن يدرِّي بوجوهه.. ثم عدَّل من ملابسه، ونفَض عنها ما أصابها من غبار، وأسرع إلى قصر الحاكم فقابلَه أحد

حراس القصر وسأله على الفور:

- من أنت؟

فأجابه «يامن»، وقد علا صوته وتحدى بثقة:

- أنا مساعد الطبيبة.. ثم صاح به:

- لم تعلم من أنا؟!.. من أنت كي تسألني؟!

فأجابه الجندي:

- اعتذر.. لم أكن أعرفك..

فرفع «يامن» رأسه:

- حسناً.. هيا أدخلني، وإلا أثرت غضبي.. وأنت تعلم أنني بعملي هذا قد أجعلك أفقر شخصاً بزيكولا.. هيا..

فبدأ التوتر على وجه الجندي:

- حسناً سيدتي.. تفضل إنها بحجرتها، ولكن لابد وأنها نائمة.. إن الشروق قد قارب..

فسمت «يامن» ثم أكمل:

- إنني لا أستطيع الانتظار.. أخبر إحدى الوصيفات بأن تخبرها أن مساعدتها يتظرها بالأسفل لأمر هام..

فرد الجندي:

- حسناً.. تفضل إلى أولى حجرات الطابق السفلي، وستأتيك إلى هناك

كانت «أسيل» بحجرتها تجلس، وتقلب أوراق «خالد» من جديد، ويكسو وجهها حزن شديد.. حتى سمعت طرقات على باب حجرتها ثم وجدت إحدى الوصيفات تدلـف إليها، وتخبرها بأن مساعدتها يتـظرها بالأـسفـل، ويريد أن يـخبرـها بأـمـرـ هـامـ، فـنـطـقتـ «أـسـيلـ» عـلـىـ

الفور:

- «خالد» !!

ثم عـالـكتـ نـفـسـهـاـ، وـسـأـلـتـ الـوـصـيـفـةـ:

- ماذا يـريـدـ؟

فـأـجـابـتـهـاـ:

- لا أعلم سـيـدـتيـ.. إـنـهـ يـتـظـرـكـ بـالـأـسـفـلـ..

فصمتت «أسيل» برهة ثم أشارت إلى الوصيفة:

- حسناً.. فغادرت الوصيفة .. وظللت «أسيل» كما هي تفكّر، وتسأل نفسها:

- ماذا جاء بك إلى هنا يا «خالد»؟!!

- أعلمت أن أوراقك جاءت إلى صدفة قريره أن تخبرني أنها ليست أوراقك .. أم ت يريد أن تخبرني أنك حقاً تحب تلك الفتاة، أمّا أنا فلا أمثل لك سوى شخصاً تحب مساعدته.. ثم نظرت إلى مرآة أمامها، وابتسمت:

- ربما كانت ليست أوراقه حقاً..

- ربما كان ي يريد أن يختبر مدى حبي وغيري..
ثم عادت لتسأل نفسها مجدداً:

- وماذا لو كانت تلك هي الحقيقة؟.. ماذا لو كان يحب الفتاة الأخرى؟.. ماذا تفعلين؟..

ثم نظرت نحو باب غرفتها:

- حسناً.. سأنزل لأرى ماذا ت يريد يا «خالد»..

ثم بذلت ملابسها، وغادرت حجرتها، وهبطت السلم إلى الطابق السفلي، واتجهت نحو الغرفة التي أخبروها بأن مساعدتها يتضررها بها..
وما إن دلفت إليها وكادت تتحدث حتى فوجئت بأنه «يامن»:
- «يامن»؟!!

فأجابها: نعم.. أعتذر أنني جنتك في هذا الوقت المتأخر..
 فأكملت: - حسبتك «خالد»..

فصمت ثم أكمل:
- لقد أمسكوا بـ«خالد» من أجل يوم زيكولا..
فردت: - ماذا؟!!

فأكمل «يامن» واجهاً:
- نعم.. لقد أمسك به الجنود عندما كان يتجول بين شوارع المنطقة الغربية..

فصمت «أسيل» حتى أكمل «يامن»:
- إنك تعلمين أنه لا يستحق ذلك.. لابد أن نساعدك.. لابد وأن يخرج.. لابد أن يعود إلى بلده يا «أسيل».. لقد وعدناه بذلك..
 فأجبت «أسيل» في برود:

- مَاذَا نَفْعِل .. أَنْتَ تَعْلَمُ قَوَانِينَ زِيْكُولَا أَكْثَرَ مِنِّي ..

فَصَاحَ بِهَا «يَامِن» :

- نَعَمْ أَعْرِفُهَا .. وَلَكِنْ عَلَيْكِ أَنْ تَفْعِلِي الْمُسْتَحِيلَ كَيْ يَنْجُو مِنْ تِلْكَ
الْمَحْنَةِ .. كَيْفَ أَرَاكِ بِهَذَا الْهَدْوَءِ .. وَأَنْتَ تَعْلَمِينَ كَمْ يُحِبُّكِ؟؟!

فَصَاحَتْ بِهَا «أَسِيل» :

- يَجْبَنِي؟؟! .. ثُمَّ ضَحَّكَتْ سَاخِرَةً :

- تَقْصِدُ أَنَّهُ لَمْ يُحِبْ فِي حَيَاتِهِ سَوْيَ «مِنِّي» .. حَبِيبَةُ عَمْرَهِ .. أَمْ تَرِيدُ أَنْ
تُكَذِّبَ مَا كَتَبَهُ بَيْنَ أُورَاقِهِ ..

فَصَمَتْ «يَامِن» مُفْكَرًا ثُمَّ أَخْرَجَ وَرْقَةً مِنْ مَلَابِسِهِ :

- اقْرَنِي هَذِهِ الْوَرْقَةِ .. إِنَّهَا أَيْضًا كَتَبَهَا، وَلَكِنَّهَا سَقَطَتْ مِنْكِ حِينَ
جَاءَكَ جُنُودُ الْحَاكِمِ .. ثُمَّ أَعْطَاهَا الْوَرْقَةَ، وَأَكْمَلَ وَهُوَ يَتَجَهُ نَحْوَ بَابِ
الْغَرْفَةِ :

لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا يَجْبَنِي هَذَا الْحَبِّ .. لَفَعَلْتَ الْمُسْتَحِيلَ مِنْ
أَجْلِهِ .. ثُمَّ غَادَرَ، وَأَمْسَكَ «أَسِيل» الْوَرْقَةَ، وَقَرَأَتْ مَا بِهَا، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا
تَكَمَّلَةٌ لِحَدِيثِهِ فِي الْوَرْقَةِ السَّابِقَةِ هَذِهِ .. وَأَنَّهُ يَجْهَهَا مِنْذَ أَنْ جَاءَ إِلَيْهِ زِيْكُولَا ..
فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَهَالِكَ نَفْسَهَا، وَتَسَاقِطَتْ دَمْوَعَهَا بِغَزَارَةٍ ثُمَّ أَسْرَعَتْ إِلَى

غرفتها بقصر الحاكم.. تتصعد بخطى سريعة درجات السلالم، ودموعها على وجهها وسط دهشة وصيفات القصر الذي يملأه الفرحة منذ قدوم المولود الجديد.. ثم دلفت إلى حجرتها، ووضعت رأسها على سريرها، وواصلت بكاءها..

أشرقت الشمس، وتبعها نهار بطيء مرت على «خالد» كسلحفاة تسير وانتشرت الأخبار في كافة أرجاء المدينة بأن فقراء زيكولا من الرجال والنساء قد جمعوا بكل مناطقها، وجميعهم يتظرون الأطباء حتى يقللوا عددهم إلى أكثرهم فقراً، ومن بعدهم تقول الطبيبة «أسيل» كلمتها بشأن الفقراء الثلاثة الذين يتنافسون أمام الزيكولا.. و«يامن» لا يستطيع أن يتمالك أعصابه، وينتظر ماذا سيكون قرار أطباء المنطقة الغربية في اليوم التالي.. و«أسيل» تتضرر في قصر الحاكم، وتتوسل إلى الوقت كي يمر سريعاً، والجميع يلاحظون توترها وتغيرها المفاجئ منذ قدوم مساعدها إليها..

في اليوم التالي كان «خالد» ومن معه من فقراء حبيسين بغرفتهم..
حتى فتح بابها فجأة، ودخل إليهم قائد الجنود:
- هيا.. سُتعرَضون الآن على الأطباء..

اصطفَ الجنود صفين، وبينهما مر أمام الغرفة، وبدأ «خالد» ومن
معه يمرون بين هذين الصفين.. حتى وصلوا إلى ردهة واسعة،
واصطفوا بها كما أمرهم قائد الجنود، وقد لاحظ «خالد» بأن هناك نساء
شاحبات سيعرضن معهم على الأطباء.. وعلم أنهن قد حُسِنَ بغرفة
أخرى، وبنظرة منه وجد عدد الفقراء والفقيرات لا يتجاوز العشرين
فرداً.. ثم نظر إلى جانبه فوجد «جواد»، فهمس إليه:
- كم سيختارون منا؟
 فأجابه:
- لا أعلم.. سيختارون أقلنا ثروة..

حتى صاح به أحد الجنود بأن يصمت ثم دخل رجلان، وعلم من
يقفون بأنهما الطيبيان حين وجدوا زيهما الأنيد، وقمصانهما الراقيّة،
ونعاهما الفخمة..

ثم أشارا إليهم بأن يجلسوا، وسأل أحد هما قائد الجنود بأن يأتي
بالفقراء واحدا تلو الآخر..

بدأ القراء يتوجهون إلى الطبيتين واحدا تلو الآخر.. و«خالد»
يراقب من بعيد ما يفعلانه، وينظر إليهما، وهما يفعلان مثلما كانت تفعل
«أسيل» حينما كانت تمسك بشبة من جلده لتخبره كم يمتلك من
وحدات ذكاء.. ويراقبها حين يمسك أحد هما بقلم ويدون شيئا بأوراقه
بعدما ينتهي من فحص أحد القراء، وكأنه يدون ملاحظاته عن ذلك
الغافر.. وقلب «خالد» يدق بقوة، وينظر إلى جلد ذراعيه، ويقارن
شحوبه بشحوب من معه ثم ينظر إلى السماء، ويدعو ربه أن ينجيه من
هذه المحنـة حتى أمره جندي بأن يتقـدم إلى الطبيـتين، وما إن تقدم إليـهما
حتـى سـأله أحـدهـما:

- هل أنت مريض؟

فأجابـه «خـالـدـ»:

- لا ..

ثم أمسك الطبيب بشنيه من جلده، وأمسك الآخر بشنيه أخرى من جلد ذراعه بين أصبعيه.. ثم نظرا إليه يتأملانه، ثم أمراه أن يعود إلى مكانه مجدداً.. فعاد وقد تحرك إليها «جواد» الذي قابله مبتسمًا.. وظل الطبيان يواصلان عملهما، والوجوم على وجوه الكثيرين من الفقراء والفقيرات.. حتى نهض الطبيان مجدداً ، ونظرا إلى أوراقهما، وما دوناه بها من ملاحظات، ثم تحدثا إلى قائد الجنود، والذي بدوره اتجه إلى «خالد» ومن معه من رجال ونساء ثم نظر إليهم:

- لقد أخبرنا الطبيان من منكم الأكثر فقرًا..

- من ينجو اليوم عليه أن يعمل بجد مجدداً كي لا يعود إلى هنا مرة أخرى.. ومن اختياره الأطباء ستصطحبه غداً إلى المنطقة الوسطى حتى يعرض على طبيبة الحاكم بعد غد.. وأتمنى أن يجد من هو أفقر منه هناك ثم نظر إليهم مجدداً، وقد احتبس أنفاس «خالد» حين أشار إلى «جواد»:

- أنت.. ستأتي معي إلى المنطقة الوسطى..

ثم أشار إلى «خالد»:

- وانت أيضًا.. ستأتي إلى المنطقة الوسطى.. أمّا الباقيون فعليكم أن تعودوا إلى بيوتكم، واحتفلوا مع أصدقائكم بمواليد الحاكم..

فسقط «خالد» على ركبته :

- أنا؟!!

فأجابه القائد :

- نعم إنكما الأكثر فقرًا هنا.. هيا انهض.. ما زال أمامك فرصتان كي تنجو..

- فنظر «جود» إلى «خالد»، وقد قل بروده، وبدا متوترًا قليلاً:

- يبدو أن أحدهنا سيكون الذبيح أيها الصديق...

(١٨)

عاد «خالد» إلى غرفة القراء مرة أخرى ومعه «جواد»، وقد أغلقَ
الباب الحديدِي من الخارج.. وظللت أنفاسه متتسارعة، وزاد قلقه
وتتوثره كثيراً، وكلما حاول «جواد» أن يتحدث إليه لم يجده.. ولا توقف
رأسه عن التفكير.. لا يرى أمامه سوى ما رأه يوم زيكولا السابق حين
ذهب الفقير وَنُطِّ احتفالات أهل زيكولا.. أما «أسيل» فهازالت في قصر
الحاكم تمنى أن تجد «يامن» الذي اختفى منذ مجنه إلَيْها في المرة السابقة
.. لا تعلم ماذا حدث بالمنطقة الغربية.. ت يريد أن تعلم هل عاد «خالد»
إلى حريةِه مجدداً أم تجده أمامها يوم تختار الثلاثة الأكثر فقرًا.. تمنى أن
تغادر القصر إلى المنطقة الغربية، ولكنها لا تستطيع أن تترك زوجة
الحاكم في هذا التوقيت.. فلم تجد أمامها سوى أن تنتظر حتى يمر ذلك
اليوم وما يليه، ووقتها سينتضح كل شيء ..

الموسيقى تنتشر في كافة أرجاء زيكولا، والأخبار تتناقل بين هذا
وذاك.. الجميع يتحدثون عن فقراء زيكولا، ويتهامسون بأن أطباءها قد

اختاروا فقيرين بكل منطقة بها.. ويستظرون طبيتهم الأولى حتى تعطي
كلمتها الأخيرة.. يريدون أن يفرحوا.. يريدون أن يُهشّوا حاكمهم بهذا
اليوم.. الجميع في أوج سعادتهم طالما ابتعدوا عن منصة الذبح..
يعملون نهاراً، ويتراقصون ليلاً.. يعلمون أنها أيام وستُمرّ، وسيعودون
مجدداً إلى حياتهم، وأعماهم الشacula.. فأرادوا أن يقتنعوا كل ذرة سعادة
في تلك الأيام.. حتى سور زيكولا قد بدا وكأنه في أيام عرسه بعدما
علقت فوقه رايات عديدة مختلفة الألوان ترفرف بقوة، وتتوسطها نيران
مشتعلة تعلن عن احتفال أهل مديتها، والذين بدأوا يتوجهون إلى المنطقة
الوسطى أتوا متألية ليشاهدوا منافسة زيكولا ومعهم ما يكفيهم
من طعام حتى ذلك اليوم، وحتى يوم زيكولا حين ينتقلون إلى المنطقة
الشرقية حيث أرض الاحتفال ومنصة ذبح الفقير..

أما أهالي المنطقة الغربية فقد تجمعوا أمام القصر الذي حبس به
«خالد» و«جود» حين اصطف أمامه العديد من الجنود إذاناً برحيل
الفقيرين إلى المنطقة الوسطى حيث قصر الحاكم، وقد صاحوا وهلوا
حين رأوا «خالد» وجود مُكبّلين يداً وقدمًا، ويتقدمهم قائد الجنود إلى

عربة تقف أمام القصر .. ثم بدأت العربية في التحرك في طريقها المغادرة تلك المنطقة ..

تسير العربية وتشق طريقها، و«خالد» بداخلها ينظر عبر نافذتها إلى الصحراء الشاسعة على جانب الطريق، وكلما حاول «جواد» أن يتحدث إليه لا يرد مجدداً، ويظل مهدفاً خارج العربية حتى ابتسם «جواد»، وتحدث في هدوء:

- أعلم أنك حزين للغاية، وأعلم أنك تسخط على حاكمنا وولده.. ولكن لا تيأس يا صديق.. ما زال أمامك فرستان كي تنجو بحياتك.. و«خالد» يواصل صمته ولا يرد.. ثم تحدث «جواد» مجدداً:

- أحننا سينجو بالطبع.. وقد ينجو كلانا ثم صمت، وأكمل:

- أريد أن أطلب منك شيئاً.. ثم تابع:

- إن نجوت وكنت أنا من سيدفع، وجاء يوم زيكولا ووقفت بين من يختلفون بذبحي، ورأيت سيدة تبكي وسط من يفرحون، فاذهب إليها وأخبرها أنني لم أحب بعياتي مثلما أحبيتها..

ثم سالت بعض دموعه على وجهه فالتفت إليه «خالد»، ووضع كفه على ركبته، وابتسم إليه:

- ستعود إليها يا «جودا».. وستنجبان أطفالاً تعيش وتتظر بزيكولا.. فابتسم «جودا»، والدموع تلمع على وجهه، وأكمل:

- وأنت؟.. لا تريد أن توصيني بشيء؟..

فصمت «خالد» قليلاً ثم نظر عبر النافذة مجدداً، وعاد لينظر لـ«جودا»:

- إن وجدت شاباً في مثل عمري يدعى «يامن»، ويقف حزيناً فأخبره بأنني لم أجده صديقاً وأخاً مثله، ثم صمت مجدداً، وأكمل:

- وإن رأيت طبيبة زيكولا تنظر كثيراً إلى السماء ليلاً تبحث عن نجم بها.. فأخبرها أنها أفضل حقاً من ذلك النجم ..

فأسأله «جودا» على الفور:

- هل تعرفك طبيبة زيكولا؟

فأجابه «خالد»:

- نعم..

فابتسم، وأكمل:

- هل تحبها؟

فرد «خالد»:

- نعم..

فأله مجدداً:

- وهي؟.. هل تحبك؟

فصمت «خالد» ثم أجابه:

- لا أدرى..

فأكمل «جود»:

- إن كانت تحبك فلن تركك لتكون ذبيح زيكولا..

فصمت «خالد» مرة أخرى ثم عاد هائماً يتأمل الطريق عبر نافذة العربية.. وأكملت العربية سيرها، وقد أمر سائقها حصانه بأن يسرع ولسعه بسوط بيده.. حتى وصلت مع اقتراب غروب الشمس إلى المنطقة الوسطى، والتي أصبحت شوارعها مزدحمة بالكثير من الناس وواصلت العربية تحركها.. حتى توقفت أمام قصر المحاكم..

كانت «أسيل» تجلس بغرفتها حين أخبرتها وصيفتها بأن فقراء مناطق زيكولا قد بدأوا في القدوم.. فدقّ قلبها بقوة، وسألتها على الفور:

- هل وصل فقيراً المنطقة الغربية؟

فأجبت الوصيفه:

- نعم سيدتي..

فسألتها «أسيل» مجددًا:

- هل رأيتها؟

فأجبتها:

- لا.. لم أرها.. إنها قد وصلاً منذ لحظات قليلة، وسيتجهان

نحو بئر القصر..

ثم أكملت:

- أستطيع أن أشاهدهما من تلك الشرفة.. ثم أشارت إلى شرفة الغرفة،

وأكملت:

- وهم يمرون نحو بئر القصر..

فالتفتَتْ «أسيل» إلى الشرفة:

- لا.. عليكِ أن تغادري الآن.. وأخبريني حين يكتملون..
فابتسمتِ الوصيفة:

- حسناً سيدتي.. ثم غادرت ..

أما «أسيل» فأسرعت إلى الشرفة، ووقفت أمامها تنتظر أن يمر
فقراء مناطق زيكولا.. تنتظر وتسارع أنفاسها.. تخشى أن يكون ما
نظمه حقيقة.. وتسأل نفسها مجدداً:

- أين «يامن»؟.. ولماذا لم يأتها ليخبرها بما حدث لـ«خالد»؟!
وكلما مر أحد بالأسفل نظرت إليه في لففة، وتشعر بسعادة حينها تتحقق
أنه ليس «خالد».. حتى انتفض قلبها، وكأنه انتزع منها حين وجدت
أحد الجنود يتقدم، ويأتي من خلفه «خالد» مطأطاً الرأس، ويسير ببطءٍ
ومعه فقير غيره قد كُبلاً مع بعضها، ويصبح بها الجندي:
- أسر عاً أيها الفقيران..

فأمست برأسها، وعادت خطوات إلى الخلف، ووضعت يدها
على فمهما من الصدمة.. ثم نهضت وتحركت نحو الشرفة مجدداً، وظللت
تنظر إلى «خالد» وهو يتحرك بصعوبة خلف الجندي إلى بهوالقصر..
تسارعت أنفاسها، ولعنت عيناها بالدموع، وتحدّثت إلى نفسها:

- مَاذَا أَفْعِلُ؟ .. مَاذَا لو كَانَ «خَالِد» أَكْثَرُهُمْ فَقَرًا؟! .. مَاذَا؟..

تَنْظَرُ إِلَى وَرِيقَاتِهِ الْمُبَعْثَرَةِ فِي غُرْفَتِهِ، وَتَقْرَأُ كُلُّهُا تَه.. أَنَّهُ لَمْ يُحِبْ غَيْرَهَا ثُمَّ حَدَّثَتْ نَفْسَهَا بِصُوتٍ مُسْمُوعٍ:

- إِنْ مَصِيرَهُ يَبْدِي الْآنَ..

وَتَسْتَهِنُ جَيْئَةً وَذَهَابًا بِالْغُرْفَةِ، وَتَسْأَلُ نَفْسَهَا حِينَ تَقْفَ أَمَامَ الْمَرْأَةِ:

- مَاذَا أَفْعِلُ؟

ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى الْأُورَاقِ مُجَدِّدًا، وَكَأْنَهَا تَحْدَثُهَا:

- «خَالِد» مَاذَا لو كُنْتَ الْأَفْقَرُ بِهِمْ؟ مَاذَا تَرِيدُنِي أَنْ أَقْرِرَ يَا «خَالِد»؟

وَتَعُودُ إِلَى حَرْكَتِهِ جَيْئَةً وَذَهَابًا، وَتَمْسِكُ بِرَأسِهِ، وَتَعْرِرُ يَدَهَا فَوقَ شَعْرِهِ ثُمَّ تَنْظَرُ عَبْرِ الشَّرْفَةِ، وَتَرَى الْفَقَرَاءِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ يَتَجَهُونَ نَحْوَ بَيْهُو الْقَصْرِ.. حَتَّى سَمِعَتْ طَرْقَاتِ عَلَى بَابِ غُرْفَتِهِ، وَدَلَفَتْ إِلَيْهَا وَصِيفَتِهَا:

- سَيِّدِي لَقَدْ اكْتَمَلَ عَدْدُ الْفَقَرَاءِ بِبَيْهُو الْقَصْرِ، وَالْجَمِيعُ فِي انتِظَارِكِ..

فَزَادَ اِنْتِفَاضُ قَلْبِهِ ثُمَّ حَدَّثَهَا:

- حَسَنًا.. سَأَتِي عَلَى الْفَورِ..

فأغلقت الوصيفة بباب الغرفة مجدداً، وجلست «أسيل» على سريرها، ووضعت رأسها بين يديها وكأنها لا تدري ماذا تقرر.. ثم نهضت مجدداً، واتجهت مرة أخرى نحو الشرفة، ولكنها لم تنظر إلى أسفل.. بل نظرت إلى السماء التي امتلأت بشفق الغروب، وبدأت تتحدث والدموع على وجهها:

- رأيت «خالد» كثيراً ينظر إلى السماء كلما وقع في محنة، وسمعته يقول..
يارب ساعدني..

- أنا أنظر مثلما كان يفعل الآن.. وأقول مثله.. يارب.. يارب ساعدني.. أريدك أن تساعدني.. ثم أغمضت عينيها، وزادت دموعها.. وأكملت:

- ساعدني.. لا أريد أن أفقد «خالد» ثم تابعت:
- ولا أريد أن أظلم أحداً.. لا أريد أن أظلم أحداً..

كان الصمت يسود بهو قصر الحكم، وكأنه لا يوجد أحد به.. الجميع صامتون، كُلُّ يفكر بمصيره ويتضرر أن تأتي الطبيبة.. عشرة من القراء.. سبعة رجال، وثلاث فتيات.. يتظرون أن يمر الوقت سريعاً.. أي منهم سينجو، وأي منهم ستختاره الطبيبة لمنافسة

الزيكولا، و«حالد» يقف وينظر إليهم في صمت.. ثم ينظر إلى أعلى وكأنه ينادي ربه.. حتى كسر ذلك الصمت حين دلفت «أسيل» بفستانها الفضفاض إلى بهو القصر، ومعها قائد حرس الحاكم الذي قد أتاهما ليلة وضعَت زوجة الحاكم، وقد تحدث بصوت غليظ:

- ستحتار سيدتي الآن الثلاثة الأكثر فقرًا..

فقدمَت «أسيل» في صمت، ومرت أمامهم، و«حالد» ينظر إليها، وقد تعمدت ألا تنظر إليه حتى أنها أرادت أن تلمحه بطرف عينها، ولكنها أبعدت نظرها على الفور.. ثم همسَت إلى قائد الحراس أن يقدم إليها فقيرًا تلو الآخر..

بدأت «أسيل» تفحص كل من يتقدم إليها وتأمله، وتضع ثانية من جلده بين إصبعيها، ثم تسأله إن كان قد مرض من قبل، وإن أجابها بأنَّه قد مرض تسأله المزيد من الأسئلة عن ذلك المرض، وتزيد من فحصها لأكثر من مكان بجسده حتى تعلم إن كان قد مرض حقًا أم أنه يفتعل ذلك كي ينجو.. حتى تقدم إليها «جواد»، وبدأت تفحصه، وقد نظرت إلى «حالد» بطرف عينها فابتسم «جواد»، وتحدث:

- إنه يحبك أيضاً..

فنظرت إليه، ولم تتحدث، ثم أمرت أن يأتي مَنْ بعده.. فوجدت «خالد» يتقدم إليها فدق قلبها بقوة، ولامست وجهه ويدها ترتعش قليلاً.. و«خالد» ينظر إلى عينيها دون أن ينطق بيّن شفه.. وتحدث نفسها.. ماذا أفعل يا «خالد» إن كنت الأفقر.. ماذا أفعل؟.. ثم نظرت إلى قائد الحرس أن يأتي بمن بعد «خالد»، والذي فوجئ، بعدهما استغرق فحص «خالد» وقتاً أقل كثيراً من فحصوا قبله، ولكنه طلب من فقير آخر أن يتقدم إلى الطبيبة، وظلت «أسيل» تفحص جميع الفقراء المتواجدين بالبهو حتى انتهت.. ثم عادت لتجلس على أحد الكراسي الفخمة المتواجدة، وأمسكت بقلم وبعض الورقفات، وبدأت تدون بعض كلماتها.. والجميع ينظرون إليها في صمت.. لا يُسمع فقط سوى صوت الأنفاس المتسارعة من بعضهم.. حتى نهضت مجدداً، وتحركت نحوهم.. ثم تحركت أمامهم جيئة وذهاباً ونظرت إلى فتاة:

- أنت.. اخرجي إلى أهلك..

فصرخت الفتاة من الفرحة ثم نظرت «أسيل» إلى فقير آخر:

- وأنت.. عُد إلى أهلك..

فصاح فرحاً.. وواصلت «أسيل» تحركها بينهم، وكلما تحرّكت
تشير إلى أحدهم بأن يعود إلى أهله.. حتى توقفت مكانها بعدما لم يتبق
سوى أربعة فقراء فقط.. بينهم «خالد» و«جوداً»، واحتبس الأنفاس
مجدداً، والجميع يتظرون من هو الأخير الذي سيعود إلى أهله..
«أسيل» تقف أمامهم، و«خالد» ينظر إليها في ترقب، و«جوداً»
ينظر إلى «خالد» وكأنه يوقن بأنه من ستختاره «أسيل»، ويقف
بجوارهما فقيران يزداد الوجوم على وجهيهما.. حتى نظرت إليهم
«أسيل»، وأشارت إلى جوداً:
- أنت عُد إلى أهلك..

ثم نظرت إلى «خالد» والفقيرين الآخرين:
- أنتم الأكثر فقراً بينهم.. الزيكولا ستحدد من منكم ذبيح يومنا..
فسقط «خالد» على ركبتيه، ونظر إلى «أسيل»، وكأنه لا يصدق ما
سمعته أذناه.. وصاح بصوته:
- «أسيل» ..

فغادرت «أسيل» على الفور، واتجهت إلى غرفتها، وما إن دلفت
إليها حتى واصلت بكاءها مجدداً، وتحدىت إلى نفسها بصوت عالٍ:

- لم أجد أمامي سوى مافعلته.. لا أستطيع أن أظلم أحداً.. لا
أستطيع..

ثم أغمضت عينيها، وتحذّث:

- ستجو من الزيكولا يا «خالد».. ستجييك الزيكولا.. إنك لا
 تستحق أن تذبح في مدینتنا.. ستجو.. ستجو..

أما «خالد» فقد أمره قائد الحرس بأن يتبعه هو ومن معه إلى قصر
مجاور لقصر الحاكم، وسمع «جود» الذي مازال يقف بجواره يهمس
إليه:

- سذهبون إلى قصر النحّاتين الآن..

فنظر إليه «خالد» دون أن يرد، ثم تابع «جود»:

- إن كانت الطبيبة تحبك لأبعدتك عن ذلك المصير..
فصاح به قائد الحرس:

- هيا.. أنت.. عليك أن تغادر القصر..

فتحذّث «خالد» إليه:

- عُد إلى حبيبك يا «جود».. وإن مِنْ فابحث عن «يامن»، وأخبره
كما قلت لك..

فابتسم «جواد» ثم تركه وغادر، وتحرك «خالد» مُكبل اليدين والقدمين خلف قائد الحرس الذي طالبه بأن يسرع.. حتى غادروا قصر الحاكم، واتجهوا إلى قصر مجاور وسط تجمع كبير من أهالي زيكولا الذين وقفوا أمام القصر ليروا من الذين سيخوضون تلك المنافسة رغم حلول الليل، وما إن رأوا «خالد» والفقيرين الآخرين مكبّلين ويتوجهون نحو قصر النحاتين حتى صاحوا، وصاحت أحدهم بصوت عزيز:

- إنه الغريب الذي كان يعمل معنا بقطع الصخور..
وصاحت أخرى:

- لقد رأيته من قبل يبحث عن مالك لكتاب غريب..

والجنود يحاولون أن يبعدوا الناس عنهم حتى وصلوا إلى قصر مجاور، ودلفوا إليه، وعلم «خالد» منذ دخوله إلى ذلك المكان بأنه قلعة النحاتين.. حيث يصنع تمثال من الصلصال لكل فقير منهم..

كان قصر النحاتين ذا واجهة فخمة، ونقوش خارجية على هيئة تماثيل لأشخاص وحيوانات تظهر خلف التيران المضيئة، والتي توهجت بقوة مع ظلام الليل مما أعطته جمالاً خاصاً كان لينال إعجاب

«خالد» إن لم يكن بتلك المحنـة.. أما داخـله فقد أتـير بمصـايـح نـاريـة عـديـدة، وـكـأنـ النـهـارـ قدـ حلـ بـهـ، وـلـكـنهـ لمـ يـكـنـ يـمـتـلـكـ ذـلـكـ الجـهـالـ بالـخـارـجـ، وـلـمـ تـكـنـ بـهـ سـوـىـ بـضـعـةـ تـمـاثـيلـ قـدـيمـةـ يـيـدـوـ أـنـهـأـنـجـتـ لـفـقـرـاءـ منـ قـبـلـ.. وـكـتـلـ طـيـبـيـةـ بـأـرـكـانـ صـالـاتـ الـكـبـرـيـ، وـرـائـحةـ الـصـلـصـالـ تـفـوحـ بـأـرـجـائـهـ.. حـتـىـ توـقـفـواـ جـيـعـاـ حـيـنـ نـادـاهـمـ شـخـصـ قـصـيرـ القـامـةـ مـمـتـلـيـ الـبـطـنـ، وـرـأـسـهـ صـلـعـاءـ، وـلـحـيـتـهـ طـوـيـلـةـ جـعـلـ مـنـهـاـ ضـفـيرـاتـ صـغـيرـةـ

متـعدـدةـ :

- عـلـيـكـمـ أـنـ تـكـثـواـهـنـاـ.. ثـمـ أـكـمـلـ:

- سـيـتـولـيـ كـلـ نـحـاتـ بـعـدـ قـلـيلـ صـنـاعـةـ تـمـثالـ كـلـ مـنـكـمـ..

فـتـوقـفـواـ جـيـعـهـمـ عـنـ الـحـرـكـةـ، وـبـعـدـ لـحظـاتـ وـجـدـواـ ثـلـاثـةـ رـجـالـ تـرـواـحـ أـعـمـارـهـمـ مـاـ بـيـنـ الشـيـابـ وـالـكـهـولـةـ، وـقـدـ وـقـفـ كـلـ مـنـهـمـ أـمـامـ فـقـيرـ مـنـ الـثـلـاثـةـ، وـ«خـالـدـ» يـنـظـرـ إـلـىـ مـنـ يـقـفـ أـمـامـهـ وـكـأنـهـ فـيـ حـلـمـ عـمـيقـ، وـهـزـ رـأـسـهـ لـعـلـهـ يـفـيـقـ مـنـ ذـلـكـ الـحـلـمـ حـتـىـ نـادـاهـ مـنـ يـقـفـ أـمـامـهـ، وـيـمـسـكـ

بـأـدـوـاتـ النـحـتـ فـيـ يـدـهـ:

- عـلـيـكـ أـلـاـ تـحـرـكـ أـيـاـ الـفـقـيرـ.. أـتـرـيدـ تـمـثالـكـ مـشـوـهاـ؟؟!! ثـمـ ضـحـكـ

سـاخـراـ.. وـتـابـعـ:

- الزِّمِ السُّكُون.. أَمَامُكَ أَمْهَرَ وَأَسْعَنْ نَحَاتَ بَزِيكُولَا.. سَأَنْتَهِي مِنْ
تَمَاثِلَكَ فِي زَمْنٍ قِيَاسِيٍّ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ «خَالِدًا»، وَقَدْ أَخْرَجَ زَفِيرًا قَوِيًّا.. ثُمَّ بَدَا النَّحَاتُ عَمَلَهُ،
وَجَلَبَ كُتْلَةً ضَخْمَةً مِنَ الْصَّلْصَالِ، وَبِدَا يَشْكُلُ أَجْزَاءَهَا بَعْدَمَا يَلْمُحُ
بَطْرَفِ عَيْنِهِ «خَالِدًا»، وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ يَقْتَرَبُ مِنْهُ لِيَضْعِفَ يَدَهُ عَلَى
رَأْسِهِ، وَكَانَهُ يَسْتَخْدِمُهَا لِلْمَقَارِنَةِ بَيْنَ قِيَاسَاتِهِ.. ثُمَّ يَعُودُ مَجْدَدًا إِلَى تَمَاثِلِهِ
الَّذِي بَدَأَتْ مَلاَعِهِ تَظَاهِرُ شَيْئًا فَشَيْئًا..

النَّحَاتُونَ يَعْمَلُونَ بِمَهَارَةٍ وَسُرْعَةٍ فَاتِقةٍ.. وَيَقْفَ «خَالِدًا» وَمِنْ مَعِهِ
دُونَ حَرَاكٍ.. يَتَنَظَّرُ كُلُّ مِنْهُمْ أَنْ يَنْتَهِي مِنْ صُنْعِ تَمَاثِلِهِ عَلَيْهِ يَغَادِرُ ذَلِكَ
الْمَكَانُ، وَأَسْرَعُ الْوَقْتِ مِنْ مَرْوِرَهُ، حَتَّى انتَهَى النَّحَاتُونَ مِنْ عَمَلِهِمْ مَعَ
شَرْوَقِ الشَّمْسِ، وَقَدْ صَنَعُوا ثَلَاثَةَ عَمَائِيلَ مِنَ الْصَّلْصَالِ يَشْهُدُونَ
أَصْحَابِهِمْ، وَقَدْ نَظَرَ «خَالِدًا» إِلَى تَمَاثِلِهِ الَّذِي كَانَ يَقْفَ شَاعِنًا، وَتَعْتَلِي
وَجْهَهُ نَظَرَةً حَزَنَ وَاضْحَى، وَهَزَّ رَأْسَهُ فِي حَزَنٍ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَحَدِ الْفَقِيرِينَ
بِجَوارِهِ:

- مَاذَا سَنْفَعُلُ الْآنَ بَعْدَ نَحْتِ عَمَائِيلَنَا؟

فرد الفقير بصوت واهن:

- لم يعد لنا سوى أن نخوض منافسة الزيكولا..

فأيُّهَا «خالد»:

- هل سنخوضها الآن؟

فرد قائد الحرس:

- لماذا تتعجل أيُّهَا الفقير؟!

إنَّ الوقت مازال باكرًا.. ستكون المنافسة بعد ساعات من الآن..

حين تكون الشمس عمودية.. أي متصف النهار.. ثم أكمل:

مع شروق شمس اليوم فُتح باب زيكولا، وهناك الكثيرون من كانوا بخارجها، واشتاقوا إلى احتفالاتنا مرة أخرى، وسيستغرق مجئهم إلى هنا العديد من الساعات..

فتمَّ «خالد»:

- فُتح باب زيكولا؟!!!

ثم تجاهل ذلك الأمر، وسأل قائد الحرس:

- إنني لا أتذكر جيداً ماذا ستفعل في تلك المنافسة.. لقد أخبرني أصدقائي من قبل عنها.. ولكتي لم أعد أتذكر..

فضحك القائد ساخراً:

- أيها الفقير ستحدد الزيكولا مصيرك.. كي لا تقول إن الطبيعة
هي من اختارت لك الموت.. ما عليك سوى أن تختر ثلاثة أماكن من
تمثالك هذا، وتحميهم بدروع صغيرة، وستُطلق سهام الزيكولا نحو
تمثالك.. وإن أصابتك سهام أكثر من غيرك كنت أنت ذبيح يومنا..
فচمت «خالد» مجدداً، ونظر إلى أعلى:

- يارب ساعدنـي..

مر الوقت، واقتربت الشمس من تعامدها ظهراً على الأرض،
واجتمعت الآلوف من أهالي زيكولا بساحة كبيرة بالمنطقة الوسطى،
واصطفوا أمام منصة خشبية عالية، وأخذوا يرقصون، ويغنون،
وينشدون الأهازيج، وحمل الكثيرون منهم أطفالهم فوق أكتافهم حتى
أشار أحدهم إلى طفله:
- أنظر.. إنها الزيكولا..

ثم أشار إلى المنصة حين قام مجموعة من الجنود بإزاحة قطعة
قهاشية كبيرة.. كانت تحفي أسلفها عمودين خشبيين سميكين

ومتوازَّين، ويصل طول كل منها إلى ثلاثة أمتار، وبينها قرص خشبي دائري يصل قطره إلى ما يقارب متراً واحداً، وتبرز منه ثلاثة أسهم طويلة، وتظهر من خلفه ترسos حديديّة تتباين أحجامها، ويزداد لمعانها تحت أشعة الشمس، وبجوار تلك الآلة يقف رجل ضخم حليق الرأس، لا يرتدي سوى بنطالاً واسعاً، وتبرز عضلاته القوية، وذراعه الضخم الذي يمسك بذراع حديدي قد امتد من أحد العمودين الخشبيَّين للزيكولا، ويمسك ذراعه الآخر بذراع خشبي أقل طولاً، ويتصل مباشرة بشرط يخرج من القرص الخشبي.. حتى صاح الجميع حين دقتِ الطبول، وظهر الحاكم بشرفة قصره.. تجاوره زوجته وعلى ذراعيها رضيعها، وتجاوزرها «أسيل»، والتي وقفت واجهة والقلق ينبعث من عينيها.. ثم جلسوا جميعاً يتظرون بدء المنافسة..

الجميع يتظرون.. الجميع يتراقصون، و«أسيل» تنتظر أن ترى «خالد».. يدق قلبها بقوة.. تنظر إلى السماء مجدداً، وتحرك شفاتها متممة بهمسات غير مسموعة.. حتى وجدت الجنود يحملون التمايل الثلاثة، ويصعدون بها إلى المنصة الخشبية، ويسير من خلفهم «خالد»

ومن معه فتسارعت أنفاسها، وهلت الألوف المتواجدة حين وجدهم
يصعدون المنصة..

بعدها التفت قائد الحرس إلى شرفة قصر الحاكم، وانحنى إليه
فأشار إليه بأن تبدأ المنافسة، فالتفت مجدداً إلى «خالد» والفقيرين معه..
ثم أشار إلى أحد الفقيرين:

- سبّدوا أنت.. أين ستضع دروعك الثلاثة؟

فنظر إليه الفقير في صمت.. ثم تقدم بعدهما فُكتَ قيوده، ونظر إلى
الزيكولا، ثم التفت إلى تمثاله، ونطق:
سأحكي ذراع تمثالي الأيمن من أعلى، وفخذ تمثالي الأيسر، وأسفل بطنه
فصاح قائد الحرس بأحد جنوده:
- ضع دروعه كما أراد..

فوضع الجندي دروعاً حديدة صغيرة تلائم الأماكن التي أرادها
الفقير.. ثم حمل التمثال ومعه جندي آخر إلى أمام الزيكولا.. لا
تفصلهما سوى أمتار قليلة..

صمت الأهزيج، وصمت من يتواجدون، وكان أنفاسهم قد
حبست، ثم نطق قائد الحرس مجدداً إلى الفقير:

- سينطلق كل سهم من سهامك الثلاث حين تشير إلى حارس
الزيكولا ..

فرد الفقير بصوت واهن:
- حسناً ..

ثم أشار القائد بعدها إلى الرجل الضخم الذي يمسك بذراع
الزيكولا الحديدي بأن يحرك أحد ذراعيه.. فابتسم الرجل مبرزاً أسنانه
الصفراء الكبيرة.. ثم جذب الذراع الحديدي نحوه فبدأت التروس
الحديدية تتحرك ببطء، وتسرع من حركتها شيئاً فشيئاً، ويتحرك معها
القرص الخشبي وما عليه من سهام، حتى زادت سرعته كثيراً، وأصبح
يدور دون أن تظهر ما عليه من سهام، ويدور حول نفسه ثم ينتقل بين
العمودين الخشبيين في حركة عشوائية، لا يستطيع أحد توقعها،
و«خالد» ينظر إلى ذلك القرص، وقلبه يدق بقوة، ويحدث نفسه:

- مستحيل أن أحدد اتجاه السهام..

حتى أشار الفقير الأول إلى حارس الزيكولا فجذب الرجل
الذراع الخشبي القصير على الفور.. فانطلق السهم الأول نحو تمثاله
فأصاب عنق التمثال.. فصاح الحضور.. ثم أكمل القرص دورانه،

وبعد لحظات أشار الفقير مجدداً إلى الحراس فانطلق السهم الثاني فاخترق ذراعه الأيسر، فصاح الناس مجدداً، وظهر التوتر على وجه الفقير، ونظر إلى الزيكولا كثيراً، وإلى قرصها الذي يدور .. ثم أشار إلى الحراس من جديد فانطلق سهمه الأخير فاصطدم بذراعه الحديدية فوق أسفل بطن تمثاله .. فزاد صياح أهالي زيكولا، ودقّت الطبول، وابتسم الفقير قليلاً بعدما لم يصب تمثاله سوى سهام.. ثم أشار قائد الحراس إلى الفقير الآخر:

- هيا تقدم لتحمي تمثالك..

فتقديم هو الآخر، وفعل مثلما فعل الفقير الأول، وكلما أشار إلى حارس الزيكولا صاح الناس مجدداً.. حتى صاحوا حين انتهى من سهامه الثلاث، ولم يصب تمثاله سوى سهم واحد اخترق بطنه السفلي، وقد رقص فرحاً مع دقات الطبول بعدما أيقن أنه قد نجا بذلك.. حتى أشار قائد الحراس إلى «خالد»:

هيا، لم يعد سواك.. إما أن تنجو بآلا يصيب تمثالك سهام، أو يصيّب سهم واحد.. أو يصيّب سهام فتعاد المنافسة بينك وبينه.. ثم أشار إلى الفقير الأول.. أما غير ذلك فستكون ذبيح غد..

فتقديم «خالد» نحو تمثاله، ووقف أمامه دون أن يفعل شيئاً..

فصاح به القائد مجدداً:

- هيا.. أسرع..

فنظر «خالد» إلى قرص الزيكولا، والذي زرعت به السهام من جديد.. ثم نظر عالياً إلى شرفة قصر الحاكم حيث تجلس «أسيل».. بعدها نظر إلى تمثاله، وأغمض عينيه، وتمت بايات قرآنية ثم فتحها، ونظر إلى القائد:

- أريد أن أضع دروعي كي تحمي صدر تمثالي، وعصف ذراعه الأيسر.. ثم صمت مجدداً، ونظر إلى الزيكولا ثم التفت إلى تمثاله:
- وأريد أن أحبي رأس تمثالي..

فأشار القائد إلى جنوده بأن ينقلوا تمثاله أمام الزيكولا، وأن يضعوا دروعه مثلما أراد.. ثم أمر حارس الزيكولا بأن يبدأ دوران قرصها.. فبدأت التروس تتحرك من جديد، و«خالد» يراقب القرص الذي يدور مسرعاً، ويتحرك بين العمودين الخشبيين.. حتى سمي الله ثم أشار إليه فانطلق السهم الأول فصاح الجميع حين أصاب فخذ تمثاله الأيمن.. فدق قلب «خالد» بقوة، ودق قلب «أسيل»، وانتفض وكأنها تسمع

دقّاته، والقرص يواصل دورانه، و«خالد» لا يعلم ماذا يصنع.. لا يرى تلك السهام بالقرص، وأيّها سينطلق.. ثم أشار إلى الحارس مجدداً فانطلق السهم الثاني فأصاب فخذه الأيمن مرة أخرى.. فأمسك «خالد» برأسه، وحدّث نفسه، وكأن أنفاسه قد تقطعت:

- عمالك يا «خالد».. عمالك..

- عليك أن تفكّر قليلاً.. لم يعد سوي سهم واحد.. إما أن تُعاد المنافسة.. وإما إن تكون ذبيح غد..
و«أسيل» تحدّث نفسها:

- عمالك يا «خالد».. عمالك..

ثم نظر إلى القرص مجدداً، والجميع أنفاسهم محتبسة.. يتظرون إشارته الأخيرة، وحارس الزيكولا يتسم، ويتأهّب كي يجذب ذراعها، وما زالت عينا «خالد» تتحرّك مسرعة بين قرص الزيكولا وبين عثاله الواقف أمامه، و«أسيل» تتمتّم وتتحرّك شفتاها في توتر، وتلمع عيناهما بالدموع.. حتى أنها لم تستطع أن تواصل جلوسها، ونهضت لتقف مكانها، وأغمضت عينيها بعدما وجدت «خالد» يشير إلى حارس الزيكولا بأن يطلق سهمه الأخير...

(١٩)

أشار «خالد» إلى حارس الزيكولا بأن يطلق سهمه الأخير.. وقد احتبس أنفاسه حين بدأت يد الحارس تجذب ذراع الزيكولا ثم انطلق السهم الثالث فأصاب فخذ ثالثه الأيمن مرة أخرى.. فصاحت الآلوف المتواجهة بأنه ذبيح زيكولا، ودقت الطبول من جديد وقد اختلفت دقاتها عما قبل المنافسة، و«خالد» ينظر إلى ثالثه في ذهول وقد أحقر وجهه وزاد العرق على جبينه، ثم نظر إلى من يرقصون ويختفلون وكأنه لا يصدق نفسه، وحدث نفسه في ذهول:
- أنا؟!! ساذبح غداً؟!!

تسارع أنفاسه، ويدق قلبه بقوة، ويضع يده حول رقبته يتحسسها وكأنه في كابوس يود أن يتلهي منه، أما «أسيل» فقد غادرت شرفة الحاكم على الفور بعدما لم يستطع «خالد» النجاة من الزيكولا، وقد أثار مغادرتها فجأة دهشة الحاكم وزوجته، وأسرعت إلى حجرتها تحدث نفسها:
- لو وضعت دروعك لتحمي فخذ ثالثك الأيمن لنجوت..

- ماذا أفعل؟ .. سيدبح غداً..
- وダメعها على وجهها، وتسرع وعقلها لا يتوقف عن التفكير،
وتتحدث الى نفسها مجدداً بصوت مسموع:
- أنا من سبب كل ذلك..
 - أنا من أخبرته عن مكان رأس المثلث..
 - أنا من تركته يدفع من وحداته الكثير دفعة واحدة دون أن أوقفه..
 - كان لي الحق أن أعتراض على ذلك..
 - أنا من دفعت به إلى زيكولا..
 - ثم دلفت إلى حجرتها، وما زالت تصيح إلى نفسها..
 - ماذا أفعل؟ .. ماذا أفعل؟ .. سيدبح من أحبه غداً..
 - ثم وضع رأسها بين يديها، وصمتت وكأن أصحابها المهدوء..

أصبح الطريق المهدى بين المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية
مزدحراً بالكثير من العربات والأحصنة والمشاة من أهالي زيكولا بعدما
بدأ الكثيرون منهم ينتقلون إلى المنطقة الشرقية حيث أرض الاحتفال،

وكانت بينهم عربة بها «خالد» مكبل اليدين والقدمين، وأمامه قائد حرس الحاكم، والذي نظر إلى «خالد»:

- ستيت الليلة ببيت فقراء المنطقة الشرقية..

فلم يرد «خالد»، وظل صامتاً فأكمل القائد:

- عليك أن تسعد بها أنت به.. ستموت فداء لمولود الحاكم..

- ترى كم ستجلب السعادة لكل هؤلاء الأشخاص..

ثم أشار إلى خارج العربية، وصمت ثم أكمل بعد لحظات:

- أترى ذلك الزحام؟.. إنه ليس الزحام الأكبر.. إن الكثيرين لم يحضروا زيكولا اليوم.. هناك من خرجوا بعد فتح باب زيكولا.. ولكن مع شروق شمس غد سيغلق بابها، وسترى كم من أهل زيكولا سيفحتنون معك بيوم عيدنا..

فصاح به «خالد» غاضباً:

- أريدك أن تصمت.. أريدك أن تصمت..

فضهر الغضب على وجه قائد الحرس، وتقوست حاجبه ثم

صمت، وتتابع «خالد» نظره عبر نافذة العربية..

مرَّ الوقت، وقد وصلت العربة إلى المنطقة الشرقية مع غروب الشمس، ومرت أمام البحيرة التي طالما مكث «خالد» على شاطئها ثم أسرعت بأحد شوارع تلك المنطقة حتى توقفت أمام بيت يتواجد أمامه الكثير من الجنود فنظر القائد إلى «خالد» في غلظة:

- هيا.. لقد وصلنا بيت الفقر ..

ما زالت «أسيل» بحجرتها بقصر الحاكم.. تجلس على أرضية الحجرة مستندة ظهرها إلى لحانط، وتنظر إلى أوراق «خالد» أمامها حتى نهضت، وأحضرت ورقة جديدة، وأمسكت بقلمها، وأزاحت من إضاءة المصباح الناري، وكتبت:

- سيموت من أحبه غداً..

- وأنا من سيحتفل..

ثم توقفت يدها عن الكتابة، ونظرت إلى ما كتبته فمزقت الورقة ثم نهضت لتحرك جيئة وذهاباً، والتتوتر يكسو وجهها حتى نظرت خارج شرفتها فوجدت الظلام قد حل، وبدأت الألعاب النارية تضيء ساء زيكولا، ثم سمعت صوت وصيفتها يأتيها من الخارج:

- سيدتي.. سيدى المحاكم يسألك إن كنت تودين الذهاب ضمن موكله
غداً إلى المنطقة الشرقية..

فلم تجبيها «أسيل» ثم حملت أوراق «خالد» وأوراقاً أخرى معها،
وهمت لمغادرة الحجرة..

رُجَّ بـ«خالد» إلى إحدى غرف بيت الفقر بالمنطقة الشرقية، وظل
قابعاً بها وسط ظلامها.. ينام على جنبه، لا يستطيع أن يفكِّر في شيء..
يسمع إلى صوت الألعاب النارية بالخارج، وإلى احتفالات الأهالي،
ولكنه لا يرى أمامه سوى الذبيح الذي أطاح السياf برأسه .. لا يعلم
هل يريد أن يمر الوقت سريعاً كي تنتهي تلك اللحظات التي يعيشها..
أم يمر ببطء لعل تلك اللحظات تحمل أملاً جديداً.. حتى فتح باب
الغرفة، ودلَّف إليه أحد الجنود، ومعه رجل آخر قصير القامة، وتحدى
الجندي إلى «خالد»:

- أيها الفقر.. انهض..

- ستحلق رأسك الآن..

فرد «خالد» مندهشاً: - ماذا؟!!

فأكمل الجندي: - لابد وأن يكون ذبيح زيكولا حليق الرأس..

فسمت «خالد».. ثم أشار الجندي إلى من معه بأن يستعد لبدء عمله فاقترب من «خالد»، والذي بدا عليه اليأس والاستسلام، ولم يتحرك.. ثم وضع على رأسه مادة خضراء لزجة أخرجها من وعاء زجاجي بحقيقة، وبدأ يدلّكها بين شعر «خالد» الطويل، ويضع المزيد منها، ويزيد من تشبع الشعر بها، ثم وضع القليل منها على لحيته، ودلّكها هي الأخرى، ثم أخرج آلة حادة تشبه السكين الصغير، ولكنها أقل سُمْكًا، وبدأ يخلق شعر «خالد» والذي بدا عليه الاستسلام كصاحبه، وتساقطت خصلاته بجواره متلاصقة، و«خالد» يجلس صامتاً.. ينظر إلى الجندي أمامه، وكلما سأله الخلاق عن شيء لم يجبه.. حتى انتهى الخلاق من رأسه، ثم أسرع فقصّ لحيته، وابتسم إلى «خالد»:

- لقد انتهينا أيها الفقير..

ثم أخرج سطحاً لاماً من حقيقته:

- انظر إلى نفسك..

ثم وضعه أمامه بمكان تخلله الإضاءة عبر باب الغرفة، فلمح «خالد» نفسه وقد أزيل شعر رأسه ولحيته بالكامل.. وبدا وكأنه أصلع

الرأس فهرَ «خالد» رأسه في حزن، ثم تحرك بجسمه إلى ركن بالغرفة،
ونام على جنبه مجدداً واضعاً ذراعيه أسفل رأسه..

مررت ساعات قليلة، واقترب فجر يوم زيكولا، وقد سيطرت
الدهشة على قصر الحاكم بعدما اختفت الطبيبة فجأة، ولا أحد يعلم أين
ذهبت.. إن غادرت فلماذا تركت أغراضها بحجرتها؟!.. لا يعلمون أنها
قد وصلت إلى المنطقة الشرقية، واتجهت إلى بيت الفقير حتى أوقفها
أحد الجنود فابتسمت إليه:

- أنا طبيبة زيكولا، وأريد أن أرى الفقير الآن..

- فضمت الجندي ثم أجابها:

- حسناً سيدتي.. ولكن عليكى المغادرة سريعاً..

ثم فتح باب الغرفة، ودللت إليها.. فوجدت «خالد» نائماً فاتحاً
عينيه بأحد أركانها، وقد حلق رأسه.. فحاولت أن تهالك نفسها، وأن
تنبع سقوط دموعها.. ثم جلست بركن آخر بالغرفة دون أن تتحدث،
ومرت دقائق وهي تنظر إليها، وكلما أرادت أن تتحدث تصمت مجدداً،
و«خالد» ينظر إليها صامتاً.. حتى نقطت:

- كيف حالك يا «حالد»؟

فلم يرد «حالد» فصمتت مجدداً ثم أكملت بصوت هادئ:

- كنت أحذرك دوماً حين كنت تفقد ذكاءك..

- أنقذت الفتى، ولم تأخذ مقابلـاً..

- أنقذت الطفل من المرض، ولم تقبل أن تأخذ شيئاً مقابلـاً الخير..

ثم علا صوتها، واختلط صوتها بالدموع:

- أخبرتك أننا في زيكولا.. لابد أن تأخذ مقابلـاً لكل شيء..

ثم صمتت قليلاً، ورشفت بعض دموعها:

- أرى أنك غاضب مني.. ثم تابعت:

- ولكتني أعلم أنك تحبـ الخير..

- أريدك فقط أن تسأـ نفسك.. هل كنت ستظلم أحداً آخر إن كنت
مكانـ..

ثم نظرت إليه، وعلا صوتها مجدداً:

- لماذا لا تجـ!!؟

ثم نهضـت، وتحركـت نحوـه، واقربـت منهـ.. وأكملـت:

- أعلم أنك تهبني يا «خالد»، ولكن عليك أن تضاعف حبك الكبير
من المرات كي تعلم كم أحبك..

فنهض «خالد» من نومته، وجلس في مكانه ثم تابعت «أسيل»:

- «خالد».. لن أتركك تموت هنا..

فرد «خالد» في ضعف، وقد أستند رأسه إلى الحائط:

- ماذا ستفعلين؟.. هل ستعطيتي من ذكائك؟؟!!

- وإن كنت ستعطيتي.. فمقابل ماذا؟!.. لا أمتلك شيئاً أعطيه لك
مقابلاً..

ثم ضحك ساخراً، ونظر إلى سقف الغرفة:

- أعلم جيداً أنه في تلك المدينة لابد أن يكون هناك مقابل لانتقال
الذكاء..

ثم تحدث في هدوء:

- اذهبـي، واحتفـلي غـداً مع مـن يـحتفلـون.. إـنـهـمـ يـتـظـرـوـنـ وـزـدـكـ غـداً..
إـنـهـمـ يـتـظـرـوـنـ اـبـسـامـاتـكـ إـلـيـهـمـ..

- فصمتت «أسيل» حتى دلف الجندي إلى الغرفة، ونظر إليها:

- سيدـيـ.. عـلـيـكـ أـنـ تـرـحـلـ إـلـىـ الـآنـ..

فنظرت «أسيل» إلى «خالد» ثم بدأت تخطو خارجة من الغرفة..
وما إن وصلت بابها، وكاد الجندي يغلقها حتى أسرعت عائدة إلى
«خالد»، ونظرت إليه، ووضعت رأسه بين كفيها:
- «خالد».. أريدك أن تقبلني..

فنظر إليها «خالد»:

- ماذا؟!!

فأكملت:

- أريدك أن تقبلني فحسب..

ثم تساقطت دموعها من جديد:

- أريدك أن تقبلني يا «خالد».. إن كنت تخبني حقاً فقبلني..

فصممت «خالد» فابتسمت والدموع تملأ عينيها:

- حسناً.. سأقبلك أنا..

ثم بدأت تقبله، والجندي ينظر إلى ما تفعله «أسيل» في دهشة،
ويبتسم وكأنه يتمنى لو كان هو الفقير بعد ما طالت قبلة «أسيل»، وكأنها
لا تأبه بشيء مما حولها.. حتى انتهت ثم نظرت إلى «خالد» مرة أخرى،
وغادرت على الفور..

أشرقت الشمس، وأغلق باب زيكولا، وتعالت مع غلقه دقات
الطبول حتى فتح باب غرفة «خالد»، وتقدم إليه قائد الحرس:
- هيا.. ستببدأ الاحتفالات بعد قليل..

ثم أمر جنوده بأن يحضروه، وأركبوه عربة يغطيها قباش أسود
اللون يستطيع «خالد» أن يرى الناس من خلال فتحة صغيرة به دون أن
يراه من خارج العربية.. وتحركت العربية، و«خالد» ينظر إلى الكم الهائل
من الناس الذين يسيرون بانتظام، ويرتدون ملابس تبدو جديدة..
الرجال يمسكون بأيدي النساء.. والفتىان يمسكون بأيدي الفتيات..
ويسيرون في فرحة شديدة.. يضع كل منهم حول رقبته عقداً من الورد،
وتطللهم الموسيقى التي يعزفها مجموعة من الأشخاص أصحاب زى
 مختلف.. ثم نظر حزيناً إلى الشبان الذين يمتظرون أحصتهم وخلف كل
شاب فتاته تلف يدها البسى حول خصره واليمنى تمسك بها ورد
وتلوح بها.. ينظر إلى الحركات البهلوانية ويزيد حزنه بأنهم يختلفون
بذبحه.. يتحدث إلى نفسه بأنه قد احتفل معهم منذ شهور بذبح فقير
غيره.. إنهم لا يشعرون بما يشعر به الآن..

تسير العربة وسط الزحام، وقلب «خالد» يدق بقوة حين يجد
الصبيان يشيرون إلى عربته ذات القماش الأسود، ويصيحون:
- انظروا.. إنها عربة الذبح..
والذين صاحوا مجدداً حين أشاروا إلى عربة فخمة تسير بالموكب:
- إنها عربة الطبيبة.. هيا لنلتقط الورد..
«خالد» ينظر إليهم في أسى، ويتذكر حين التقط وردة «أسيل»
وابتسمت إليه حتى أصابته الدهشة بعدما ظهرت فتاة أخرى غير
«أسيل»، وبدأت تلقى بالورد وسط تعجب من يشيرون، وأكمل
الموكب مسيره.. حتى وصل الجميع إلى ساحة الاحتفال..

ألف من أهالي زيكولا متواجدون.. الجميع يقفون أمام منصة
الذبح يتظرون وصول الحاكم كي يبدأ الاحتفال.. «خالد» يمكث
عربته، يعلم أنها لحظات وسيتهي كل شيء.. الجميع يتراقصون..
الفتيان يداعبون الفتيات، والفتيات ترقصن وتتهز أجسادهن مع
الموسيقى، وتبدو عليهن السعادة الشديدة، والزحام بكافة أرجاء ساحة
الاحتفال، وبينهم «يامن» الذي يتحرّك بصعوبة، ويريد أن يصل إلى

الصفوف الأمامية القريبة من المنصة، وقد بدا عليه التعب الشديد، وربما كان الوحيد بين من يحتفلون، الذي لا يرتدي ملابس تليق بذلك الاحتفال.. بل كانت ملابسه بالية تلائم وجهه الذي يكسوه الحزن..

حتى سأله فتاة:

- لماذا لا ترقص؟!

فلم يجدها، وأكمل سيره وسط الزحام.. حتى دقت الطبول، وعلا معها صوت النفير بعدما وصل الحاكم وزوجته ومساعديه، واتخذوا أماكنهم بسرادق فخم مرتفع أمام منصة الذبح ثم صعد رجل ضخم إلى المنصة الخشبية وبيده سيف طويل، ونظر إلى الحاكم وانحنى له.. بعدها دقت الطبول كثيراً، وصمتت الموسيقى، وصعد جنديان أقواء بجران «خالد» حليق الرأس، مكبل اليدين والقدمين.. فدققت الطبول مرة أخرى، ونزل أهل المدينة جميعهم على ركبיהם بعدما أسقط «خالد» على ركبتيه، والناس ينظرون إليه، وبينهم «يامن» الذي أثر أن يغمض عينيه ثم نظر السيف مجدداً إلى الحاكم فأشار إليه بأن يتبع عمله، وكاد يوحيز ظهر «خالد» كي يشقق برأسه.. حتى صاح فتى بين من يقفون:

- إنه غني.. إنه غني..

فنظر إليه «خالد» فوجده ذلك الفتى الذي أنقذه من الغرق من قبل.. ثم صاح رجل آخر:
- نعم.. إنه ليس فقيراً..

فتفتح «يامن» عينيه.. ثم نظر إلى «خالد» فوجده ليس شاحباً..
فصاح هو الآخر:
- نعم.. إنه ليس فقيراً..

و«خالد» ينظر إلى ذراعيه في دهشة، وقد زال شحوبهما، ثم وجد الفتى يسرع إلى المنصة وينجذب على ركبتيه بجواره، ويتحدث إلى الحاكم ومن معه، وقد علا صوته:
انظروا إليه.. إنه ليس فقيراً.. وأنا أيضاً لست فقيراً.. إن كنتم تريدون إن تذبحوا من ليسوا فقراء احتفالاً بمولودكم.. فاذبحوني معه..

ثم فوجئ «خالد» بأم الصبي الذي أنقذه من ضربة الشمس تسرع مع طفلها إلى المنصة، وتنجذب على ركبتيها، وصاحت:
- لقد أنقذ هذا الشاب ولدي، ولن أتركه يموت ظليماً.. حسناً أنا وولدي لسنا فقراء أيضاً.. فاذبحونا معه..

ثم صاحت فتاة بين من يقفون بالأسفل، وكانت فتاة الليل بالمنطقة
الشمالية:

- أقسم أنه ليس فقير.. أنا أعرف هذا الشخص جيداً.. أنظروا إلى
جلده.. كيف يكون هذا جلد فقير..

ثم صاح «يامن» مجدداً:

- منذ متى يذبح الأغنياء هنا..

حتى فوجئ الجميع من كانوا يعملون معه بتكسير الصخور يصيحون
جيعاً:

- إنه ليس فقيراً.. إنه ليس فقيراً..

وسادت الضوضاء ساحة الاحتفال، وصعد الكثيرون إلى المنصة،
وسقطوا على ركبهم بجوار «خالد»، وجميعهم يقولون إن كان سيذبح
فإنهم يريدون أن يذبحوهم أيضاً طالما تواجه الظلم بذلك اليوم.. حتى
نظر السيااف إلى الحاكم، وكأنه لا يدرى ماذا يفعل بعدما امتلأت المنصة
بالكثير من عمال زيكولا.. فنهض الحاكم، وسأل أحد مساعديه:

- أين طيبة زيكولا؟

فأجابه إحدى الوصيفات:

- ليس لها وجود منذ الأمس سيدتي..

فصاح إلى مساعدته:

- أريد طبيب تلك المنطقة على الفور..

فتقديم أحد الأشخاص، وانحنى إليه ثم تحدث:

- أنا طبيب المنطقة الشرقية بعد الطبية «أسيل»..

فنظر إليه الحاكم:

- أريدك أن تخبرني كم يمتلك هذا الشاب من ذكاء..

فانحنى إليه الطبيب مجددًا:

- حسناً سيدى..

ثم اتجه الطبيب إلى المنصة، واقترب من «خالد»، والصمت قد

خيّم على الجميع.. يترقبون ذلك الطبيب، وقلب «يامن» ينفطر بقوّة

واحتبس أنفاسه.. وهو يراه يضع يده على جلد «خالد»، ويمسك

بشقّاته ثم نظر إليه كثيراً.. ثم عاد إلى الحاكم مجددًا:

- سيدى إنه ليس فقيراً.. إنه يمتلك الكثير من وحدات الذكاء تجعله

أكثر ثروة من الكثير من أهالي زيكولا..

فأسأله الحاكم:

- وكيف لم ينجُ من الزيكولا..

فابتسم الطيب:

- نعلم جميعاً إن الزيكولا تمثل القدر سيدِي.. وقد لا ينجو منها أكثرنا ثروة..

فصمت الحاكم ثم نظر إلى الطيب مجدداً:

- ولماذا اختارته الطبيبة، وهو يمتلك تلك الوحدات من الذكاء.. أتريد أن يكون الاحتفال بولدي بأن أظلم أحداً..

ثم تابع:

- إنها بـها فعلته خائنة لزيكولا..

ثم نظر إلى أحد مساعديه:

- لم تعد تلك الفتاة طبيبة زيكولا بعد اليوم.. بل لم يعد لها مكان بزيكولا.. لا يوجد بيتنا مكان خائنة..

ثم نظر إلى «خالد» الذي كان يترقب الحاكم دون أن يسمع حديثه

بينه وبين مساعديه وطبيبه:

- لقد عفونا عنك يا بني.. إننا لا نظلم أحداً.. ليست زيكولا أرضاً للظلم.. سيكون مولودي أكثر سعادة وفخرًا باحتفالك معنا..

ثم أمر قائد الحرس بأن يطلق سراحه.. فصاح الجميع مهلاً،
وأسرع «يامن» إلى المنصة، واحتضن «خالد»، ودموعه تساقط:
لقد نجوت يا صديقي.. لقد فعلتها.. كنت أعلم أنك ستنجو..
ثم اقترب «خالد» من ذلك الفتى الذي صعد إلى المنصة فابتسم الفتى،
واحتضنه:
- مبارك عليك أيها القوي..

فابتسم «خالد»، وعيناه تلمعان بالدموع:
- لقد أنقذت حياتي..
فابتسم الفتى:
- أنت من أنقذت حياتي أولاً..

ثم بدأت الاحتفالات من جديد، وتعالت الموسيقى والتي بدت
وكأنها أكثر بهجة.. وبدأت الفتيات ترقصن من جديد.. والكثير من
أهل زيكولا يتوجهون إلى «خالد» ليصافحوه، و«خالد» يسير بينهم،
وتتقلب عيناه بكل مكان.. يتحرك بين الزحام بصعوبة.. يبحث عن
شخص واحد لا يريد سوى أن يجدته.. إنها «أسيل».. يتحرك في كافة
الاتجاهات يتمنى أن يجدها.. ويسأل كل من يقابلها.. هل رأيت

الطيبة.. والموسيقى تتزايد، و«خالد» يبحث بين الفتيات، وكلما وجد فتاة تشبهها يقترب منها.. حتى يعتذر حين لا يجد لها هي.. حتى أصابه اليأس، وغادر ساحة الاحتفال، وجلس على جانب أحد الشوارع وحيداً بعدها فقد «يامن» وسط الزحام، وظل يفكر بها حديث له، وكأنه لا يعي شيئاً مما عاشه، وينظر إلى ذراعيه مجدة، ويسأل نفسه كيف حدث ذلك؟.. وأين «أسيل»؟.. ولماذا لم تحفل مع أهل زيكولا

كعادتها؟.. حتى اقتربت منه طفلة صغيرة:

- سيدى.. عليك أن تذهب إلى البحيرة الآن..

فابتسم «خالد» إليها:

- لماذا؟

فابتسمت الطفلة ثم جلست بجواره، وأكملت:

- لا أعلم.. لقد أخبرتني الطيبة بالأمس.. بأن أخبر من ينجو من الذبح بأن يذهب إلى البحيرة...

اتسعت حدقتا عيني «خالد» بعدما سمع هذه الكلمات:
الطبية؟!!.. «أسيل» ..

ثم أسرع عَذْوا إلى البحيرة.. يدق قلبه بقوة.. لا تنطق شفاته سوى بكلمة واحدة.. «أسيل» .. وينطلق بين من يختلفون، ويرتطم بهم ثم ينحني لهم ليقدم اعتذاره.. ثم ينطلق مجدداً، وقد ارتسست البسمة على وجهه .. حتى وصل إلى شاطئ البحيرة، وظل يبحث عنها بكل مكان به، وصاح بصوته.. «أسيل» .. «أسيل» .. ولكنه لم يجدوها، وظل يصيح بصوته يناديها، ولكن دون جدوٍ حتى اقترب من شجرة التي طالما جلس بجوارها، وقد بدا على وجهه الحزن، فلمع ورقه قد عُلّقت بتلك الشجرة، وتتحرك مع الرياح، فالقططها على الفور فوجدها تبدو كرسالة تركتها «أسيل» .. وقد كتبت بها:

(لا أعلم كيف أبدأ حديثي .. ولكني أتمنى أن تقرأ كلماتي تلك يا «خالد» .. ربما لست ماهرة في الكتابة مثلك .. ولكني أريد فقط أن أعبر عنها يدور بذهني .. أريدك أن تعلم كم كنت أحبك .. لقد أحبيتك منذ رأيتك تنقذ الفتى من الغرق .. وأنت من جعلني أشعر بالأنانية بعدما لم

أرددك أن تغادر وترك زيكولا.. كنت أظهر لك مساعدتي، ولكني لم
أتمن لحظة واحدة أن تغادر...

«خالد» لم أستطع أن أراك ذبيح زيكولا، وأظل أنا أحفل بذلك
اليوم.. أريدك بعد أن نجوت أن تخبر غيرك بأنك تمتلك أغلى كتاب
بتاريخ زيكولا.. كما أنك تمتلك أيضاً أغلى قُبلة بتاريخها..

أنتذكر حين أخبرتني أنك لا تمتلك شيئاً تناول مقابلة وحدات
ذكاء.. إنك لا ترى ما تمتلكه يا «خالد».. لقد رأيت ذلك.. كانت
تكفيوني تلك القُبلة كي أدفع لك أغلى الأثمان مقابلًا لها.. كي تنجو من
ذلك اليوم، وتعود إلى حبيبك ذكيًا كما كنت.. أريدك فقط أن تعود
إليها وتعيشا سعيدَين.. أنا أعلم أنها لن تجد مثلثك، وأعلم أيضاً أنك لن
 تستطيع العيش هنا، وأعلم جيداً أنني لن أستطيع العيش بعالنك.. عُد
إليها، وأتمنى أن تتذكري بين الحين والآخر..

ربما تجد ذلك النجم بالسماء.. فإن وجدته فأعلم أنني أراه أيضاً
وأتمنى لك السعادة وقتها.. أعتقد أنني لن أترك السماء ليلة دون أن
أتأملها بحثاً عن ذلك النجم..

لقد أخبرتك أنني إن تركت زيكولا سأتركها بسبب قوي للغاية
ولا أعتقد أنني سأجد سبباً أقوى من إيقائك على قيد الحياة، وأريدك أن

تُخبر «يامن» أني أعلم جيداً أنه من يحب سيفعل كل شيء من أجل من يحبه..

سأذهب إلى بلدي بيجانا، وسأعمل هناك طبيبة أيضاً.. أعلم أنهم في حاجة إلى، وأخبارهم دوماً عن ذلك الشاب الذي أتى إلى زيكولا، وعمل الكثير من الخير دون أن يتقاضى مقابلًا له..

في النهاية اسمح لي يا «خالد».. لقد احتفظت بأوراقك التي طالما جعلتني أشعر بسعادة لم أذقهها من قبل.. وأتمنى أن تكون قد شعرت بكلماتي، وأعلم أنني لست ماهرة بالكتابة.. ولكن عليّ أن أرحل الآن قبل أن تشرق الشمس، ويغلق باب زيكولا..
فهمس «خالد» إلى نفسه هائلاً:
- باب زيكولا..

ثم أسرع يعدونجاه بباب زيكولا.. يجري ولا يشعر بشيء من حوله.. يجري ولا تدور برأسه سوى كلمات «أسيل».. يجري مسرعاً كأنه لم يجرِ من قبل.. يتمنى أن تنقله الرياح إلى ذلك الباب.. من يراه يندفع، ويرتطم بهذا وذاك.. ويواصل عذوه، ويسقط وينهض ليعدو مرة أخرى.. يستمع إلى أنفاسه المتسارعة، ويكملا عدوه وسقطت منه

الورقة فتركها.. وأكمل طريقه.. حتى وصل إلى باب زيكولا فوجده مغلقاً، وأمامه حارس ضخم الجثة فصاح به «خالد»:

- أريد أن أخرج..

فابتسم الحارس:

- ألا ترى؟!!.. لقد أغلق الباب مع شروق شمس اليوم..
فصاح «خالد» مجدداً:

- لابد أن أخرج..

فظهر الغضب على وجه الحارس حتى صاح «خالد» مرة أخرى، وحاول أن يزعج الحارس بذراعه فدفعه الحارس بذرعه فعاد خطوات إلى الخلف، وسقط ثم نهض مجدداً، وعاد إلى الحارس:

- أريد أن أخرج..

فضربه الحارس ضربة قوية بذرعه أسقطته على ظهره، وجعلت الدماء تنزف من وجهه فاقترب منه «يامن»، وأمسك بكتفيه:

- هيا يا «خالد».. لابد أن نرحل عن هنا..

فنهض «خالد» مجدداً، ونظر إلى الباب الضخم.. وانتفخت عروق رقبته، وصاح بصوته وكأنه يود أن يهز جدران تلك المنطقة:

- **«أسييل».. «أسييل»..**

فجذبه «يامن»:

- هيا يا «خالد».. هيا.. لابد أن نرحل عن هنا..

ثم أعطاه ورقة «أسيل» التي سقطت منه، وابتسم إليه:

- لا تستطيع «أسيل» العودة إلى هنا مجدداً..

- كانت تعلم أنها ستصبح في نظر تلك المدينة خائنة.. ففضلت أن تركها بكافة ما تمتلكه..

فصالح به «خالد»:

- إنها ليست خائنة..

فابتسم «يامن»:

- أعلم ذلك يا صديقي.. لقد قرأت تلك الورقة ثم نظر إليه:

- لقد ضحت بكل شيء من أجل حياتك يا «خالد»..

- أنت تعلم ما كتبته إليك.. ما تمنته لك أن تعود إلى حبيبك في عالمك..

وأن تعيش حياتك سعيداً.. هذا سيكفل لها السعادة..

- «خالد» عليك أن تفعل ما يجعلها سعيدة الآن..

فنطق «خالد» حزيناً:

- كان لابد أن تعرف أن حبيبي تلك قد تزوجت.. فضلت «يامن» ثم

ابتسم إليه:

- لن تستطيع «أسيل» العودة إلى هنا.. ولن تستطيع أنت اللحاق بها..
عليك أن تعود إلى بلدك.. لقد فعلنا الكثير كي تتحقق أمنيتك بعودتك
إلى بلدك..

فجلس «خالد»، وأمسك برأسه.. وحدث نفسه بصوت مسموع:

- لم أكن لأرضي أن تفعل ذلك..

فصاح به «يامن»:

- ولكنها فعلته ، ولم يعد هناك وقت لما تفعله الآن.. هي انهض ..

ثم جذبه:

- أعلم أنك صديقي، ولكن أيها الصديق لا أريدك أن تظل هنا
بيلدي.. عليك أن تعود إلى بلدك ..

فضحك «خالد» ساخرًا:

- بيلدي؟! كيف؟

- لابد وأن صاحب البيت بالمنطقة الغربية قد عاد إليه، وانتهى كل شيء.

فصمت «يامن» ثم أكمل مبتسمًا:

- أو ربما لم يعد بعد..

ثم أكمل:

- سيعود إلى بيته بعد غد..

فنظر إليه «خالد» متعجبًا:

- كيف وقد أخبرنا الفتى بأنه سيعود إلى بيته مع يوم زيكولا..
فابتسم «يامن»:

- أعتقد أن ماتي وحدة ذكاء كافية لتجعله يترك بيته ليلترين..
فنظر إليه «خالد» في دهشة:

- ماتي وحدة؟!!

فابتسم «يامن»:

- نعم..

فأسأله «خالد» مجددًا:

- أعطيته ماتي وحدة؟!
فأجابه «يامن»:- نعم..

فنظر إليه «خالد»:

- كيف تدفع تلك الوحدات؟

فأجابه «يامن»، وما زالت الابتسامة على وجهه:

- ليست «أسيل» فقط من تقدم المساعدة.. حين جعلتنا نتخلص من آخذدي وحدات الحمایة كي نأكل دجاجًا، ونوفر وحدتين كل يوم..
لم أكن أكل الدجاج.. ثم زادت ابتسامته:

- لم أخبرك من قبل أنني لا أحب الدجاج.. وسامعني لأنني لم أحضر منافسة الزيكولا بالأمس.. كان لابد وأن أمكث هنا أمام ذلك الباب، وانتظر النهار بأكمله كي أجده صاحب البيت، وأقدم له عرضي قبل أن نفقده ويضيع كل شيء..

فأ قاله «خالد»:

- وما مقابل تلك الوحدات يا «يامن»؟..

فنظر إليه «يامن»:

- لا تكفي تلك الوحدات مقابلأ لتلك الشهور التي كنت بها صديقاً وفيألي..

فابتسم «خالد» ثم احتضنه، فهمس «يامن» إلى أذنه:

هيا عليك أن ترحل الآن.. الطريق إلى المنطقة الغربية طويل..

هناك ينتظرك «إياد».. ستعطيه ذلك الحصان حين تصل إليه.. ثم أشار إلى حصان أسود قد عقله بالقرب منها وتبعدوا عليه القوة.. فسأله

«خالد»، وكأنه لا يصدق مفاجآت «يامن»:

- ومن أين لك بهذا الحصان أيضاً..

فابتسم «يامن»:

- لا تقلق، لقد استأجرته كي آتي به إلى هنا.. كان لابد أن أسرع إلى هنا.. ولكنني تذكرت أن الحصان لابد وأن يعود إلى صاحبه بالمنطقة الغربية، وأنا إن ذهبت إلى هناك كي أعيده.. فكيف أعود هنا مجددا؟!! ..

ثم أكمل ضاحكاً:

- أنا جئت به.. وأنت ستعود به..

فابتسم «خالد»:

- أكيد مش هلاقي صاحب زيك يا «يامن»..

فابتسم «يامن»:

- هاؤنت قد عدت إلى هجتك الجميلة يا صديقي..

- هيا لا تضيع وقتك، وتذكري دائمًا، وأنا سأظل هنا لأحكى للصغرى أن صديقي صاحب أغلى كتاب وأغلق قبة بتاريخ زيوكولا.. القبة التي أنقذت حياته يوم زيوكولا.. ثم أتى بالحصان إلى «خالد» فامتطاه «خالد»، ونظر إليه:

- «يامن».. تعلم أن هناك شاباً قد يكون أخي بالمنطقة الشهالية.. إن قابلته يوماً، وكان في حاجة إلى مساعدة فلا تتأخر عنه..

فابتسم «يامن»:

ثم ضرب مؤخرة الحصان بيده، وصاح:

- هيا إلى طريقك.. سيعطيك «إياد» كتابك حين يجدهك.. أما أنا سأذهب لأحتفل مع أهل زيكولا.. أشعر أنني في حاجة كي أرقص مع إحدى الفتيات.. كفاني تلك الجرعة من الحزن في الأوقات السابقة..

بدأ «خالد» يتحرك بحصانه، وينظر إلى «يامن» الذي يقف مبتسمًا ويلوح له بيده، وال Hutchinson يتحرك ببطء، و«خالد» ينظر إلى بيوت المنطقة الشرقية وقصورها التي عاش بينها لشهور.. حتى اختفى «يامن» عن أنظاره، وتذكر نحو البحيرة.. فابتسم ثم اقترب منها، وارتجل ونزل ليشرب من مانها.. ثم امتطى حصانه مجددًا، وأمره أن ينطلق في طريقه إلى المنطقة الغربية، والشمس تسطع فوق رأسه الخلق.. يتظاهر قميصه مع الهواء، ويسرع حصانه كأنه سهم يشق الطريق نحو الغرب.. بينما تنطلق «أسيل» بحصانها خارج زيكولا تجاه بيجانا نحو الشرق.. يسير كلامها في طريقه، ويبتعد كل منها عن الآخر.. «خالد» لا يفکر إلا في كلمات «أسيل»، و«أسيل» لا يدور برأسها سوى «خالد».. يبتسم حين يتذكر حدثه إليها عن التليفزيون، وتبتسم هي بعدما تذكرةت احرار

وجهه حين قبّلته.. ينطلق الحصانان كلُّ نحو نحو قدره الذي اختاره صاحبه، وتسحر كفوفها الشمس من الشرق إلى الغرب، وكأنها تراقبهما على ظهر تلك الأرض وهو مجتمعان للمرة الأخيرة، و«خالد» يسرع ويقلب عينيه بين صحراء زيكولا وكأنه يودعها، وينظر إلى مناطقها التي يمر عليها ويشير إليها بيده، وكأنه يخبرها بأنه سيرحل.. و«أسيل» تغمض عينيها كأنها تمنى لـ«خالد» أن يتحقق ما يريد.. حتى بدأت الشمس في الغروب إذاناً برحيل ذلك النهار..

حل الليل، وقد وصل «خالد» إلى أطراف المنطقة الغربية، واتجه نحو البيت الذي يقصده على الفور، وما إن وصله حتى دلف إليه بحصانه، وهناك وجد «إياد» في انتظاره، والذي صاح:

- لقد سمعت بها حدث اليوم.. هنيئاً لك يا صديقي..

- فابتسم «خالد»:

- شكرًا يا صديقي..

- ثم ارتجل، وأشار إلى حصانه:

- هذا هو الحصان الذي استأجره «يامن».. إنه أسرع حصان رأيته بزيكولا.. لقد أحسن «يامن» الاختيار تلك المرة..

فابتسم «إياد» ثم أخرج كتابه:

- وهذا هو كتابك..

فابتسم «خالد»:

- ما زلت أدين لك بأجر متابعة حفر ذلك النفق..

فضحك «إياد»:

- لقد أعطاني «يامن» ذلك الأجر.. لم أطلب الكثير..

فابتسم «خالد»:

- «يامن»..

فأله «إياد»:

- هل سترحل الآن؟..

فابتسم «خالد»:

- نعم

فأكمل «إياد»:

- لقد قرأت بعض الصفحات من كتابك..

- لقد أسعدهك الحظ يا «خالد».. إن الليلة بدر أيضاً.. سيكون سر داب فوريك مضاء..

فابتسم «خالد» بعدهما تذكر أن السر داب يكون مضاء ليلة البدر

ثم نظر إليه «إياد» وأعطاه مصباحاً نارياً:

- ذلك المصباح سيلزمك حتى تمر من النفق.. إن التهوية بنفقنا جيدة، ولكن تعلم أن إنارة ذلك المصباح ستنتهي مع انتهاء زيه..

فابتسم «خالد»:

- حسناً، ولكن عليكم أن تغلقوا طرف ذلك النفق بعد ذهابي..
فابتسم «إياد»:

- بالطبع يا صديقي.. إن اكتشف أحد ما فعلناه فسنصبح خائنين لزيكولا..

فوضع «خالد» يده على كتف إياد ثم صافحه، ووضع كتابه بين بطنه وبينطاله أسفل قميصه، واتجه إلى فتحة ذلك النفق، ونزل السلم الخشبي بها، وبيده المصباح.. وأشار إلى «إياد» مودعاً له..

بعدها نظر «خالد» إلى النفق الأفقي فوجده مظلماً.. فسمى الله، وبدأ يزحف على ركبتيه، وبيده المصباح، وينظر أمامه، ويحدث نفسه ليست إلا أمتار وأكون خارج زيكولا.. يتحرك مسرعاً، ويشعر أن نشاطه قد عاد إليه بعدهما افتقده الأيام السابقة.. يحدث نفسه:

- أرحل من أجل «أسيل».. أرحل من أجل جدك.. أرحل من أجل «يامن»، ويوافق زحفة، ويتجنب الدعامات الخشبية التي تركها

من صنعوا ذلك النفق.. يتوقف للحظات ليلتقط أنفاسه ثم يبتسم،
ويحدث نفسه مجدداً:

- مازلنا في البداية يا «خالد».. هيا.. ثم يكمل تحركه حتى لمح
الفتحة الأخرى للنفق، والنور يتسرّب خلالها فأسرع من تحركه.. يجذبه
الأمل نحوها.. هيا.. يا «خالد» هيا.. إنها لحظات.. هيا.. هكذا كان
يحفز نفسه، ويزحف بقوّة حتى وصل إلى تلك الفتحة، وقفز إلى
خارجها، ومازال مصباحه بيده حتى وجد نفسه بأرض رملية يظهرها
نور البدر الذي يسطع بالسماء، والتفت ليدق قلبه بقوّة حين وجد سور
زيكولا بشموخه خلفه.. فصاح فرحاً:

- أنا خارج زيكولا.. أنا خارج زيكولا..

وظلّ يعود بقدمه خطوات للخلف، وينظر إلى سور زيكولا وإلى
ارتفاعه الشاهق الذي طالما كان عائقاً له.. حتى انزلقت قدماه في الرمال
فجأة، وسقط على ظهره، وسقط المصباح بعيداً عنه، ومالبث أن يمد
يده كي يلتقطه حتى وجد جسده يسقط بحفرة وسط الرمال، وظل
جسمه يهوي لأسفل، ويرتطم بجدران تلك الحفرة، ويهوي أكثر فأكثر
دون أن يتوقف، ويمسك برأسه التي ارتطمت كثيراً، وبدأت الدماء
تنزف منها.. حتى بدأت حركته تقل شيئاً فشيئاً.. ثم توقف جسده عن

الارتقاء لينظر أمامه ليجد نفقاً ممهداً يتجه بانحناء لأسفل ولأخذ
الاتجاهات فصاح «خالد»:

- نعم.. إنه أحد فرعى سرداد فوريك..

ثم أخرج الكتاب من بنطاله وقبله، وصاح:

- إبني لست في حاجة إلى مصباح.. إنه مضاء بنور البدر..

ثم أسرع به يجرى .. الطريق يأخذه لأسفل، ولا يفكر بشيء سوى
أن يسرع بذلك الطريق.. يريد أن يصل إلى ما يريد.. يعلم أن انحناه
الطريق لأسفل ربما لسبب لا يعلمه.. إنه صمم كذلك.. ربما كان سبباً
كي يحتوي فرعى زيكولا بالكامل.. أو ربما كانت هناك فروع أخرى..
يتحدث إلى نفسه، وتدور بعقله تفسيرات لا يأبه بها كثيراً.. حتى سقط
وتدحرج بجسده مجدداً فابتسم ونهض، وأكمل عدوه، وكلما سقط
تدحرج جسده قليلاً ثم ينهض مجدداً، ويكمel عدوه، وظل يواصل
طريقه، والوقت يمر.. وكلما أصابه التعب وقف للحظات كي يتقطط
أنفاسه ثم يسرع مجدداً، ويحدث نفسه ليحفزها:

- هيا يا «خالد» .. هيا.. لم يعد سوى القليل..

حتى زاد تعبه فجلس، وأسند ظهره إلى جدار، ومسح بذراعه
حبات العرق التي أغرت جبينه.. ثم نهض مجدداً، وسار ببعض خطوات

حتى وجد صورة تشبه الصورة التي وجدتها حين نزل السرداد لأول مرة، والصورة التي نقشت على سور زيكولا بالمنطقة الغربية فرقف أمامها، وابتسم:

- فوريك..

وما إن مر أمامها حتى شعر بذات الاهزة العنيفة التي حدثت من قبل حين عجنه للسرداد للمرة الأولى، ونظر خلفه ليجد جدران السرداد قد بدأت في الانهيار.. فابتسم وبدأ يعدو.. يسرع.. والجدران تنهار من خلفه.. تخطو قدماه مسرعة.. يعلم أن الانهيار من خلفه يدفعه لطريق مقصود.. يسرع ويخشى أن يلحقه الانهيار فتسقط معه آماله.. هيا يا «خالد».. يحفز نفسه.. هيا.. حتى بدأ الصوت يقل من خلفه، وهدأت الحركة العنيفة، ولم تعد هناك انهيارات للجدران، وما إن نظر أمامه حتى وجد نفسه في طريق للسرداد أكثر اتساعاً، وجدرانه منقوشة بنقوشٍ كثيرة.. فصاح:

- سرداد فوريك.. سرداد فوريك الأساسي..

وأسرع به، وترطم قدماه باهيائل العظمية المتشرة بأرضيته، وأكمل جريه حتى وصل إلى سلمه الطويل فأسرع إليه وصعد درجاته.. يخطو العديد منها بخطوة واحدة منه.. يحدّث نفسه.. لم يعد سوى

القليل يا «خالد».. يصعد ولا ينظر خلفه.. ينظر إلى درجات السلم المتبقية، ويخطوها مسرعاً.. حتى وصل إلى أعلىه فتوقف وانحنى يمسك ركبتيه ليلتقط أنفاسه، وكأنه يفكر، ويذكر يوم نزوله السرداد للمرة الأولى، وحدث نفسه بصوت يسمعه:

- ها أنا قد مررت من السرداد..

- الآن النفق..

- عليك أن تسرع يا «خالد».. لا يوجد هواء بالداخل..

ثم صمت وأكمل:

- ولا توجد إضاءة.. عليك أن تتذكر جيداً كيف كان مسارك بهذا النفق..

ثم أغمض عينيه، وكأنه يتذكر ثم فتحهما مجدداً، ونظر إلى الفتحة ذات ألواح الخشب المتكسرة، والتي تصل سرداد فوريك بالنفق المظلم.. وسمى الله ثم ملأ صدره بالهواء، وأسرع إليها فوجد الظلام يسود بداخله، وأسرع يزبح شباك العنكبوت التي غلّؤه، ويسرع، ويذكر في لحظات طريقه حين نزله.. يسرع في الظلام، وكلما وجد طريقه خالياً يتقدم أكثر.. يتحرك كأنه يغطس بأعماق محيط.. تحرك كمية الهواء التي التقطها منذ دخوله بعد ما لم تكف فتحة ذلك النفق

لتدخل المزيد من الهواء، وكأنه قد صمم ليكون قبرًا للاختناق حتى لو لم يكن مغلقًا بالكامل، وبدأ «خالد» يشعر بالاختناق، ولكنه أكمل طريقه، وتتسارعت أنفاسه، ودق قلبه مسرعًا، وبرزت عيناه حتى ارتطمت قدماء بشيء صلب، وحين تحسست أدرك أنه سلم النفق فصعد درجاته على الفور حتى اصطدمت رأسه بباب الفولاذي الذي قد أغلى حين انكسر اللوح الخشبي، فبدأ يدفعه بقوة.. يعلم أنه يستطيع ذلك.. يدفعه ويحاول أن يرفعه.. يحفز نفسه، وقد أخرج مالديه من هواء - هيا يا «خالد».. إنها لحظات.. هيا..

ويضغط على أسنانه، ويدفع بكفيه.. حتى بدأ الباب يرتفع قليلاً، واندفع الهواء إلى صدره: - هيا يا «خالد»..

حتى ارتفع الباب بأكمله، وقف «خالد» إلى خارجه، وسقط بجواره، وصدره يعلو وينخفض مسرعًا.. وصاح: - أنا رجعت..

وأمسك برأسه وكأنه لا يصدق نفسه.. يجلس بجوار الباب الفولاذي، وينظر إليه ويتحسس وجهه وكأنه يتيقن أنه ليس نائماً.. ثم ينظر إلى ملابسه الزيكولية، ويتحسس رأسه ليجده حليقاً فأدرك أنها

حقيقة .. ثم أغلق باب النفق من جديد، وأسرع إلى الخارج فوجد
الظلام يسود السماء ثم عبر السور العالي الذي يحيط بذلك البيت
المهجور، وما إن عبره حتى سمع آذان الفجر يهزُ كافة أرجاء بلدته..
البهوفريك .. فابتسم، وبدأ يكرر الآذان كلما سمع كلماته، وأسرع بين
شوارعها الخالية، وكلما رأى أحد الأشخاص يمر.. حاول أن يختبئ
حتى لا يراه بهذا الرُّي.. حتى اقترب من بيته، وما إن وصل إليه، ودق
الباب بقوة حتى وجده مفتوحاً قليلاً فأدرك أن جده قد فتحه كعادته مع
حلول الفجر، ثم دلف إليه فوجد جده يصل الفجر جالساً، ويعملو
صوته بآيات من القرآن، فجلس خلفه في انتظاره، وتساقطت دموعه
حين سمع دعاءه بأن يعود إليه سالماً حتى انتهى والتفت فوجد «خالد»
خلفه فتسارعت أنفاسه وكأنه لا يصدق نفسه، واحتضنه بقوة ودمعت

عيناه:

- «خالد»..

أما «خالد» فقد بكى كثيراً حين احتضنه جده، وكأنه لا يصدق
نفسه، وظل يحتضنه ويمسح رأسه بكتفه، ويبتسم بينما يرثشف دموعه:
- كنت بقولك هرجع لك يا «عبدة»..
قلت لك إني هرجع ..

ثم سقط، وكأنه قد أغشى عليه..

ظل «خالد» نائماً، وبدأ عليه أنه لم ينم لأيام طويلة، وبجواره جده.. مجلس لينظر إليه، وقد بذل له ملابسه، ولم يردا أن يفتح ذلك الكتاب الذي أحضره معه «خالد» إلا بعدما يخبره «خالد» بما حدث له أولاً، وقد مر يوم كامل دون أن يستيقظ «خالد» حتى نهض فوجد جده بجواره، ومعه صديقه العجوز.. مجنون السرداد.. الذي كان أول من يخبره عن حقيقة سرداد فوريك، وما أن رأه قد فتح عينيه حتى صاح:

- «خالد» صحي..

فابتسم «خالد»:

- لابد أنكم قد أصابكم القلق..

فاندهش الرجل مما سمعه فضحك «خالد»:

- عارف إن هجتي أو قات بتغير.. بس قريب أوي هستعيد لهجة البهوفريك..

فقطاعه جده:

- يلا يا «خالد».. احكي لنا اللي حصل لك..

ثم تدخل الرجل:

-أنت نزلت السرداد فعلاً؟

فابتسم «خالد»:

- من أين تريدون أن أبدأ قصتي..

ثم بدأ «خالد» يحكى عما حدث له منذ نزوله ذلك الفق أسفل البيت المهجور بالقرية، وما حدث له به، ونزوله إلى سرداد فوريك الحقيقى، وتلك الصورة به، وما به من هياكل عظمية ثم خروجه إلى أرض زيكولا، وظل يحكى لها، وهما يستمعان إلى كل كلمة يقولها.. يحدثنها عن قوة تلك المدينة، وعن أهلها وعن طقسها الذي يبدو ثابتا مع تغير فصول العام.. وعن عمله هناك، وعن يوم زيكولا، وعن «يامن» و«أسيل»، وعن رحلته خلف ذلك الكتاب الذي يوجد بين أيديهم، ولكنه آثر ألا يخبر جده بأن أبياه قد قُتل كي يرثه ابنه.. بل إنه لم يذكر سيرة أخيه أو أخيه على الإطلاق، وأثر أن يحتفظ بذلك السر خشية أن يسبب مزيدا من الحزن لجده، وظل يحكى ويحكى، وتمر الدقائق وتبعها الساعات، ولم يتركاه دون أن يسألاه عن تفاصيل كل جملة يقولها.. حتى انتهى فنظر إلى جده وصاحبه:

- أريد أن يظل حديثنا هذا سراً بيننا..

فأندهش صديق جده:

- وليه منقولش للناس كلها.. أنت بطل..
فأجابه «خالد»:

- لن يصدقك أحد.. لن يقولوا بطل.. سيقولون مجنون..
فقطّعه الرجل مجدداً:

- الكتاب أحسن دليل..
فابتسم «خالد»:

- سيقولون أنك أحضرت ذلك الكتاب من مكان آخر.. أريد فقط أن
يظل هذا السر بيننا.. أريدكما أن تدعاني بذلك..

فابتسم جده:
- حاضر..

وابتسم الرجل:
- وأنا كمان بوعدك..

ثم ضحك جده:
- أكيد «منى» هتفرح لما تعرف إنك رجعت.. دي على طول كانت
بتسأل عليك، وعمرها ما سابتني لوحدي..

فـالـهـ «ـخـالـدـ»:

- هي متجوزتش؟!

فـابـتـسـمـ جـدهـ:

- لا

ثم أكمل:

- «مني» بتدي لأبيها دروس من جديد.. زي اللي بتتلـهـ كل اللي عملـهـ
فيـكـ .. كل ما يتقدم لها عـرـيسـ تـرـفـضـ .. وـتـبـوـظـ الجـواـزـ لأـيـ سـبـبـ..
وـحـلـفـتـ قدـامـ النـاسـ إنـهاـ مشـ هـتـجـوزـ ..

فـابـتـسـمـ «ـخـالـدـ»:

- أـكـيدـ طـالـعـةـ مـجـنـونـةـ لـأـبـوهاـ ..

فـابـتـسـمـ جـدهـ:

- هي مش هـتـجـوزـ إـلـأـنـتـ ياـ «ـخـالـدـ»..

فـابـتـسـمـ «ـخـالـدـ»:

- لكنـيـ لاـ أـرـيدـ الزـوـاجـ الـآنـ ..

حتـىـ فـوـجـنـواـ بـ«ـمـنـيـ»ـ تـدـخـلـ إـلـيـهـمـ فـجـأـةـ،ـ وـنـظـرـتـ إـلـىـ «ـخـالـدـ»ـ فـيـ

سعـادـةـ:

- «ـخـالـدـ»..ـ أـنـاـ عـرـفـتـ إـنـكـ رـجـعـتـ ..

فابتسم «خالد»:

- نعم ..

فأكملت:

- أنا مبسوطة أوي إنك رجعت يا «خالد»..

فابتسم:

- شكرًا «مني».. أشكرك لأنك كنت بجوار جدي تلك الفترة..

فضحكت «مني»:

- أنت بتتكلم كدة ليه؟.. هو السفر أثر على كلامك ولا أيه؟

فضحكت «خالد»:

- نعم ..

ثم نهض جده، وصاحبـه، وتركـاهـما فابتسمـت «مني»:

- أنا حلفـت لأـبيـاـيـاـ إـنـيـ مشـ هـتـجـوزـ إـلـاـ أـنـتـ..ـ وـإـنـ مـتـجـوزـتـكـشـ مشـ هـأـتـجـوزـ طـوـلـ عـمـريـ وـالـلـيـ يـعـمـلـهـ يـعـمـلـهـ..ـ

فصمت «خالد» دون أن يرد فتابـتـ:

- «خالد».. أنا مشـ شـايـفاـكـ فـرـحـانـ بـكـلامـيـ لـيهـ..ـ أـنـتـ حـبـيـتـ حـدـ تـانيـ
وـأـنـتـ مـسـافـرـ؟ـ

فابتسم «خالد»:

- «مني».. أنا رجعت من السفر زي ما أنا.. اعتبريني هبدأ من جديد..

فابتسمت:

- خلاص.. وأنا موافقة نبدأ سوا..

فنظر إليها «خالد» في هدوء:

- أرجوكي يا «مني».. محتاج شوية وقت عشان أرتب أموري..

فظهر الحزن على وجه «مني» وهمت للمغادرة:

- حاضر يا «خالد» ثم غادرت..

كان «خالد» يعلم أن «مني» تحبه، ولكنه أراد ألا يتسرّع في حديثه معها، وأراد أن يتحقق من مشاعرها تجاهها، وخاصة أنه لم يفق بعد مما حدث له بزيكولا وبُعده عن «أسيل»، وعزم على أن يجد عملاً يحقق له ذاته، وظل يبحث عن عمل ملائم لدراسته، وذهب إلى أماكن كثيرة.. يبحث عن عمله دون أن يصيبه تعب أو ملل، ويبتسم حين تضيق الدنيا أمامه، ويحدث نفسه دائمًا:

لابد وأن هناك أملاً.. ماذا بعد نجاتي من الموت قبل لحظات..
يبحث نهاراً ويعود إلى شرفة بيته ليلاً ليتأمل سماء بلاده بحثاً عن ذلك النجم.. «أسيل».. حتى يغلبه النعاس فيظل نائماً لتشرق شمس اليوم الذي يليه.. واستمر في بحثه عن عمل لمدة أيام وأيام، وامتدت لأسابيع.. حتى وجد عملاً بإحدى فروع شركة كبرى بمدينة المنصورة، ومرت شهور، وهو يعمل ويشعر بذاته في ذلك العمل، وكلما واجهه مشكلة قابلها بابتسامة يحسده عليها زملاؤه.. وتزداد بسمته حين يعود إلى بيته فيجد جده يقرأ مجدداً بكتاب سرداد فوريك الذي لم يتركه إلا لحظات قليلة منذ عودته، ويطلب منه أن يخبره بالمزيد مما حدث له بزيكولا.. فيحكى له الكثير والكثير.. ويسأله بعد انتهاءه ألا يخبر أحداً بذلك.. حتى جاء في يوم، وعاد إلى جده مبتسمًا:

- بلا يا عبده.. أنت مش عاوز حفيديك يتجوز؟

فنظر إليه جده فتابع «خالد»:

- احنا هنروح للمرة الأخيرة نخطب «منى».. والله أبوها وافق هأنجورها.. ولو موافقش.. هأنجورها برضه..

فابتسم جده، واتجه معه إلى بيت والد «مني»، واندهش «خالد» حين وجد والد «مني» قد تغير تمام التغيير، وقابلها بكل حفاوة وتقدير، وما إن تحدث جد «خالد» بأنه يريد أن يطلب يد «مني» لـ«خالد» حتى نطق والدها بترحيب:
- بلا نقرأ الفاتحة..

فابتسم «خالد»، وابتسمت «مني» التي كانت تقف أمام باب الحجرة، وعلت الزغاريد بيتها، ونهض «خالد» ليحتضن والدها ثم احتضن جده، وقد حددوا موعداً قريباً لإقامة عرسهما..

مررت أيام كثيرة، ومررت أسابيع وتبعتها بضع شهور، وـ«خالد» يعمل بقوة كي يستعد ل يوم عرسه.. حتى جاء ذلك اليوم الرابع عشر من سبتمبر، وقد عُلقت الأنوار أمام بيته، واجتمع الكثير من الأهالي ليهتموا وجده بهذا العرس، وقد حل الليل، وبدأ حفل الزفاف، وكم كان حفلًا رائعاً يترافق به من يعرفون «خالد» وـ«مني» ومن لا يعرفانها، وـ«خالد» ينظر إلى الجميع، وتشابك ذراعه بذراع «مني» التي ظلت تهمس إليه طوال الاحتفال دون أن يسمع أي شيء، ولكنه كان

بierz رأسه مبتسمًا دون أن يدرك عما تتحدث.. حتى انتهى الاحتفال،
ودلفا إلى شقتها، وامتلاً وجه «مني» بالخجل بعدما دلفا إلى حجرة
نومهما.. فضحك «خالد» ثم ضحكت «مني»، ونظرت إليه:
- «خالد».. بابن إننا هبتدى المشاكل من دلو قتي.. «خالد».. الشقة حر
أوي.. أنا عاوزة تكيف..

فضحك «خالد»، ولم ينطق ثم اتجه نحو شرفة الغرفة، وفتحها كي
يندفع الهواء إليها حتى نظر إلى السماء فدق قلبه بقوة حين وجد ذلك
النجم اللامع وحيداً عيّزاً بها، وهمس إلى نفسه في ذهول:
- «أسيـل» !!

فأكملت «مني»، وهي تجلس بفستان زفافها على سرير الغرفة:
«خالد».. أنا نفسي تقضي شهر العسل في أي مكان..
فابتسم «خالد» عندما سمع كلماتها ثم نظر إلى النجم مجددًا، وقد
أطال نظره تلك المرة كثيراً وكأنه يفكّر.. ثم نظر إليها:
- أنا كمان كنت بفكّر إننا تقضي شهر العسل في مكان مختلف تماماً..
ثم أكمل مبتسمًا:
- أيهرأيك في مكان التعامل فيه مش بالفلوس؟

فاندھشت «منی»، وسائله:

- امال بایه؟!

فضحک «خالد» کثیراً ثم اقترب منها، وهمس إليها:

- هتعرفي لما نروح هناك..

تمت بحمد الله

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

يُجري خالد سريعاً .. وانهيار الجدران يسرع خلفه، وكأنه فرصة
يلاحقها أسد مفترس .. لا يصدق عينيه .. يشعر بأنه في حلم ما،
ويسرع .. وتسمع أذاته صوت ارتظام صخور الجدران الضخمة ..
لو أصابته صخرة واحدة لقتلته .. حتى سقطت شنطة كفه وما
بها .. ولكنه لم يعبأ بذلك .. وواصل عدوه .. تساعدة قدماه
الصويلتان وخطواته الواسعة .. ويُجري إلى حيث لا يعرف مصيره ..
يُجري إلى المجهول .. ويصرخ بداخل نفسه .. كيف يعود إلى بلده
مجدداً؟! .. إنه الأحلاك .. إن السرداد بنهار .. ماذا حدث
بالأعلى .. هل هناك زلزال ما ضرب الأرض بالأعلى؟! ..
حتى وجد نفسه أمام طريقين قد انقسم إليهما السرداد .. حتى
اندفع إلى أحد هما، دون رغبته .. بل دفع إليه بعد ما انهار الطريق
الآخر قبل أن يصل إليه .. وكان الانهيار يتحكم في مساره .. حتى
فوجئ بنفسه يُجري إلى منحدر يتوجه للأعلى .. ويلاحقه الانهيار
أسرع وأسرع يريد أن يتبعه ..

يحاول أن يقاوم صعوبة الصعود .. ويقدم، وما زال النور أمامه
والظلمام من خلفه .. ويخطوط بقدميه سريعاً .. حتى وجد نور شديدًا
على مرمى بصره، وكأنه نور النهار الذي يعرفه جيداً حين كان يفتح
نافذة حجرته صباحاً .. فأسرع إليه .. "إنها النجاة مجدداً ..